الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٤ - صفر ١٤٢٦هـ - مارس/إبريل ٢٠٠٥م

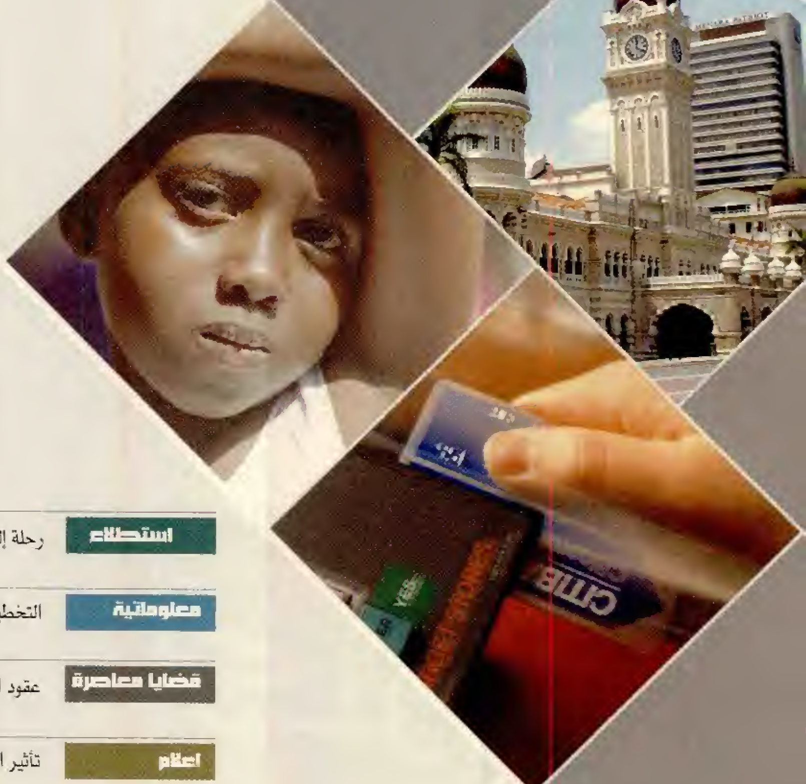
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 344 - March. April.2005

- التخطيط لتوظيف المعرفة
- المرأة السعودية والكتابة
- رحلة إلى أرض الأحلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية . العدد ٣٤٤- صفر ١٤٢٦هـ . مارس/إبريل ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - No.344 -March.April.2005



ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلس ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٤جنيهات ـ السودان ١٥٠ دينارًا ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ٢٥٠، ١دينار ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٢٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٢٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١. ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ـ الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٢١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

Alwatania Distribution
الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع

الرقم المجاني: ٨٠٠١٢٤٠٠٢٨



التخطيط لتوظيف المعرفة والاستفادة منها

للمعرفة فوائدة كثيرة في حياة الإنسان، فهو يستطيع توظيفها، والاستفادة منها في تأمين احتياجاته، وتحقيق طموحاته.

ولا تتحقق هذه الاستفادة من غير الاعتماد على البحوث والابتكارات التي تولد المعارف المفيدة، وتوجيه مناهج التأهيل المعرفي نحو تخريج المؤهلين في المجالات التي يحتاج إليها المجتمع.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



رسائلكم

إلى الفيصل

تحية تقدير وعرفان إلى مجلة «الفيصل»، وإلى كل القائمين على بهائها وتألقها.

مَنْ لِي بِلَجْمِ قصيدة تتعجَّلُ؟
تهفو إلى حُلَلِ «الرِّياض» وتَصهلُ
تنتابني شَوقًا يرفُّ بمهجتي
وتهزني حينًا وحينًا تَجْمُلُ
مَلَكَت لساني واستبدَّ بها الهوى
فَجناحُها بعضي وبعضي مِشْعلُ
عافت كراريس القصائد قبلَهَا
ومَضَت على أرق تَهُمُّ وأَثْقُلُ
لَكَأنَّها رُوحُ تَهيم بِوجْدِها
وَكَأنني الجَسدُ الثقيل المُشْكِلُ
وكأنَّني القَفص المُحاصِرُ بَوْحَها
وكأنها قُمريَّةٌ تَتَبَّتلُ
تأوِي الجياد إلى مَرابع أمنِها:
أرضِ الشهامة ترتوي وتُعوِّلُ
الحبُّ لا يثنيه وَهْمُ مَسَافة
مَهْمَا نَأَتْ «أُمُّ القُرى» والمَعْقلُ
لاَ قِبلةٌ يُحْيِي الفؤادَ عَبِيرُها
إلاَّ الّتِي أبوابُهَا لا تُقفَلُ
فَاقتْ خَيَالَ العَالَمِين بِحُسْنها
والعينُ من لحْظٍ بِهَا تتكحَّلُ
يَادُرَّةَ «البَلدِ الأمين» تَحيَّةً
من مُغرم قَلِقِ الجَوى يَتَوسَّلُ
صَان الوِدَادَ عُروبةً قدسّيةً
أدبًا يؤَلِفنا وشِعْرًا يَنْسِلُ
لاَ أرعوى عن حبِّها ووصالها
فهي القصيدةُ والكلامُ «الفيصل».

سالم المساهلي

الكاف - تونس

التحرير:

نشكر للأخ الشاعر هذه القصيدة التي توضح ما بينه وبين «الفيصل» من علاقة حميمة ممتدة عبر السنوات، ونأمل أن نكون عند حسن ظن الجميع.

نظرة تأملية

منذ ما يزيد على سنة، وبالتحديد في عدد ذي القعدة ١٤٢٥هـ(يناير ٢٠٠٤م) كنتم قد أجبتم عن رسالتي التي دعوت فيها إلى عودة بعض الأركان القديمة، وذكرتم أن سياسة التحرير قائمة على ألاّ تكون هناك زوايا ثابتة إلا في أضيق الحدود. نتفق معكم في توجهكم ولكن إلى حد معين.

لا أظن أن ركن «بدايات» مثلاً يحتاج إلى إجماع «شعبي» كي يكون ركناً أساسيًا. الحقيقة أن المجلة في أواخر

الثمانينات وبداية التسعينيات كانت أمتع في كل شيء، فنوعية الورق، والأركان المتنوعة، كطريق الهدى وقضايا المسرح العالمي و«نافذة على ثقافة الغرب» جعلتني أحنّ إلى فيصل أيام زمان. نتفق معكم أيضًا أن سنة التغيير ضرورية، وأن لكل دهر دولة ورجالاً، ولكن الجيد يفرض نفسه دائمًا نرجو أن تقوم المجلة بنظرة تأملية ورائية (Flath Back)، وتحاول أن تميز بين الغث والسمين، وأن تنفحنا بنسمات الثمانينيات والتسعينيات، وتمزجها بتعابير الحداثة الحالية.

وفيما يخص المسابقة أرجو ألاّ تكون الأسئلة عامة، ومتعددة الاحتمالات، فقد ذكرتم في حل مسابقة العدد ٣٣٩ (رمضان ١٤٢٥هـ) ردًا على سؤال من هو مخترع التلفاز أن «فلاديمير زوريكين» يعدّ أبا التلفاز، في حين أجمع الكثيرون على أن «جون بيرد» هو المخترع الفعلي للتلفاز عام ١٩٢٦م. أيضًا في مسابقة العدد ٣٤٢ (ذو الحجة ١٤٢٥هـ) طرحتم هذا السؤال: من الذي ابتدع نظام رياض الأطفال؟ السؤال يطرح تساؤلاً رئيسًا، وهو: ما المقصود بمبتدع نظام رياض الأطفال أهو شخص معين أم بلد ما؟ أيضًا الإجابة عن هذا السؤال متعددة، فشق يرى أن الألمان هم مبتدعو النظام، وشق آخر يرى أنهم السويديون، وآخرون يؤكدون أنهم الأمريكان. على كل حال نترك لكم الإجابة عن هذا السؤال على أمل أن تكون الأسئلة محددة المعالم، مع الشكر على الجديد في شكل المسابقة.

نبيل البواب

المنستير ـ تونس

التحرير:

نشكر لك ما أبديته من ملاحظات، وثق أننا نأخذ في الحسبان كل الآراء التي ترد إلينا عند اتخاذ أي قرار بشأن تطوير المجلة، وقد أعددنا استبانة لاستطلاع آراء القراء حتى يكون التطوير القادم بناء على هذه الآراء.

والمسابقة لا تزال في طور التحديث، حتى تستقر على شكل جديد؛ وقد أعددنا استبانة أيضًا بخصوصها، نأمل حرص الجميع على المشاركة في إبداء وجهات نظرهم، ونكرر لك شكرنا وتقديرنا.

ردود سريعة

الأخ محمد القرعاوي ـ الرياض ـ السعودية:

تهتم المجلة بتشجيع المبدعين من الشباب، ويتقرر نشر ما يرد إليها من قصائد وقصص قصيرة؛ اعتمادًا على مستواها، من غير أن يكون للأسماء تأثير في إجازة المادة للنشر؛ لأن المعايير موضوعية بحت، ونحن في انتظار إبداعاتك، لعلها تجد طريقها إلى النشر بعد التقويم والمراجعة.

الأخ ماجد البيطار ـ دمشق ـ سورية:

إذا كنت من متابعي المجلة فستجد أن كثيرًا من الاستطلاعات المصورة نشرت عن سورية الشقيقة؛ لأننا حريصون على التعريف بتراثنا، وسورية مستودع كبير لهذا التراث؛ لذا نحرص على التعريف بها، وإذا كان لديك ما تريد نشره عنها، فنحن نرحب به، علمًا بأن كل المواد تخضع للتقويم الموضوعي قبل إجازتها للنشر.

الأخ عبدالله الشهري ـ عسير ـ السعودية:

نحرص على الاستطلاعات المصورة التي تكشف جوانب مما تتسم به مناطق المملكة ومدنها من غنى في تراثها القديم، ومعالمها الحضارية الحديثة، وسوف تطالع في القريب استطلاعات عن المدن السياحية في المملكة كأبها، والطائف، وجدة وغيرها، ونرحب بمشاركة الإخوة ممن لديهم القدرة على إعداد مثل هذه الاستطلاعات، مع ضرورة الحرص على جودة الصورة المصاحبة.



استطلاع



رحلة إلى أرض الأحلام

سعد البواردي

الرياض ــ السعودية

طاردنا الليل ذهابًا، ولاحقنا النهار إيابًا.. تلك كانت هي البداية.. من حر المشرق العربي إلى مطر الشرق الآسيوي. كان الخيار لهذه الرحلة في هذه المرحلة الصيفية القائظة. البوابات والمنافذ الغربية يحجبها ضباب الخشية ألاّ تكون مفتوحة ومتاحة بالقدر الذي نريد..

فالعالم المتوجس في أمنه قد لا يسمح لحركتك، وقد لا تسمح أنت لنفسك بتلك الحركة المسموح بها قبل عدة سنوات..

الأبواب واسعة.. أرض الله واسعة.. الشرق للمشرق أقرب وأكثر التصاقًا. ووفاقًا. وعناقًا.

إلى أين اتجاه هذه الرحلة؟! اليابان، هونج كونج، الفلبين، تايلند، كوريا الجنوبية، أندونيسيا، سنغافورة جميعها انطوت صفحات زياراتها بعد أن انقضت زياراتها.

قفزت إلى الذاكرة واحدة من النمور الآسيوية التي طالما تمنيت رؤيتها، وتغنيت بحضارتها، بجمال طبيعتها، وجميل طباع أهلها.. نهضتها الاقتصادية، والصناعية، والاجتماعية. وكان القرار.. وجاءت النقلة السياحية من حر مشرقنا وقره إلى مطر الشرق الآسيوي وسحره.

من الرياض الحبيبة إلى كوالالمبور - أي النهر الخصيب - سبع ساعات وربع الساعة قضيناها على متن الطائرة العملاقة نتأرجح، ونتمرجح فيها بين السماء والأرض.. تحجبنا عتمة الليل الطويل عن مشاهدة ما تحتنا.. المطبات الهوائية تأخذنا بين الحين والحين، وتسلمنا إلى



الهدوء والسكينة في بعض الأحيان، الانفراجات تسمح لنا ببعض المشاهد عن بُعد، أضواء منبعثة من الساحل الباكستاني، والهندي، والكوري، والتايلندي أشبه بالنجوم أو المصابيح وقد عكستها مرآة البحر.

في مطار كوالا لامبور حطت بنا السفينة الفضائية ظهرًا بعد أن غادرنا مطار الرياض عصرًا.. الغيوم تحجب بِبُرْدِها وجه الشمس.. كنا على موعد مع المطر الذي طالما اشتاقت إليه أرضنا الطيبة، ولسان حاله يقول:

أهلاً بكم في أرض الماء، والنماء.. وقد صَدَق..

مبنى المطار الكبير في شكله الخارجي عادي، وما إن تلج إلى داخله حتى تدرك أنك في مبنى ضخم رائع التصميم.. عند الصالات يربط بعضها بالآخر عربات قطار جميلة تشعرك أنك داخل مدينة تضج بالحركة والحياة..

الابتسامة على الوجوه غير متكلفة ولا مصطنعة.. السلام عليكم تتكرر.. تحمل كرم الضيافة:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا

نحن الضيوف وأنت رب المنزل..

هكذا توحي إليك دائمًا تلك الابتسامات، والسلامات..



عناق الطبيعة والعمارة

الطريق إلى قلب المدينة واسع وشاسع يستغرق قرابة الساعة.. جماليات ما حولك من مفاتن طبيعة، ومبان شاهقة رائعة.. وذوق رفيع في رسم الصور النباتية الحية على حافتي الطريق تسرق منك الوقت دون ملل.. مجرد مدخل طبيعي لما هو أكبر في بلد هب من مرقده.. وطبع خطواته جبارة وجريئة تحت مظلة من الحب والتجانس بين أفراد أسرته الكبيرة على الرغم من اختلاف انتماءاتهم، ومذاهبهم، وأجناسهم.. أخذ بالمقولة.. «الدين لله.. والوطن للجميع».

قبل أن أتناول المشاهد والمشاهد في أرض الأحلام والخصب.. اسمحوا لي أن أستعرض بعضًا من تاريخ هذا الوطن العريق بماضيه وحاضره.

ماليزيا: شبه جزيرة أخذت اسمها نسبة إلى سكانها الأصليين الملاويين، مساحتها (٣٢٩٧٥٨) كيلو مترًا مربعًا، سكانها يتجاوزون العشرين مليونًا بقليل. العاصمة الموحدة كوالالمبور. سكان ماليزيا خليط من الهنود والصينيين والملاويين. الدين الرسمي الإسلام، وحريات الديانات الأخرى مكفولة للآخرين.

المناخ الماليزي: استوائي حار رطب طوال العام، استقلالها كان عام ١٩٥٧م وبتاريخه تشكَّل الاتحاد الفيدرالي مع جزيرتي سروال، وصباح.

الاتحاد: يتكون من ١٣ ولاية، لكل ولاية حاكمها.. الحكم المركزي يتمركز في العاصمة الاتحادية كوالالمبور.

الاقتصاد يعتمد بالدرجة الأولى على التصنيع،



والسياحة، والبترول، وزيت النخيل، والمطاط.. تتميز بغاباتها الاستوائية، وجبالها، وتلالها الخضراء، وحقولها الواسعة، وأشجارها الملتفة المثمرة، ومواردها المائية النهرية، وسواحلها البحرية، وجزرها الكثيرة المتناثرة الخصبة، وغاباتها العذرية الطبيعية التي لم تنل منها يد إنسان أكثر من مئة وثلاثة ملايين سنة كمأوى للطيور، والأحياء البرية، والبحرية، والنباتات، والكهوف.

ماليزيا تتكون جغرافيًا من ألف وسبع جزر، ثمان وثلاثون منها محميات للأحياء البحرية؛ النسبة الغالبة من هذه الجزر غير مأهولة.

جانب من التعريف الديموغرافي والجغرافي لأرض الأحلام.... ماذا عن المشاهد الخاطفة لهذه الزيارة السريعة؟!

يسترعي انتباه القادم إلى ماليزيا في تلك المجمعات السكنية الشاهقة، والمباني الإدارية الكبيرة، والمؤسسات العلمية بقبابها الملونة، والمساجد الرائعة المعمار المزروعة في كل اتجاه خارج إطار (كردون) المدن، وكأنها مدن مصغرة عامرة بسكانها، مستقلة بخدماتها، موصولة بعضها ببعض بشرايين حياتها وممراتها الممهدة.

الحقل السياحي متطور جدًا، الفنادق، والمنتجعات، والمقاهي، والمطاعم، والمتاحف، والشاليهات، والمساكن المهيّأة لهذا الغرض، ووسائل الترفيه المتعددة، والنشاط الرياضي بكل ألوانه المائية والبرية والجوية لن يضيق الزائر لوقته ولو لساعة واحدة.

كوالالمبور مدينة الألوان القزحية الزاهية يخترقها نهر كومبا وجلانج يلتفان حولها كالمعصم في عشق أبدي.

تجسد المدينة المركز التجاري، والاقتصادي، والسياحي، والسياسي، ومن أهم معالمها.

ـ المدينة القديمة حيث قصر السلطان عبد الصمد، والدارات ذات الطرز الأثرية التاريخية، ومسالكها المتعرجة القديمة.





تمثل السياحة مصدراً مهماً من مصادر الدخل القومي

- ميدان الاستقلال حيث يرتفع على ساريته الأطول في العالم العلم الماليزي بنجماته المتعددة، وهلاله.

- برجا بتروناس الأعليان في العالم، ارتفاعهما ٤٥٢ مترًا.

- برج كوالالمبور الرابع ارتفاعًا على مستوى العالم.

- القطار الأحادي السكة.

- مبنى المعرض الفني الوطني بطرازه الفريد من نوعه، ومقتنياته الغالية.

- المتحف الوطني الذي يمثل وعاء التاريخ قديمه وحديثه.

- المتحف الإسلامي بمقتنياته التي تجسد أبدع ما وصل إليه الفن، وأثمن ما حصل عليه التاريخ الإسلامي من عطاء.

- حديقة الحيوانات الوطنية والطيور البالغة التنسيق والتنظيم نسبة إلى ممراتها وغاباتها ومجسماتها التي تحاكي حيواناتها وطيورها.

- حدائق البحيرة حيث الطيور، والفراشات، والمتاحف المتعلقة بتاريخها..

- من أهم مراكزها التجارية: بوكيت بينانج، وتانكو عبدالرحمن، وامبانج، والسوق المركزي.

- حي السفارات: مبنى البنك الإسلامي، ومبنى المدرسة الدولية.

- القصر الملكي القديم قبالة ساحة الاستقلال بحدائقه الواسعة الغناء، والقصر الملكي الجديد بنوافيره، وممراته المائية.

- سكان كوالالمبور، قرابة المليونين ومئتي ألف نسمة. تمثل الغالبية من السكان الماليزيين الطبقة الوسطى، وعشرة في المئة دون ذلك، والبقية في عداد الأغنياء.

- في قانون العقوبات الماليزي محرمات لا يجوز التساهل بشأنها: حمل السلاح دون ترخيص، والمتاجرة في المخدرات، الجزاء هو الإعدام.

- سياسة الدولة قائمة على إذابة الفوارق الطبقية ما أمكن من خلال حوافز مالية خاصة تمنح لذوي الدخول المحدودة دون سواها.

- في منطقة بيفرلي هايتن حيث يقطن الأثرياء في







داراتهم الفخمة وسط الهضاب الخضراء، يوجد في المقابل بيوت متواضعة تعمل الدولة على إزالتها، ونقل سكانها إلى مجمعات جديدة جميلة تشاد لهذا الغرض.

- التعليم إلزامي مجاني، ومن يتخلف عن إدخال أطفاله المدرسة يعاقب بالسجن.. مناهج التعليم متطورة جدًا، ومهتمة بالتخصصات العلمية التقنية.

- أقدم مسجد في كوالا لمبور مسجد جاطين بك الذي بني إبان الاستعمار البريطاني، ومن أشهرها المسجد الوطني الذي يتسع لألف وخمسمئة مصلٍ، والمسجد الأزرق في منطقة شاه لام وهو الأكبر في حجمه.

- يشتهر الشعب الماليزي بالمهارات الفنية كالنقش على الحرير، وعلى الستائر، والرسم والنحت على الخشب، وتجميل الأشجار الحية على ممرات الشوارع والمنتزهات وحدائق الحيوانات، والمتاحف بتشكيلها كما لو أنها قطع فنية تشد المشاهد نحوها.

- من معالمها، كهوف باكو ذات السلالم الجبلية الطويلة التي أقامها الهنود كمزار زيّنوه بالزخارف والرسومات المبهرة.

- تنتج ماليزيا ثمانين في المئة من احتياجاتها من السيارات تصنيعًا لا تجميعًا.. ومن طرز جيدة متفاوتة الأحجام والأشكال تذكرك بسيارات المرسيدس، وبي إم دبليو.

- النصب التذكاري للزعماء التاريخيين، وشهداء التحرير الوطني الذين قضوا نحبهم أعوام (١٤ و ١٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٨ و ١٩٦٠م)

- هرم طريق الشمس الذي بني على غرار هرم الجيزة، وتمثال أبي الهول في مصر.

هذه بعض المشاهد والشواهد لمدينة آسرة ساحرة بجمالها، وخلال أهلها، سمحت به رحلة قصيرة عمرها خمسة أيام قضيت.. وآذنت بالرحيل إلى مكان آخر لا يبعد عنها كثيرًا، إنه هضبة شامخة نحو السماء يغطيها الضباب ويلفها بردائه الأبيض.

إنه منتجع جنتنج.. حيث الزيارة خاطفة لم تتجاوز اليومين..

يومان في جنتنج

في الطريق إليه كان الدرب سالكًا ممهدًا، المسافة ٦٠كم قطعتها الحافلة في ساعتين، المشاهد والصور تتشكل من جديد، مصانع مررنا بها، مزارع ودعناها تضاريس تأخذنا تارة إلى اليمين، وأخرى إلى اليسار.. أبصارنا شاخصة إلى الأعلى القريب مسافة، البعيد خطوات، الصعود إلى الأعلى صعب.

حطت بنا الحافلة عند قمة شاهوز حيث يتربع عليها لاس فيجاس ماليزيا.. منتجع بنتنج حيث الفنادق الفخمة الضخمة المتجاورة المتداخلة، بعضها يتنفس تحت الأرض، والباقي يتنفس في الهواء الطلق؟!

ستة آلاف قدم عن مستوى البحر كنا نتحرك.. كيف جاءت الحركة؟ وبماذا أوحت؟!

الموقع السياحي، يقع بين الحدود فيما بين ولاية سلانجور وباهانج، وهو يتبع الأخيرة إداريًا.



القصر الملكي في كوالالمبور

عالم آخر يتحرك داخل فضاء مشجع بالحيوية والحركة الدائبة التي لا تنام.. خلايا من البشر أشبه بعلب السردين تضج بهم قاعاته وممراته، وأدواره السفلية والعلوية، الكل يبحث عن هواياته، وما أكثرها! وما أشدها جذبًا لمرتاديها ونهبًا لنقودهم!! كل المغريات متوافرة.. المتاجر بمقتنياتها الغالية، المطاعم الفاخرة، المقاهي، الملاهي، الألعاب الرياضية المائية، والجوية، السيرك، دارات العرض السينمائي والمسرحي. أشياء كثيرة ومثيرة يختزنها مكان واحد داخل أبواب زجاجية تفتح للدخول، ولحظة مغادرة إلى رحلة تالية. قبالة المنتجع رسم هندسي جميل أدواته أشجار، ومصابيح كهربائية قزحية الألوان تداعب خيالك ليلاً. من يلج الباب الزجاجي عليه أن يكتشف ما خلفه.

جنتنج مجمع متكامل على محدودية ساحته ومساحته؛ فيه يلهو الصغار، ويجدون فيه ضالتهم، وفيه يستمتع الكبار حيث يلقون هوايتهم.. أسواق التسوق فيه مشرعة ومترعة بمعروضاتها.. أجناس من البشر لا تخطئهم العين أراحوا واستراحوا عن مشكلات ومشاغل حياتهم بعيدًا عن عوادم المدن، وقساوة الطبيعة، وأنت تتحرك بين ردهاته وممراته تشعر أنك داخل وطنك لكثرة الذين هم من أهلك موجودون، كل يتحرك على طبيعته بحرية غير مصادرة؛ لأنها منضبطة، متمسكة



بوقارها وحشمتها، أفواج ترحل، وأخرى تحل مكانها من الصعوبة أن تجد مكانًا شاغرًا قبل الحجز بعدة أسابيع لسبب بسيط هو أن من لم يسعفه الحظ بزيارة هذا المنتجع تعدّ سياحته ناقصة..

يومان انصرما كالحلم الرومانسي الذي يود الزائر ألاّ يفيق منه.. إلاّ أننا أفقنا على وقع الزمن المحدد لهذه الجولة القصيرة المثيرة بانطباعاتها..

محطة جديدة على لائحة الانتظار لا تقبل التأجيل ولو ساعة واحدة.. المطار في الانتظار، وبينانج هي الهدف.. إلى بينانج الجزيرة، والولاية، والوجه الجديد لأرخبيل ماليزيا الجميل.

إلى بيناغ

يومان في جنتتج مرا كالحلم الرومانسي تمنينا ألاّ نفيق منه.. إلا أن جدول الرحلة لا تمليه الأحلام، ولا تحكمه الأماني، وإنما التحرك إلى مكان آخر جرى تحديده مسبقًا إلى كوالالمبور، والنهر الخصيب.. عدنا من حيث جئنا كي نبدأ مسيرة المحطة الثالثة من هذه الرحلة.. هذه المرة إلى ولاية بينانج. خمسون دقيقة بالطائرة حطت بنا في مطارها، ومنه إلى عاصمة الولاية جورج تاون. الولاية يطلق عليها جوهرة الشرق، تجمع في تضاريسها وتكوينها الجغرافي بين المرتفعات الخضراء والسهول المرعة، والشواطئ المحازية للمحيط الهندي.. تجمع الولاية في مبانيها بين الأثرية التاريخية والعصرية.. أسواقها الشعبية تذكرنا - إلى حد ما - بأسواق البطحاء في الرياض، إلى جانب أسواق تجارية كبيرة كأسواق العليا.

الحركة المعمارية فيها نشيطة.. المباني الشاهقة تقطع بطولها مساحات من حقولها تشير إلى تقدم مادي وتنموي. ماذا عن جوهرة الشرق، كما يحلو للكثيرين تسميتها؟!

من مطارها الأنيق إلى العاصمة قرابة الساعة.. الطريق ممهد.. على حافيته قصور، وأزهار، ودور أكثر تواضعًا. الولاية في أهميتها تعد الرابعة في الأرخبيل الماليزي.

- جورج تاون العاصمة مدينة مريحة وفرحة يقطنها مليون ومئة ألف ساكن.. خليط من أجناس متعددة.. الصينيون هم الأغنى والأكثر سيطرة على مقدرات الولاية.. فالهنود في الدرجة الثانية.. ثم الملاويون الأصليون..

- المدينة ممتدة بمحاذاة البحر، يتكئ ظهرها على هضاب كثيفة ملتفة.. مادة قدميها تغسلهما أمواج البحر العابثة.

- الجزر من حول العاصمة الإقليمية متناثرة متفاوتة الأحجام، يصلها بعضها ببعض جسور ممتدة تسهل أمامك مهمة الرحلة من جزيرة إلى أخرى.

- بينانج يميل طقسها إلى الحرارة والرطوبة، السياح من أستراليا وسنغافورة، وتايلند، ومن غيرها، يؤمونها طوال العام للتمتع بجوها، والسباحة في مياهها الدافئة.

- تضخ العاصمة، وأطرافها مجموعة لا بأس بها من الفنادق، والمنتجعات السياحية التي تعج بالرواد.. فضلاً عن المقاهي والمطاعم المختلفة المذاق ما بين صيني، وهندي، وماليزي، وعربي، كلها تحمل شعار الكبسة، والبرياني، والمعكرونة بعد أن امتلأت فنادقها بالسياح العرب في محاولة لاجتذابهم.. إلا أن الشعار لا يصدق أهله في الغالب.

- أسواق التسويق ممتدة طويلة.. المتاجر صغيرة يتم تركيبها ليلاً فوق أعمدة حديدية معدة لها.. وحين يأوي الناس إلى مضاجعهم يحمل الباعة بضاعتهم إلى يوم آخر.

لعل أهم معالم جورج تاون:

- مزرعة الفراشات المسقفة، وهي مزرعة كبيرة تلفها الأشجار، والجداول، ومتحف خاص بالفراشات، ومتجر يحوي مجسمات معروضة للبيع.

- مزرعة الفواكه، وما أدراك ما الفواكه! حيث


لنجاوي ـ الجزيرة العذراء


جنتنج .. حيث الجميع يتحركون على طبيعتهم

التجارب على عملية التنويع من خلال تلقيح شجرة بأخرى تعطي ثمرًا جديدًا ومذاقًا جديدًا.

ـ معبد الثعابين، وهو معبد لا صلاة فيه. دائمًا أكثر من صلّ وثعبان وأفعى بأحجامها وألوانها وفصائلها المختلفة.

ـ حديقة التوابل، كل ما هو حار وشهي تلقاه أمامك.. وعليك أن تختار ما يسهل مذاقه.

ـ حديقة العصافير البرية، حيث الزقزقة والزغردة، والاستعراضات التي تنقلك إلى عالم لا مخالب فيه ولا أنياب.

ـ بحيرة هانج للعلاج الطبيعي، والأشجار الملتفة من حولها كسور طبيعي أقامته الطبيعة بالمجان.

ـ منطقة الشلالات، حيث المجرى المائي الذي يشكل خطًا أبيض متعرجًا بين لوحة ربيعية خضراء خلابة.

ـ غابات القرود، أسراب منها تحف بك وأنت تجتاز المسالك، تتفرج عليها، وتتفرج عليك، وتتطلع إلى ما تحمل من موز تلقي به إليها دون أن ينالك منها أذى..

ـ من المشاهد الموحية بجمالياتها مرتفعات هضبة بينانج، وقد مدت الطبيعة بسخاء مخملاً أخضر يتناغم مع أمواج

جنتنج مجمع متكامل على محدودية ساحته ومساحته: فيه يستمتع الكبار حيث يلقون هوايتهم.. أسواق التسوق فيه مشرعة ومترعة بمعروضاتها.. أجناس من البشر لا تخطئهم العين أراحوا واستراحوا عن مشكلات ومشاغل حياتهم بعيدًا عن عوادم المدن. وقساوة الطبيعة

البحر وهو يعاتبها تارة بجزر موجه، حيث تختفي تحت عباءة الضباب، ويعانقها أخرى بمده لحظات صحو.

الهضبة الشامخة ترتفع عن مستوى البحر ثلاثمئة وثلاثين مترًا. الطريق الجبلي الموصل إليها خمسة كيلومترات. على هامة الهضبة معبد هندي، ومسجد إسلامي كرمز للتعايش بين المذهب الهندي والديانة الإسلامية.

يوجد في بينانج أطول جسر مائي في شرق آسيا يبلغ مداه ثلاثة عشر كيلو مترًا ونصف الكيلومتر، يجسد شريان حياة موصل إلى ولاية سيرانج بايا الماليزية. وإلى سنغافورة، وتايلند، وكوالالمبور.. تم بناء الجسر عام ١٩٨٦م، استغرقت إشادته ١٨عامًا.

- من معالم العاصمة الإقليمية جورج تاون، مصنع الذهب الأبيض، ومصنع الألماس، ومصنع ثالث للفضة، إنتاجها يصدر إلى ٢٩ بلدًا في العالم.

- معبد بوذا النائم أحد مرافقها السياحية، حيث التماثيل المقامة من حوله، وحيث الرسومات المذهبة، وتماثيل التنين، وتمثال ثانٍ لبوذا بأربعة أوجه، إضافة إلى مجموعة من اللوحات الفنية المختلفة لبوذا.

- حصن كورا واليس التاريخي المقام على مرتفع يطل على البحر، بناه فرانسيس لايت الحاكم البريطاني لحماية الولاية من الغزو الألماني في عام ١٧٨٦م. إلى

تضخ العاصمة، وأطرافها مجموعة من الفنادق، والمنتجعات السياحية التي تعج بالرواد.. فضلاً عن المقاهي والمطاعم المختلفة المذاق ما بين صيني، وهندي، وماليزي، وعربي. كلها تحمل شعار الكبسة، والبرياني، والمعكرونة بعد أن امتلأت فنادقها بالسياح العرب

جوار الحصن مدرج للاحتفالات. وعلى أطرافه مدافع ودانات موجهة نحو البحر لصد أي غزو محتمل.. تحيط بالحصن حدائق واسعة، ونوافير.

- يوجد في العاصمة أعلى ناطحات سحاب تتكون من ستين طابقًا تضم أكبر سوق للتسوق، وأكثر مكاتب لكبريات الشركات.

- من المعالم التاريخية المتحف الحربي المقام تحت مستوى الأرض، الوصول إليه يمر عبر نفق مظلم بعمق تسعة أمتار. يفضي بك السلم إلى مستودعات، وذخيرة، وأحذية جنود، ونماذج لأوسمة عسكرية، وأدوات تعذيب، وزنازين، ومشاهد مرسومة لجرائم الحروب وبشاعتها. من بين تلك المشاهد لوحات عن مشوهي الحرب العرقية على يد الغزاة (الأنجلوسكسونيين) في جانب آخر من المتحف أجنحة محفورة استخدمت مكاتب وقاعات واستراحات لجنرالات الحرب، والقيادات الميدانية.

- بمحاذاة البحر على أطراف جورج تاون تقع المدينة الصناعية بمعارضها ومبانيها الحديثة.

- الجالية الصينية، ومثلها الهندية تحرصان على إقامة تجمعات خاصة بهما تشعر وأنت تتجول داخلها أنك تتحرك في بلديهما الأم المنازل، المتاجر، لافتات المكاتب، كل شيء ينقلك إلى عالمها الخاص.

تشعر وأنت تتحرك بالأمان، والود، لا أحد يزعجك، ولا أحد يقحم نفسه بسؤال فضولي، ولا أحد يمدّ يده مستجديًا، لا شجار، ولا أصوات عالية تفزعك. الكل مشدود بحركاته لحياته يجيب حين يسأل، ويستجيب حين يُطلب منه، الغش في التعامل غير وارد.

تلك هي محصلة أيام أربعة قضيناها في ولاية بينانج هي كل ما سمح به الوقت الضيق «والمحدود» وكان علينا معًا أن نرحل نحو ولاية أخرى نستكشفها؛ ننتزع من مشهدها لقطات سريعة وخاطفة..

مساحة الزمن المتاح ثلاثة أيام، هو ما استبقى من عمر الرحلة.

إلى أين؟! إلى لنجاوي جزيرة الأصالة بخصائصها، وبجغرافيتها، وبأناسها الطيبين.

أيام ثلاثة في لنجاوي

من ولاية بينانج إلى ولاية قدح، وبالتحديد إلى جزيرة لنجاوي التي تمثل إحدى أرخبيلها الواسع..

ربع ساعة جوية طوت مساحة الرحلة.. المشاهد رغم قصر مسافتها ترسم شكلاً جديداً، زرقة بحر دافئ، خضرة أرض، جزر متناثرة صغيرة تحيط بها، كما يحيط الصغار بأمهم.

المطار يتسم بناؤه بنمط تراثي يثير الإعجاب، منه أخذتنا الحافلة إلى أحد أطراف الجزيرة حيث أقلّنا مركب صغير أخذ يتهادى بنا قرابة ربع ساعة.. ليرسي بنا في ميناء صغير يعج بالقوارب، إنه البوابة الوحيدة المسموح بها للدخول إلى جزيرة إباك مارينا. إنها الجزيرة والمنتجع السياحي، والفندق الذي نسكن فيه.

الجزيرة مساحتها بضعة كيلومترات، تشكل فندقًا يحمل اسمها، وزعت وحداته السكنية على مساحة أرضها، إضافة إلى الخدمات وأماكن الترفيه والتسلية.

المباني، وجميع المنشآت في هذا المنتجع الهادئ أقيمت من الأخشاب، الأرضيات، والحيطان، والسقوف، والأعمدة، والأثاث، والجسور، والسلالم، والمدرجات من الخشب. الوحدة من طابقين وثماني غرف واسعة أقيمت على شكل خيمة مستطيلة ذات طابع تراثي تقليدي مميز.

معظم الرواد الذين يرتادون الجزيرة المنتجع ممن تستهويهم الراحة والهدوء بعيدًا عن الصخب لكبر سنهم.. أو أعراس يقضون شهور عسلهم إذا ما كان هناك عسل.

لا يوجد في الجزيرة وسائط نقل عامة، بضع عربات خاصة تعنى بخدمة النزلاء من وإلى المنتجع دون أجر.

هذا عن الجزيرة الصغيرة الحالمة بصورها التي توقظ النيام بزغردتها عندما يبزغ الصباح.. وبسواقيها التي تتوازع مساحتها، وأشجارها المثمرة التي تتدلى منها عناقيد الأناناس، وجوز الهند، والبابايا، وغيرها.

ماذا عن الجزيرة الأم لنجاوي؟!.. وكلمة لنجاوي تعني الصخور البنية.. أو الصخور والنمور الجنية.

يصفونها بالجزيرة العذراء. إذ الفطرية التي ما برحت تحافظ على طابعها وطبيعتها دون تدخل يخلّ بعذريتها إلاّ في حدود ضيقة.. أرخبيل لنجاوي يتكون من تسع وثمانين جزيرة متفاوتة المساحة أشهرها جزيرتا العذراء الحامل، وجزيرة الحيوانات البرية.. الوصول إليها ومنها عبر قوارب محددة الانطلاق.. أخذنا القارب أكثر من مرة، فالهدوء وحده لا يكفي، والنوم وحده منحنا

أحد معابد جورج تاون





قصر السلطان عبد الصمد

الكفاية، لا بد من أن نتحرك ونشاهد، ونرصد ما يمكن رصده من صور متباينة لهذه الجزيرة الوادعة البديعة من خلال التطواف أمكن الوقوف على بعض معالمها:

- القرية الشرقية، حيث محطة التلفريك المعلق الذي أخذنا إلى قمة جبل ماتشنك شانج على ارتفاع سبعمئة وثمانية أمتار، وهو الأعلى ارتفاعًا من نوعه في العالم، على محطتين ينقلنا من قمة إلى أخرى أكثر شموخًا..

وأنت تتبوأ القمة ينازعك السحاب أو الضباب أحيانًا فما تشهد شيئًا، وأحيانًا يكشف لك عن مفاتن الطبيعة السخية، هضابها، منحدراتها، أوديتها، شلالاتها، وبساط البحر بزرقته، وجزر هنا وهناك.. ثم لحظة غروب الشمس، والشفق الوردي الأصفر.

- متحف الفنون، بمقتنياته النادرة من لوحات، ومجسمات، وأرشيف متكامل عن الفن بشموليته.

- مبنى بالي بيسار الضخم الخشبي المبني عام ١٨٩٨م.

- مسجد زاهر المبني عام ١٩١٢م الذي يعدّ تحفة هندسية في معماره.

- كلية العلوم التي تعدّ الأفضل في ماليزيا شكلاً ومضمونًا.

- مبنى المتحف الملكي بطرازه المحلي المعماري.

- برج الورستار أحد معالم الولاية الذي يوفر إطلالة رائعة على المناظر الخلابة.

- عالم ما تحت البحار، حيث الكائنات المائية الحية، تتحرك كما لو كنت في أعماق البحر.

- مزرعة التماسيح بأحجامها وألوانها.

- كهف الخفافيش التي تغطي أسقفه آلاف الخفافيش متدلية بأرجلها، تتطلع إلى ما تحتها دون خوف.

- المغارات الجبلية التي توصلك إليها قوارب متوغلة



بك في أعماق الهضاب الملتفة متدرجة ومتعرجة.

- الرحلة النهرية البحرية التي تأخذك إلى غابات النسور، حيث تلتفُّ من حولك عن قرب، وأنت على القارب ترمي لها الطعام.. ثم ما تلبث أن تتوارى باحثة عن قارب آخر يعدها بطعام آخر.

- مزرعة الأسماك المقامة فوق سطح الماء من خلال أحواض متعددة، وأحجام متعددة، وأشكال متعددة.

- المنتجعات السياحية، نشطة بروادها، فنادق جميلة ممتدة عبر شارع ممتد نابض بالحركة هو شارع شتان.

- كهوف التماسيح، ومن دون تماسيح بعد أن هجرت كهوفها وهاجرت.

- المغارات المائية، حيث الأشكال الجيرية المتكلسة على شكل حيوانات، وثعابين، وتماسيح.

- جنة طيور لنجاوي، التي تحوي أنواع الطيور المختلفة، والتي تزينها البحيرات والشلالات، والمتحف الخاص بها.

- من أهم محصولاتها الزراعية الأرز الذي يغطي مساحة شاسعة من أراضيها.

- من أجمل مساجدها، مسجد الهنا، ومسجد نور الهداية، ومسجد عائشة.

- عاصمة الإقليم الورستار، مدينة صغيرة جميلة، مبانيها خليط من الطراز القديم والحديث، سكانها ستة آلاف نسمة، المدينة جذابة، ونظيفة، ومنسقة. يتوسطها ميدان النسر الأوسع من نوعه في ماليزيا الذي تحيط به البحيرات من جهاته الثلاث، رصفت ممراته بالرخام الفاخر.

- تخترق الأرخبيل الماليزي مجموعة من الأنهر المتوسطة والصغيرة التي تمد شريان طبيعتها بالحياة.

- مستوى الحياة المعيشية في ماليزيا مرتفع، الأسعار غير محددة قابلة للأخذ والرد.

- العملة الماليزية «ينجي» تساوي الريال السعودي تقريبًا.



برجا بتروناس



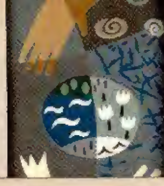
منظر عام للعاصمة كوالالمبور

- العمل يبدأ من العاشرة صباحًا حتى العاشرة مساءً.
- مقود السيارة إلى اليمين على الطريقة الإنجليزية.
- المطارات الدولية والإقليمية تحت شعار مطار ماليزيا، وفي واجهة كل مطار ساريتان تحمل إحداهما علم ماليزيا الموحد، وعلم الولاية التي يقع فيها المطار. هذه المطارات تحفل بأسواقها التجارية الحافلة بمعروضاتها المتنوعة.
- كثير من الجزر الماليزية مرتبط بعضها ببعض بجسور مائية، منها ما هو قائم.. ومنها ما هو في طور الإنشاء.

ماليزيا بلد الأحلام الرومانسية، والنموذج الحي للوطن المسلم المسالم، الرائع طبيعة، وطباعًا، وانطباعًا، أقول له، وقد آذنت المرحلة بنهايتها، وداعًا يا أرض الأحلام الحية.. بك نفخر.. وللأيام الجميلة في ربوعك نتذكر، ونتشكر.. أسبوعان من السفر، رفيقنا فيها مطر، وشاهدنا خصوبة شجر، وحلاوة ثمر، وسماحة بشر، لكل هذه الأشياء، وبكل هذه الأشياء يحلو السفر. أسبوعان قضيا خاطفين كالحلم، كالطيف الجميل الذي لا تود مفارقته، ولكن رحلة نهاية.

لم نفقد أهلنا في الوطن، وقد ودعناهم، وجدناهم هناك سبقونا بثيابهم بعباءاتهم، بنقابهم وحجابهم، برجالهم، وشبابهم، وأطفالهم الذين شغلونا بشقاوتهم وضوضائهم منذ بداية الرحلة إلى نهايتها، لم يتركوا الجفن أن ينام.. هكذا عودناهم دون سواهم من أطفال العالم.

إلى رياضنا الحبيبة عدنا.. وإلى حرها اعتدنا متسلحين بحرارة حبنا للوطن.. ومن في الوطن، وإلى رحلة أخرى إن كان في العمر بقية، إن شاء الله.





التخطيط لتوظيف المعرفة والاستفادة منها

سعد علي الحاج بكري

الرياض ـ السعودية

لا شك أن للمعرفة فوائد كثيرة في حياة الإنسان، فهي، كما يقال، يمكن أن تصقل شخصيته وتشكلها، كمايفعل النحات في قطع الرخام، وهي أيضاً مصدر الأفكار والوسائل، يستطيع توظيفها، والاستفادة منهافي تأمين احتياجاته، وتحقيق طموحاته. وإذا نظرنا إلى دورة المعرفة بمراحلها الثلاث: توليد المعرفة، ونشرها،وتوظيفها والاستفادة منها، نجد أن مرحلة توظيف المعرفة تمثل العُصارة الأخيرة لهذه الدورة، وزبدتها المفيدة.

وعلى ذلك فإن تفعيل مراحل دورة المعرفة، سعياً وراء بناء مجتمع المعرفة، يتطلب التوجه نحو تطوير هذه العُصارة وفوائدها كماً ونوعاً؛ وذلك لدعم الإنتاج، وتعزيز تقديم الخدمات، في شتى المجالات (٢،١). وفي سبيل تطوير هذه العُصارة، وتعظيم فوائدها، يجب الاهتمام بتوليد المعارف الغنية بالفوائد ونشرها من جهة، إضافة إلى التركيز في كيفية استغلال هذه الفوائد، وجني ثمارها من جهة أخرى. ومن هذا المنطلق نجد أن الاستفادة من المعرفة تتطلب الاهتمام بالبحوث والابتكارات التي تُولّد المعارف المفيدة، وتحتاج إلى توجيه مناهج التأهيل المعرفي نحو تخريج المؤهلين في المجالات التي يحتاج إليها المجتمع، فضلاً عن احتياجها إلى أساليب فعّالة لتوظيف المعرفة والاستفادة منها. غاية هذا المقال هي طرح هذا الموضوع، والبحث في جوانبه المختلفة، واستنباط ما يجب وضعه على أجندة المستقبل.

اختيار المعارف القابلة للتوظيف

إن لكل معرفة فائدة، لكن هذه الفوائد قد تكون مباشرة



وملموسة، وقد تكون غير مباشرة، وغير ملموسة. فالمعرفة التي تُمكّن الإنسان من تصنيع مُنتج، أو تقديم خدمة، هي معرفة مادية مباشرة وملموسة، وبالطبع مفيدة، ليس فقط لصانع المنتج أو مقدم الخدمة، بل للمستفيد المستعد لدفع التكاليف المطلوبة. والمعرفة التي تزيد ثقافة الإنسان، وتُهذب سلوكه، هي معرفة غير مادية، وغير مباشرة، وغير ملموسة، لكنها أيضاً مفيدة، ليس للإنسان الذي اكتسبها فقط، بل للآخرين من حوله، والمتعاملين معه. وفي كل من النوعين فوائد للمجتمع ينبغي الاهتمام بها، والاستفادة منها. ولابد من التوازن بين هذين النوعين، فقصور النوع الأول يقود إلى الضعف المادي، وربما إلى الفقر والعُزلة، وقصور النوع الثاني يُؤدي إلى ضعف الروح الإنسانية، وربما إلى طغيان الجشع المادي. وقصور الاثنين معاً يُفقد الإنسان توازنه وقدراته. ولنا فيما نشهده في الحياة من حولنا أمثلة كثيرة على كل من هذه الحالات المُحتملة.

وانطلاقاً مما سبق، نقول بضرورة الاهتمام بالمعارف ذات الفوائد المادية، والمعارف ذات الفوائد الإنسانية، بما يُحقق التوازن بينهما، مع العمل على توظيف كل من هذه



عملية اكتساب المعرفة بحاجة إلى التعليم والتعلم

الفوائد في شؤون الحياة؛ من أجل مجتمع ينعم فيه الإنسان بالرخاء المادي من ناحية، ويتمتع فيه بغنى النفس، وحب الخير للجميع من ناحية ثانية. يُركّز هذا المقال في المعارف ذات الفوائد المادية؛ وذلك لأهميتها الخاصة في هذا العصر، خصوصاً مع تسابق الأمم على الإبداع والابتكار وتوليد المعارف التي تؤدي إلى معطيات مادية، لكنه يُؤكد في الوقت ذاته المعارف ذات المعطيات الإنسانية، خصوصاً مع ضرورة ترسيخها؛ كي تتوازن معطياتها مع معطيات المعارف المادية.

وتعتمد أولويات اختيار المعارف ذات المعطيات المادية، القابلة للتوظيف، على خصائص المجتمع، والبيئة المهنية فيه من ناحية، وعلى إستراتيجيات التخطيط لهذا المجتمع، والتطلعات المستقبلية للمواقع التي يُراد له أن يصل إليها في المستقبل من ناحية ثانية. وإذا كانت الخصائص الحالية واقعاً ينبغي الانطلاق منه، فإن الإستراتيجيات والتطلعات المستقبلية رؤية، عليها أن تنطلق من الواقع، وتعمل على تطويره بالاتجاه المطلوب. وفي هذا الإطار، يمكن تحديد أربعة أسس رئيسة لمثل هذه الإستراتيجيات والتطلعات.

يتضمن الأساس الأول النظر إلى الاحتياجات المحلية، وخصوصاً تلك التي يتم استيرادها من الخارج. فتطوير المعارف في مجالات هذه الاحتياجات المحلية، والعمل على توظيفها، والاستفادة منها، يزيدان من الاعتماد على الذات في شؤون الذات، ليحقق بذلك أمن توفير هذه الاحتياجات المحلية محلياً، والحد من الاستيراد والاعتماد على الآخرين. وبالطبع، لا يُمكن تأمين أنواع الاحتياجات

المعرفة التي تُمكّن الإنسان من تصنيع مُنتج، أو تقديم خدمة، هي معرفة مادية مباشرة وملموسة، وبالطبع مفيدة، ليس فقط لصانع المنتج أو مقدم الخدمة، بل للمستفيد المستعد لدفع التكاليف المطلوبة

كافة محلياً، ولكن يمكن على الأقل وضع أولويات تأخذ في الحسبان حجم استيراد هذه الأنواع من الخارج من ناحية، والإمكانات القائمة والممكنة في إنتاجها محلياً من ناحية ثانية. ولا شك أن القدرة على تنفيذ توجهات هذا الأساس، ولو جزئياً، تُساهم في التنمية الاقتصادية، من خلال التوفير في نفقات الاستيراد، وتدعم التنمية الاجتماعية، من خلال زيادة الحاجة إلى العمالة المُنتجة، فضلاً عن فوائدها في تعزيز خبرات العمل، والتطوير المستمر.

ويشمل الأساس الثاني النظر إلى الاحتياجات الخارجية، وخصوصاً تلك التي يمكن إنتاجها محلياً بكفاءة وفاعلية، وتصديرها لتكون قادرة على المنافسة في السوق الخارجي، سواء ضمن المناطق المحيطة، أو على المستوى الدولي. ويمكن استخدام مبدأ الأولويات في هذا المجال، والتركيز في المعارف اللازمة، والعمل على توظيفها. ويدعم تنفيذ هذا الأساس بنجاح التنمية الاقتصادية، من خلال توفير العملة الصعبة، ويُساهم في إيجاد الوظائف، ويُعزز القدرة على التطور. وقد قامت الدول الآسيوية السريعة النمو، مثل كوريا، وسنغافورة، وتايوان، وماليزيا وغيرها باتباع سياسات تستند إلى هذا الأساس خلال العقود السابقة. وقد حققت ماليزيا من خلال ذلك نمواً في دخلها القومي للفرد الواحد من نحو سبعمئة دولار عام ١٩٧٤م إلى ما يزيد على عشرة آلاف دولار عام ٢٠٠٤م (٤).

ويدمج الأساس الثالث بين الأساسين السابقين، الأول والثاني، ولكن في إطار الثروات الطبيعية، إذ يُركز في المعارف التي تؤدي إلى استغلالها والاستفادة منها، على أفضل وجه ممكن، ليس فقط فيما يتعلق بالاحتياجات المحلية والعمل على الحد من الاستيراد، ولكن فيما يرتبط بالاحتياجات الخارجية، والعمل على زيادة التصدير، وما ينتج من ذلك من فوائد، كما طرحنا سابقاً. ولعل من أبرز الأمثلة على المؤسسات المرتبطة بهذا الأساس الشركة العربية السعودية للصناعات الأساسية (سابك) التي باتت واحدة من الشركات المتميزة في الصناعات البيتروكيماوية المُعتمدة على الغاز الطبيعي المرافق للنفط (٥).

ويرتبط الأساس الرابع بالمعارف والخبرات الخاصة بإدارة أنشطة المجتمع كافة والتشريعات المُتبعة في هذا المجال. فالإدارة الفعّالة معيار مهم من معايير نجاح أي عمل يستند إلى أي من الأسس السابقة أو تعثره، مهما كانت المعارف والخبرات التخصصية الموظفة لهذا العمل. من هذا المنطلق نقول: إنّ اكتساب المعارف الإدارية الحديثة وتطويرها، وتهيئة البيئة القانونية اللازمة لتطبيقها، وتوظيفها بالأسلوب المناسب تُعزز النجاح في تطوير المجتمع وتنمية إمكاناته.

وهكذا نجد أن الأسس الأربعة، السابقة الذكر، تبين الكيفية التي يمكن على أساسها اختيار المعارف القابلة

لا تنفصل قضية توليد المعرفة عن مسألة نشرها، فلا يمكن توليد معرفة جديدة دون وجود قاعدة معرفية ينطلق منها هذا التوليد، ودون وجود عقلية معرفية خصبة تستوعب بذور المعارف القائمة، وتستنبت منها معارف جديدة

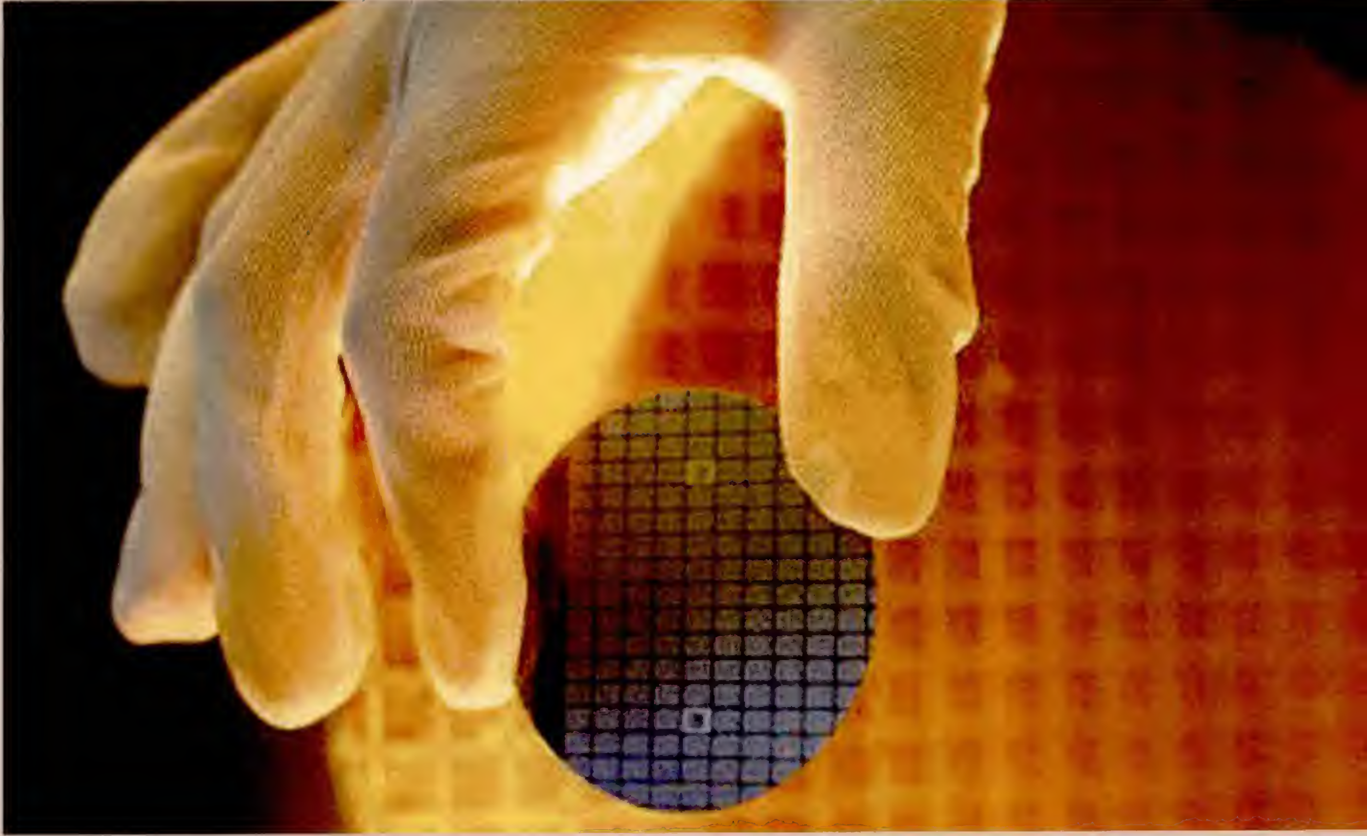
للتوظيف من أجل التنمية. وننتقل هنا من مسألة اختيار المعارف هذه إلى موضوع توليدها ونشرها؛ تمهيداً لطرح وسائل دعم توظيفها والاستفادة منها.

توليد المعارف ونشرها

لا تنفصل قضية توليد المعرفة عن مسألة نشرها، فلا يمكن توليد معرفة جديدة دون وجود قاعدة معرفية ينطلق منها هذا التوليد، ودون وجود عقلية معرفية خصبة تستوعب بذور المعارف القائمة، وتستنبت منها معارف جديدة. وعلى ذلك فإن الاهتمام بتوليد المعرفة في المجالات القابلة للتوظيف من أجل التنمية، يتطلب تعزيز اكتساب المعرفة المتوافرة في هذه المجالات، ودعم إجراء البحوث فيها؛ كما يحتاج أيضاً إلى بناء ثقافة المعرفة في المجتمع، مقرونة بروح الابتكار والعطاء المعرفيين.

وانطلاقاً مما سبق نجد أنفسنا في إطار ثلاثي الأبعاد، ينبغي التركيز في كل منها في مجالات المعرفة القابلة للتوظيف. يهتم البُعد الأول بالتعليم والتعلم واكتساب المعرفة. ويرتبط البُعد الثاني بالبحث والتطوير وإيجاد معارف جديدة ومفيدة. ويتعلق البُعد الثالث بثقافة المعرفة في المجتمع، وما تؤدي إليه من توجه نحو الاستزادة من المعرفة، ونحو الابتكار والعطاء. ولا يمكن معالجة كل بُعد من هذه الأبعاد بشكل منفصل عن الأبعاد الأخرى، بسبب الطبيعة المشتركة والمتكاملة لها. وسوف نحاول فيما يأتي إلقاء الضوء على كل من هذه الأبعاد، وعلاقته بالأبعاد الأخرى.

إذا بدأنا ببُعد التعليم والتعلم نجد أن هناك فرقاً يستحق الاهتمام بين أن نقول «تعليم»، وأن نقول «تعلم» (٣). فالتعليم يتطلب وجود طرفين، في وقت واحد، يقوم أحدهما بتقديم المعارف إلى الآخر ومساعدته على تلقيها. أما التعلم فيتضمن وجود طرف واحد يتلقى المعارف من مصادر مختلفة، دون أن يكون هناك، بالضرورة، طرف آخر



الإنتاج العلمي يعزز التنمية بشتى أشكالها

يُساعده على ذلك. فالأول أقرب إلى الاكتساب الموجه للمعرفة، كما نجد في مراحل التعليم التقليدي المختلفة، والثاني أقرب إلى الاكتساب الذاتي للمعرفة، وهو اكتساب أكثر حرية، وربما أقل التزاماً بالمضمون من الاكتساب الموجه. ولعل الأول يُقدم قاعدة معرفية مبرمجة، في الوقت الذي يسمح الثاني بانطلاق أوسع، يمكن أن يقود إلى استنباط معارف جديدة.

ولا شك أن عملية اكتساب المعرفة تتطلب كلاً من التعليم والتعلم في آن واحد. فإذا كانت القاعدة المعرفية الأساسية المكتسبة بالتعليم هي الضرورة الأولى، فإن التعمق الحر في اكتساب المعرفة بشكل ذاتي هو الضرورة الثانية باتجاه الابتكار والعطاء المعرفيين. وفي إطار مراحل التعليم التقليدية، فإن التوجه نحو زيادة جرعة التعلم الذاتي يُساهم في حفز النشء إلى توليد الأفكار الجديدة، ويُساعد على بناء ثقافة المعرفة. ويُلاحظ أن التقويم المدرسي للطلبة، بل حتى الجامعي في كثير من الأحيان، يعتمد أساساً على تقويم تحصيل الطالب في التعليم المبرمج، ولا يحتل تقويم القدرة على التعلم والإبداع فيه المكانة التي يستحق.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تقويم الطلبة في مرحلة الدراسات العليا من التعليم الجامعي، يُركّز في معايير التعلم الذاتي والابتكار والعطاء المعرفيين. ولا شك أن اعتماد مثل هذه المعايير، ولو جُزئياً في مراحل التعليم المدرسي، ثم الجامعي، يُساهم في كشف طاقات الطلبة، ويُساعد على تنميتها والاستفادة منها، وتغذية مراحل

تسهم المعرفة في صقل شخصية الإنسان وتشكلها

الدراسات العليا، ليس فقط بالمتفوقين في التعليم المبرمج، بل بالمتميزين في التعلم الذاتي، والقدرة على العطاء أيضاً. وقد يُساهم في ذلك جعل أنشطة النوادي العلمية في المدارس والجامعات جُزءاً من المناهج التعليمية، كما قد تُساعد مؤسسات رعاية الموهوبين على توفير التجهيزات والحوافز اللازمة لذلك.

وتوفر تقنيات المعلومات والإنترنت الوسائل اللازمة لتوفير المعرفة، وتعزيز التعلم، ليس الذاتي والحر فقط، بل الموجه أيضاً؛ وذلك من خلال برامج تأهيلية في مجالات مختلفة. وقد أفرزت هذه التقنيات مناهج للتعلم إلكتروني e-learning ومنح درجات علمية؛ وتبني ذلك كثير من الجامعات المرموقة. ويُناقش المقال في المرجع (٣) هذا الموضوع وآفاقه المستقبلية بشيء من التفصيل.

ومن بُعد التعليم والتعلم، وعلاقته بالبعدين الآخرين، ننتقل إلى بُعد البحث والتطوير، وهو طريق توليد المعارف، وبالذات تلك المطلوبة للتوظيف في الإنتاج والخدمات، وتقديم الفوائد التي يحتاج إليها المجتمع. ولا يحتاج دعم البحث والتطوير إلى الاهتمام بمراكز الأبحاث فقط، بل يتطلب أيضاً بناء ثقافة معرفية مُعززة بروح الابتكار، كما يحتاج إلى الاهتمام بالتعليم عموماً، والتعليم الجامعي في الدراسات العليا، والدرجات العلمية البحثية بشكل خاص، فضلاً عن حاجته إلى التفاعل مع الهيئات والمؤسسات التي يمكن أن توظف ابتكاراته، وتستفيد منه؛ أي: أن دعم البحث والتطوير قضية متكاملة، ومتعددة الأطراف، وهذا ما ينطبق



تقويم الطلبة في مرحلة الدراسات العليا من التعليم الجامعي يُركّز في معايير التعلم الذاتي والابتكار والعطاء المعرفيين. ولا شك أن اعتماد مثل هذه المعايير يُساهم في كشف طاقات الطلبة، ويُساعد على تنميتها والاستفادة منها

أيضاً على البُعد الثالث من أبعاد الاهتمام بالمعرفة، وتفعيل دورتها، والاستفادة منها، ألا وهو ثقافة المعرفة .

ترتبط ثقافة المعرفة المعززة بروح الابتكار، كما رأينا سابقاً، بالتعليم والتعلم، وبالبحث والتطوير. ويجب ألاّ يفوتنا في هذا المجال أيضاً، دور الإعلام المطبوع والمسموع والمرئي، والمتوافر على الإنترنت، وكذلك دور مؤسسات رعاية المتميزين، مثل: مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين في المملكة العربية السعودية. فالإعلام ليس فقط وسيلة لنشر المعرفة، بل هو أيضاً وسيلة للتشجيع، ولحفز المبدعين والمبتكرين. فإذا كان لأهل الفن والترفيه حيز كبير في وسائل الإعلام، وبرامج الحفز والمسابقات، فلماذا لا يكون لأهل العلم والابتكار مثل هذا الحيز، خصوصاً أن في إنتاجهم ما يُعزز التنمية بشتى أشكالها. ولاشك أن وجود مؤسسات لرعاية الموهوبين مدعومة من الإدارات الحكومية، والشركات الخاصة، والهيئات المهنية، بل والأفراد، يُساهم في القول لكل متميز: إن المجتمع معه، ومن ورائه في إبداعاته وابتكاراته، وفي تهيئة الفرص له؛ لتحقيق تطلعاته الشخصية، وطموحاته .

والآن وقد طرحنا فيما سبق أسس اختيار المعارف التي ينبغي توظيفها والاستفادة منها، وناقشنا جوانب توليد المعارف ونشرها، يأتي دور التوجه نحو كيفية توظيف هذه المعارف، والوسائل اللازمة لذلك؛ من أجل تعزيز التنمية الوطنية بشتى أشكالها. وسوف نُركز في هذا المجال فيما يُعرف بحدائق التقنية وحاضناتها.

حدائق التقنية وحاضناتها

تكمن العُصارة الأخيرة، والحصيلة النهائية للمعرفة في توظيفها، والاستفادة منها. وبناء على ذلك، فإن مرحلة التوظيف هي المرحلة التي تصب جميع المراحل السابقة نتائجها فيها. وهي لذلك ترتبط بجميع الأطراف، ومختلف التوجهات والأساليب، التي تساهم في اختيار المعارف المناسبة للتوظيف، وفي اكتسابها بالتعليم والتعلم، وفي العمل على تفعيلها من خلال بناء ثقافة المعرفة، واستنباط الجديد والمفيد منها، بالبحث والتطوير والخبرة المعرفية. ونتيجة لهذه الحقائق، ظهرت تجمعات معرفية، غايتها العمل على توظيف المعرفة، من خلال الاهتمام بجميع المراحل السابقة الذكر، التي تؤدي إلى تحقيق هذه الغاية. وتُعرف هذه التجمعات «بحدائق التقنية technology parks».

نشأت حدائق التقنية في الدول الصناعية، من خلال تطور طبيعي، كان يتبع في مسيرته مسيرة التطوير التقني، التي تقودها مراكز الأبحاث العلمية والإبداع التقني في الجامعات، والهيئات التقنية. فقد ظهرت في بعض المناطق تجمعات معرفية من الجامعات، ومراكز البحوث، والمؤسسات الصناعية، والهيئات المهنية، وشركات الخدمات والأعمال التجارية، ضمن بيئة خدمات أساسية متطورة. وقد تميزت حدائق التقنية هذه بأن عملها لم يكن يقتصر فقط على نشر المعرفة، ولا على توليدها، ولا على توظيفها في تقديم منتجات أو خدمات جديدة أو متجددة، ولا على تنظيم معايير هذه المنتجات ومواصفاتها، ولا على إدارتها وتسويقها محلياً ودوليًا، ولا على جني الفوائد والأرباح، بل إن عملها كان يشمل كل ذلك في إطار متكامل من الأنشطة المفيدة.

ويُعطي الجدول (١) تعريفاً عاماً بحدائق التقنية يتضمن أهدافها التنموية، وتكوينها المعرفي المتكامل، والأعمال التي تقوم بها في توليد المعرفة ونشرها، والوصول إلى توظيفها والاستفادة منها (٦، ٧).

ولعل من أبرز أمثلة حدائق التقنية مثال وادي السليكون silicon valley في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، حيث تتجمع الجامعات، والهيئات الصناعية، والشركات المتخصصة في شتى مجالات تقنيات المعلومات. وإذا كان وادي السليكون قد تكوّن من خلال التطور الطبيعي لتقنيات المعلومات، فإن التوجهات الحالية لتطوير حدائق التقنية الحديثة تعتمد على تخطيط موجه، بسبب ما تقدمه هذه الحدائق من تطوير تقني متكامل، يُساهم في تحقيق التنمية المستمرة التي تسعى إليها الدول المختلفة.

وإلى جانب المفهوم الشمولي المتكامل، السابق الذكر، لحدائق التقنية، ظهر مفهوم أقل اتساعاً، وأكثر تركيزاً لهذه الحدائق، سُمي: بحاضنات التقنية technology incubators .

ويُقدم الجدول (٢) تعريفاً بهذه الحاضنات يتضمن، على غرار الجدول (١) الخاص بحدائق التقنية في مفهومها العام، الأهداف التنموية للحاضنات، وتكوينها، والأعمال التي تقوم به (٧، ٨). ولعل ذلك يوضح المفهوم المركز لحاضنات التقنية بالمقارنة مع المفهوم العام لحدائق التقنية.

في إطار المفهوم العام الشامل لحدائق التقنية، يمكن أن

حدائق التقنية: المفهوم العام			
	التعريف	التنمية	الشرح
الهدف	تقديم هيئة معرفية تكاملية تهتم بتفعيل دورة المعرفة لتساهم، من خلال ذلك، في دعم التنمية الوطنية.	اقتصادية	توليد الثروة: تنمية الدخل القومي
		اجتماعية	توفير التأهيل والوظائف للموارد البشرية
		أمنية	زيادة الاعتماد على الذات (الإمكانات المحلية)
		تطويرية	بناء ثقافة معرفية تطويرية تشكل ذخيرة المستقبل
	التعريف		الشرح
التكوين	تجمع لعدد من الهيئات تعمل في بيئة مناسبة	هيئات	مراكز بحوث لتوليد المعرفة وتقديم المبتكرات
			هيئات للتعليم والتدريب: جامعات وكليات ومدارس مهنية
			مؤسسات إنتاجية لتقديم المنتجات الصناعية والزراعية
			مؤسسات خدمية لتقديم الخدمات في شتى المجالات
			هيئات مهنية لوضع المعايير وتنسيق الأعمال والتعاون
			مؤسسات للتسويق والتجارة
		بيئة	قوانين وتشريعات مناسبة
			استثمار
			تخطيط وتنسيق وإدارة وخدمات متطورة
	التعريف		الشرح
العمل	تفعيل دورة المعرفة من أجل التنمية	توليد المعرفة	البحث والابتكار
		نشر المعرفة	التعليم والتدريب
		توظيف المعرفة	نقل المعرفة والخبرات من مراكز البحوث والهيئات التعليمية إلى المؤسسات الإنتاجية والخدمية
			وضع المعايير والمواصفات
			تقديم منتجات وخدمات متميزة
			التسويق والتجارة محليًا وخارجيًا
			التخطيط والإدارة والتنسيق وتقديم الخدمات بفاعلية

الجدول (١): حدائق التقنية: أهدافها، وتكوينها وعملها

حدائق التقنية: مفهوم الحضانة (حاضنات التقنية)			
	التعريف	التنمية	الشرح
الهدف	تأهيل المؤسسات الإنتاجية والخدمية الناشئة، خلال فترة الإنشاء الحرجة، لتصبح قادرة على المساهمة في التنمية.	اقتصادية	توليد الثروة: تحقيق الأرباح
		اجتماعية	توفير التأهيل والوظائف للموارد البشرية
		أمنية	تعزيز الإمكانات المحلية
		تطويرية	زيادة المؤسسات الناجحة
	التعريف	الإمكانيات	
التكوين	تجمع للإمكانيات القادرة على رعاية المؤسسات الناشئة ودعمها	مصادر استثمار وتمويل	
		مراكز عمل (أماكن) ومعدات (وسائل)	
		مصادر معرفية: إدارية وفنية	
		بيئة عمل مناسبة	
العمل	رعاية (حضانة) المؤسسات الإنتاجية والخدمية الناشئة، لمدة زمنية محددة (خلال فترة الإنشاء الحرجة)، ويشمل ذلك تقديم العون في شؤون الاستثمار والتمويل، وإيجاد المكان المناسب، وتوفير المعدات المطلوبة، وتقديم المشورة الفنية (نتائج بحثية قابلة للتوظيف) والإدارية، وتوفير بيئة عمل مناسبة، بما يؤهل هذه المؤسسات للعمل والنجاح بشكل مستقل بعد فترة (الحضانة) المحددة.		

الجدول (٢): حاضنات التقنية: أهدافها، وتكوينها، وعملها

نعدّ حاضنات التقنية من العناصر المكونة لهذه الحدائق، ضمن المكونات المختلفة الأخرى، تساهم في تفعيل دورة المعرفة التقنية، والاستفادة منها في التنمية. أما في إطار المفهوم الدقيق والمُركّز فإنه يمكن أن نعدّ حاضنات التقنية حدائق تقنية متخصصة في حضانة المؤسسات التقنية، الصغيرة والمتوسطة الحديثة الإنشاء أو رعايتها، خلال فترة الإنشاء الحرجة، وذلك من أجل تمكينها من الاستمرار والتطور بعد هذه الفترة. وتتضمن أعمال رعاية المؤسسات الناشئة التي تقدمها هذه الحاضنات المساعدة على إيجاد مصادر التمويل، والمساندة الإدارية والفنية، والخدمات المكتبية، بما في ذلك تأمين المساحات والمعدات اللازمة لعمل الحاضنة، في إطار مشترك، مع مؤسسات مثيلة أخرى.

وكثيراً ما يُستخدم تعبير حديقة تقنية ليعني حاضنة تقنية، ويعود ذلك إلى أن الحديقة هي الأوسع والأعم، ومن ثم تعدّ الحاضنة حديقة محدودة ومركّزة، بمعنى الانتقال المقبول منطقياً من العام إلى الخاص، ولكن لا يُستخدم وصف حاضنة تقنية ليعني حديقة تقنية؛ لأن الانتقال من الخاص إلى العام غير مقبول منطقياً.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً من المصطلحات الأخرى المكافئة، أو المقاربة، لمصطلح حدائق التقنية، في مفهومه العام، أو حتى في مفهوم يرتبط به، ويُركز في نواحٍ معرفية معينة دون أخرى. ومن هذه المصطلحات مصطلح حدائق العلوم science parks، ومصطلح حدائق البحوث research parks، ومصطلح أقطاب التقنية tech-no-poles، إضافة إلى عدد من المصطلحات الأخرى (٧).

وهناك عدة مؤسسات دولية تهتم بحدائق التقنية بشتى أنواعها واهتماماتها المعرفية العامة أو الخاصة. ومن أبرز هذه المؤسسات: «الهيئة الدولية لحدائق العلوم IASP، وهيئة حدائق البحوث الجامعية AURP» في أمريكا (٩، ١٠)، و «هيئة الحدائق العلمية في المملكة المتحدة UKSPA» (١١)، و «المركز الثقافي البريطاني Brit-ish Council في بريطانيا» (١٢)؛ إضافة إلى «منظمة

الهيئة	عدد الأعضاء		الدول العربية الأعضاء
	مراكز (حدائق)	دول	
الهيئة الدولية لحدائق العلوم IASP هيئة حدائق البحوث الجامعية AURP	١٢٠ (عام ١٩٩٤م) ٢٥١ (عام ٢٠٠٢م)	٦٣ (عضوية مشتركة)	الإمارات، البحرين، تونس، عُمان، لبنان، الكويت، السعودية.
هيئة الحدائق العلمية في المملكة المتحدة UKSPA	٢ (عام ١٩٨٢م) ١٠٠ (عام ٢٠٠٢م)	العضوية: الأعضاء الأساسيون من بريطانيا وأيرلندا، ومُشاركون من الدول الأخرى.	
المركز الثقافي البريطاني British Council	هيئة بريطانية منتشرة في جميع أنحاء العالم تهتم، بين اهتماماتها الأخرى، بحدائق التقنية على مستوى العالم وتعاونها مع بريطانيا.		
اليونسكو UNESCO	منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم المسؤولة عن تفعيل دورة المعرفة على مستوى العالم.		

الجدول (٣): المؤسسات الدولية المهتمة بحدائق التقنية وحاضناتها

الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم UNESCO» (١٣). ويُقدم الجدول (٣) تعريفاً بهذه المؤسسات.

ويُظهر الجدول (٣) أن بعض الدول العربية بدأت بالاهتمام بحدائق التقنية وحاضناتها، وحصلت على العضوية المشتركة لكل من الهيئة الدولية لحدائق العلوم IASP و هيئة حدائق البحوث الجامعية AURP. ويدل ذلك على الوعي، ليس فقط بمسألة «توظيف المعرفة» والاستفادة منها، بل بضرورة التوجه نحو استخدام الوسائل والأساليب الحديثة في هذا المجال، لكن المطلوب لا يزال أكثر مما هو قائم، فإذا رضينا بما هو قائم تلاشت إرادة التطوير.

وهكذا نصل إلى ختام المقال، بعد أن قدمنا أسس اختيار المعارف التي ينبغي توظيفها، وطرحنا جوانب توليد المعارف ونشرها، وتطرقنا إلى دور حدائق التقنية وحاضناتها في كيفية توظيف هذه المعارف، والعمل على الاستفادة منها. ولنا في هذا الختام بعض الملاحظات والتعليقات.

آفاق المستقبل

ليست حدائق التقنية وحاضناتها إبداعاً جديداً غير مسبوق، فما يُماثلها موجود على نطاق واسع، وفي شتى أنحاء العالم، في إطار تخصص علمي مُحدد هو الخدمات الطبية. ففي هذا الإطار، تُعدّ كليات الطب والمستشفيات التعليمية ومراكز البحوث فيها، وما يتبعها من معاهد للدراسات الطبية المساندة، وما يُبنى من حولها من عيادات خارجية، مثالاً من الأمثلة الواضحة على الحدائق العلمية، التي تتفاعل داخلها دورة المعرفة، بشكل مُتكامل، لتقدم فوائد ملموسة للمجتمع، من خلال الخدمات الصحية التي تُقدمها. لكن الكليات العلمية الجامعية الأخرى تفتقر إلى هذا التكامل في دورة المعرفة، إلا في الجامعات والكليات التي نجحت في الانتماء إلى حديقة تقنية، أو في تكوين حديقة أو حاضنات تقنية خاصة بها.

ولا شك أن تكوين الحدائق التقنية بأشكالها العامة والخاصة بات ضرورة في عصر أصبحت المعرفة فيه هي رأس المال الأول للتنمية والمنافسة والتقدم. ويكتسب ذلك أهمية خاصة في إطار المعارف التي يحتاج إليها المجتمع، سواء تلك المرتبطة باحتياجاته المحلية، أو التي تُعطيه



القدرة على المنافسة في الأسواق الخارجية، أو التي تساعده على استغلال ثرواته الطبيعية، أو التي تُعزز كفاءته في العمل والإنتاج. ولابد من الإشارة هنا إلى أن تكوين هذه الحدائق يجب ألاّ يكون غاية في حد ذاتها، بل أن يكون وسيلة: بمعنى أن يكون ناتجاً من خطط تنموية، تستطيع هذه الحدائق أن تعطيها أسباباً للنجاح.

ولعل أهم ما يمكن أن يُقال بعد كل ما سبق، هو ضرورة الاهتمام بالمعرفة بشكل مُتكامل، وليس بشكل مُجزأ، من أجل الاستفادة منها في التمية والتُقدم. فالاهتمام المتكامل هو اهتمام بالتعليم ونشر المعرفة، واهتمام بثقافة المعرفة، والتشجيع على الإبداع والابتكار، واهتمام بالبحث العلمي وتوليد المعرفة، واهتمام بتوظيف الإمكانيات المعرفية والاستفادة منها، واهتمام باستخدام الوسائل المساعدة بما في ذلك تقنيات المعلومات، واهتمام بالأساليب الحديثة مثل حدائق التقنية وحاضناتها: كل ذلك في إطار خطط تقوم باختيار المعارف ذات الأولوية في إطار التنمية، وتعمل على الربط بين الأطراف المعرفية، وتوحيد توجهاتها.

المراجع

١. سعد علي الحاج بكري، «هل نمتلك خطة لإيجاد مجتمع المعرفة»، مجلة المعرفة (وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية)، العدد ١١٠، جمادى الأولى ١٤٢٥ / يوليو ٢٠٠٤، الصفحات: ٩٤-١٠١.

٢. سعد علي الحاج بكري، «دعم الابتكار وتوظيفه لبناء مجتمع المعرفة»، مجلة الفيصل (دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية)، سيُنشر قريباً.

٣. سعد علي الحاج بكري، «التعلم إلكترونياً ودوره في بناء مجتمع المعرفة»، مجلة الفيصل (دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية)، سيُنشر قريباً.

٤. سليمان إبراهيم العسكري، «ماليزيا - مهاتير: إجابة على سؤال محوري»، مجلة العربي (وزارة الإعلام بدولة الكويت)، العدد ٥٥٢، رمضان ١٤٢٥ / نوفمبر ٢٠٠٤، الصفحات: ٨-١٥.

٥. الشركة العربية السعودية للصناعات الأساسية (سابك)، الرياض، المملكة العربية السعودية: www.sabic.com

6-Internet Search for _Technology Parks_: www.msn.com (580,824 pages);

7-www.yahoo.com (2,910,000 pages); www.google.com (14,900,000 pages). Briggs AT and Watt S. Reports created in impacts of national information technology environment on business, MBA classes of American University, Washington D.C., 2001.

8-Internet Search for _Technology Incubators_: www.msn.com (30,696 pages); www.yahoo.com (377,000 pages); www.google.com (471,000 pages).

9-International Association of Science Parks: www.iasp.ws

10-Association of University Research Parks: www.aurp.net

11-UK Science Parks Association: www.ukspa.org.uk

12-British Council www.britishcouncil.org

13-UNESCO www.unesco.org





عقود المعاملات الحديثة: البطاقات البنكية أنموذجاً

عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان

مكة المكرمة ـ السعودية

كثرت الأموال، وتنوعت، واتسعت التجارات، وتعددت أساليبها وأدواتها، وأصبحت لها عقودها المستجدة، صيغها، وأساليبها المبتكرة.

وقد وضع الشرع الإسلامي للمعاملات المالية قواعد وضوابط محددة في صيغ متعددة، وأساليب متنوعة، هي أصول، وقواعد يقاس عليها، تجعل المجال مفتوحاً لإنشاء عقود جديدة من شأنها أن تسهم في ازدهار المجتمعات على اختلاف أزمنتها، وأماكنها، تصب جميعها في مصلحة الناس، وتحقيق رغباتهم المشروعة من تملك، وتنمية، واستثمار في إطار تلك القواعد. ملك الغرب في القرون المتأخرة زمام التجارات، وابتكر عقوداً من المعاملات ليس للمجتمعات الإنسانية، فضلاً عن الأمة الإسلامية بها سابق عهد، لم يكن ثمة خيار إلا السير والمجاراة، والأخذ بمبادئه، وقوانينه، وهو ما عاشه المسلمون عقوداً من السنين في القرن الماضي الرابع عشر الهجري، حتى هيأ المولى جل وعلا في الربع الأخير منه نخبة من الاقتصاديين الغيورين من أبناء الأمة الإسلامية، فأوجدوا البنوك الإسلامية محضناً للمعاملات الإسلامية، وجسراً يعبرون عن طريقها إلى الاقتصاد الحديث، متوخين في حرص المبادئ الشرعية في المعاملات المالية الحديثة، لتتطابق مع مبادئه وقواعده ونظمه.



صيغ شرعية

خطت البنوك الإسلامية في هذا المجال خطوات ناجحة، وسعت سعياً حثيثاً إلى ابتكار أدوات إسلامية، وصيغ شرعية، تحقق الربح لها وللمستثمرين الذين يتحرون الكسب الحلال، وذلك من خلال الدراسات البحثية، واللجان الشرعية المتخصصة، والمراجعات المستمرة لأعمالها البنكية، بل إن المجامع الفقهية في كل من منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أصبحت رافدًا مهمًا لتفعيل فقه المعاملات في الشريعة الإسلامية، وتوظيفه التوظيف الأمثل لإيجاد أدوات مالية إسلامية تحقق الربحية المشروعة، والاستثمار الحلال، فظهرت القرارات، والتوصيات المجمعية نتيجة دراسات موسعة، واجتهاد جماعي مبني على التصور الاقتصادي من متخصصين في الاقتصاد الوضعي والإسلامي مع فقهاء بارزين متمرسين.

إن الدراسات التي يقوم بها المجمعان: مجمع منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، أصبحت خير عون بعد توفيق المولى جل وعلا للمؤسسات المالية، والبنوك



البطاقات البنكية تستخدم في أصغر الصفقات وأضخمها

الإسلامية في تعاملها، واعتماد ما يصدر عنهما، مما بث الثقة والاطمئنان، وحقق الكثير من الغايات والأهداف.

المؤتمرات والندوات الدولية، والقطرية للاقتصاد الإسلامي رديف قوي للمؤسسات الإسلامية المالية، وتوجيهها التوجيه الصحيح لتوظيف الفقه الإسلامي في مجال المعاملات المالية بطرائق شرعية، وإحيائه، وإخراجه من صورته التقليدية إلى مجال الحياة الحاضرة الواسعة.

أسهمت تلك الجهود في بناء اقتصاد إسلامي متميز عن النظم المالية المعروفة من رأسمالية، واشتراكية، وشيوعية، تنظيراً، وتطبيقاً.

أضافت هذه الدراسات الكثير من الأدوات المالية الحديثة، المستقاة من الفقه الإسلامي، والأخرى من الاقتصاد الوضعي المعدلة بما يتناسب والقواعد الشرعية، من ذلك، على سبيل المثال: عقد التوريد، الملكية المتناقصة،

في غمرة الإغراق في التنظير والنظريات نسينا على فترة طويلة من الزمن ما نبّه عليه بعض النابهين من الفقهاء من حث المتصدين للفقه والإفتاء على الأخذ بنصيب من العلوم التطبيقية الرياضية، والطبية، والهندسية



استخدام التقنية في كل مناحي الحياة

الشركة المتناقصة، السلم الموازي، العقود المركبة، الإجارة المنتهية بالتمليك، المرابحة، التأمين التعاوني، التورق، عقد (البناء، والتمليك، والبيع) الذي يرمز إليه بـ BUILT - OPERATE & :(B.O.T) TRANSFER PROJECTS وغيرها من الأدوات التي تُفَعِّلها البنوك الإسلامية تحت نظر الرقابة الشرعية المتخصصة، إلى جانب العقود التقليدية: كعقد البيع، والإجارة، وشركة المضاربة، وعقد السلم، والرهن، وغير ذلك.

خصائص الفقه المالي الإسلامي

أدت هذه الدراسات النظرية والتطبيقية إلى نقلة نوعية للفقه الإسلامي في مجال فقه المعاملات، فظهرت المؤلفات، والبحوث التي أبرزت خصائص الفقه المالي والاقتصادي في الإسلام، وتأسست من أجل هذا مراكز البحوث، وأقسام الاقتصاد الإسلامي في الجامعات، فأثْرَت هذا الجانب ببحوث ودراسات مستفيضة.

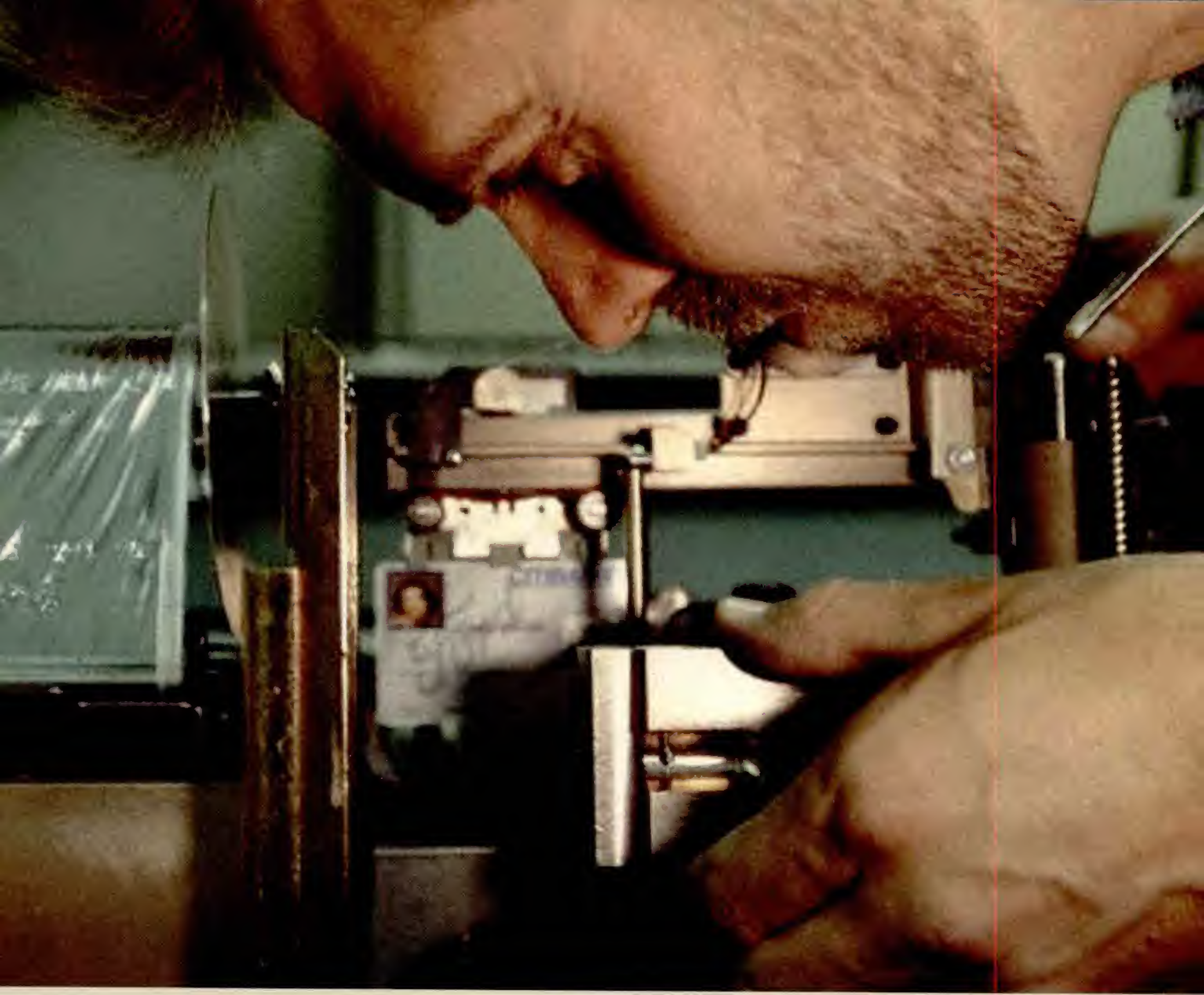
وبفضل من الله جل وعلا أصبحت المؤسسات المالية الإسلامية عامل جذب للمال الإسلامي، وللبنوك التقليدية الوضعية في شتى أنحاء العالم، والأخذ بالطرائق الشرعية الصحيحة التي تضمن المحافظة على أموالهم: «كي لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة، إبطالاً عن غفلة، أو عن استزلال هوى، وباطل شهوة... » (١).

من البديهيات المسلمة فقهاً في الفتوى: مراعاة الفقيه اختلاف الزمان والمكان، والعرف. يؤكد هذا الفقهاء النابهون. يقول العلامة ابن القيم: "مهما تجدد العرف فاعتبره، ومهما سقط فألغه،ولا تجمد على المنقول في الكتب"

ليس صعباً على الفقيه المتمرس المؤهل علمياً، العارف بالمقاصد الشرعية، والقواعد الفقهية العامة أن يتوصل إلى الأحكام المناسبة للنوازل العصرية، وفي مقدمتها المعاملات الحديثة على أسس شرعية سليمة؛ فإن من إعجاز الشريعة الإسلامية أنها تتعامل مع كل موضوع فقهي مالي، أو اجتماعي، أو ثقافي، أو سياسي، أو صحي، أو بيئي بما يناسبه من تشريعات.

معروف بداهة في الشريعة الإسلامية أن العبادات تخص المولى جل وعلا، شرعها وارتضاها، فلا يتدخل فيها اجتهاد البشر بزيادة أو نقص.

المعاملات المالية شأن البشر تخضع لتصرفاتهم اليومية، وتطوراتهم الاجتماعية، شرع لهم القواعد العامة، والأصول التي تضمن لأموالهم السلامة والصلاح والنماء، ثم أطلق لهم عنان الفكر، شريطة عدم خرق أصل أو قاعدة من قواعده الشرعية.



امتلك الغرب ناصية التقنية فسبقنا

يقول العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، رحمه الله تعالى:

«وإذا جاز لنا أن نثبت أحكاماً تعبدية لا علة لها، ولا يُطلع على علتها، فإنما ذلك في غير أبواب المعاملات المالية، والجنائية، فأما هذان فلا أرى أن يكون فيهما تعبدي، وعلى الفقيه استنباط العلل فيها، ولذلك جزم مالك وأبو حنيفة بالقياس على الأصناف الستة الربوية باستنباط علة لتحريم ربا الفضل فيها، إلا أن جميعهم إنما استنبط لها علة ضابطة، ولم يبينوا لها حكمة» (٢).

للوصول إلى فقه إسلامي يواكب النهضة الاقتصادية الحديثة لابد أن يضع الفقيه نصب عينيه المقاصد الشرعية في بحوثه، ودراساته، فضلاً عن فتوى المستفتين.

من المهم أن نتعرف في البداية إلى الآلية التي يتوصل بها إلى الحكم الشرعي في المعاملات المالية، والعقود الحديثة في مجمع منظمة المؤتمر الإسلامي بخاصة، حتى يكون تمام التصور، والمجمع معني في الدرجة الأولى بالعقود الجديدة، لبحثها، وكتابة البحوث العلمية فيها، ثم إصدار القرارات، والتوصيات بخصوصها.

المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام، أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل: مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه، أو مصلحة تندفع به

يجمع للموضوع الذي يراد دراسته اقتصادياً، أو طبياً، أو اجتماعياً نخبة من المتخصصين في موضوع الدراسة، مزودون ببحوثهم، ودراساتهم لعرضها على فريق من الفقهاء المتخصصين، وحين يتم العرض يفسح المجال للفقهاء للنقاش، وطرح الأسئلة، حتى إذا اتضح الموضوع لدى الفقهاء، كلفوا بكتابة بحوثهم، وإسقاط الأحكام الشرعية الملائمة لها، ثم تقدم البحوث إلى المجمع، وعرضها على لجان متخصصة لدراستها، ثم في دورة سنوية يبدأ عرض البحوث بصورة جماعية للتوصل إلى رأي جماعي، أو أغلبي في أدنى درجاته.

طرائق وآليات

عقود المعاملات الحديثة، والقضايا الطبية هي الأكثر إلحاحاً في وقتنا الحاضر، تكاد تكون شغل الفقهاء الباحثين، وقد وفقت المجامع الفقهية في إيجاد الطرائق والآليات التي تتمكن بها من إصدار القرارات الموفقة المناسبة، وهذا يقودنا إلى الحديث عن الوسائل والسبل التي يتوصل بها إلى التعرف إلى الأحكام الشرعية المناسبة في عقود المعاملات الحديثة.

إنه من نافلة القول الحديث عن التأهيل العلمي للفقيه الذي يتصدى للقول والإفتاء في هذه الموضوعات والقضايا، وكفاءته في الدراسات اللغوية، والبلاغية، وإجادته علم أصول الفقه وقواعده، ... إلخ، ما هو مدون في علم أصول الفقه.

اختلاف الزمان والمكان

وفي غمرة الإغراق في التنظير والنظريات نسينا على فترة طويلة من الزمن ما نبّه عليه بعض النابهين من الفقهاء من حث المتصدين للفقه والإفتاء على الأخذ بنصيب من العلوم التطبيقية الرياضية، والطبية، والهندسية؛ فإنها معظم المشكلات الاجتماعية، يقول العلامة شهاب الدين القرافي ـ رحمه الله تعالى: «وكم يخفى على الفقيه والحاكم الحق في المسائل الكثيرة بسبب الجهل بالحساب، والطب، والهندسة، فينبغي لذي الهمم العالية ألاّ يتركوا الاطلاع على العلوم ما أمكنهم...» (٣).

ومن البدهيات المسلمة فقهاً في الفتوى: مراعاة الفقيه اختلاف الزمان والمكان، والعرف، يؤكد هذا الفقهاء النابهون، يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى :

«مهما تجدد العرف فاعتبره، ومهما سقط فألغه، ولا تجمد على المنقول في الكتب»، بل إذا جاءك رجل من غير إقليمك يستفتيك فلا تجره على عرف بلدك، وسله

معرفة المقاصد الشرعية وتبنيها فقهاً في جميع القضايا والأحكام يكسبان القدرة على الموازنة بين المصالح والمضار، فيقدم الأهم على المهم، والأكثر مصلحة، والأخف ضرراً على ما سواها، فيتفادى التعارض فيما لو ظهر له تعارض بين مقصد ومقصد

عن عرف بلده فأجرِه عليه، وأفته به دون عرف بلدك، والمذكور في كتبك، قالوا: فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين، والسلف الماضين...» (٤).

أسس

الحديث هنا فيما يتعلق بعقود المعاملات المالية بخاصة، النظر فيها ينبغي أن يكون مبنياً على الأسس الآتية:

أولاً: التصور الكامل، والتحليل العلمي الاقتصادي للعقد، ومعرفة جوانبه، وأبعاده؛ بحيث يتم التفهم كاملاً لمداخله، ومخارجه، وكافة أموره.

ثانياً: معرفة العلاقة الفقهية (القانونية) بين أطراف العقد، أهي علاقة بائع ومشترٍ؟ أم هي علاقة مقرض ومقترض، أم علاقة راهن ومرتهن؟ مودع ومودع عنده؟ وغير ذلك.

إذا اتضحت هذه العلاقات أمكن بجلاء ووضوح التوصل إلى الحكم الشرعي الصحيح، ومن دونها يكون الحكم ضرباً من الوهم، والجرأة على شريعة الله جل وعلا بغير علم، ولا بصيرة.

ثالثاً: مراعاة المقصد الشرعي بخصوص المعاملة المطروحة للسؤال، أو النقاش إيجاباً أو سلباً تحريماً، أو كراهة، وهو ما ينبغي تحريه في كل مسألة شرعية؛ ذلك أن الحكم من دون مراعاة المقصد الشرعي تفريغ له من أهم عناصره، وأعظم مقوماته، وهذا يقودنا إلى الكلام عن أهمية المقاصد الشرعية بالنسبة إلى قضايا الفقه الإسلامي بعامة، التي هي الأمل في اجتهاد جديد يواكب تطور العصر وتقدمه.

علم واستنباط

المقاصد الشرعية المصباح إلى مراد الشارع الحكيم

من تشريعاته، يجد فيها الفقيه العون الأكبر لاستنباط أحكام صحيحة لتوقيعها على المكلفين دون حرج أو عنت.

نوه كبار العلماء المجتهدون بأهمية إدراك الفقيه المقاصد الشرعية في عبارات وأساليب مختلفة، يقول العلامة أبو إسحاق الشاطبي - رحمه الله تعالى: «إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين:

أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها...» (٥).

ومن ثم يعزو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني - رحمه الله تعالى - تخبط بعض الفقهاء، وبعض المذاهب في بعض الأحكام الشرعية إلى إغفالهم المقاصد الشرعية، فيقول:

«ولينظر كيف اختبطت المذاهب على العلماء لذهولهم عن قاعدة المقاصد، وهي سر الأوامر، والنواهي» (٦). إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تفيد أهمية توخي المقاصد في الأحكام، والفتيا.

سلك الفقهاء من الصحابة والتابعين، والأئمة من بعدهم، هذا المنهج، ومن ذلك:

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لايبع أحدكم على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا بإذنه» رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه.

كما هو واضح «فإن النص ورد بمنع أن يبيع الرجل على بيع أخيه مطلقاً، ففسره الفقهاء، وحددوا نطاق تطبيقه في ضوء المصلحة التي قصد به تحقيقها، وهي المحافظة على المودة، والأخوة (٧) وإنما يمنع من ذلك بعد استقرار الثمن، وركون أحدهما إلى الآخر» (٨).

معرفة المقاصد الشرعية وتبنيها فقهاً في جميع القضايا والأحكام يكسبان القدرة على الموازنة بين المصالح، والمضار، فيقدم الأهم على المهم، والأكثر



ساهمت الصرافات في حفظ الأموال من السرقة

مصلحة، والأخف ضرراً على ما سواها، يتفادى التعارض فيما لو ظهر له تعارض بين مقصد ومقصد (٩).

«العلم بالمقاصد العامة يعين على استنباط حكم ما لم ينص على حكمه، أو يجمع عليه من الوقائع، وبيان ذلك:

أن الفقيه إذا عرض عليه واقعة جديدة لا نص من الشارع على حكمها، ولا إجماع عليها من أهل العلم، بحث لها عن حكم يكون متفقاً ومقاصد الشرع؛ وذلك بأن يكون هذا الحكم محققاً لمصلحة شهد الشرع لعينها بالاعتبار، وهو ما يسمى بالقياس في اصطلاح أهل الأصول، أو محققاً لمصلحة من جنس المصالح التي دلت النصوص على اعتبارها كحكم الصحابة رضوان الله عليهم بتضمين الصناع ما يتلف بأيديهم من السلع محافظة على الأموال، وحكمهم بقتل الجماعة بالواحد إذا اشتركوا في قتله؛ حفظاً للأرواح، وحفظ المال والنفس من المصالح الكلية التي لاحظها الشارع في تشريعه، وسار على وفقها في تفريع الأحكام...

وهذا الضرب من الاجتهاد هو ما يسمى بالمصالح

إذا لم يكن لحامل البطاقة رصيد، أو له رصيد، ولكن لا يسحب مصروفاته من رصيده، وإنما تسدد على أنها دين يدفعها في مقابلها زيادات ربوية (فوائد) فإن كلتا الحالتين قد خرقتا أصلاً شرعياً فهما من قبيل القرض بفائدة ربوية، المحرمة بإجماع المسلمين



استعمال البطاقات البنكية صورة جديدة من العقود

المرسلة، أي المطلقة عن شاهد من الشرع يشهد لعينها بالاعتبار، وإن قد شهد لجنسها بالاعتبار لمجموع أدلة، وتفاريق أمارات يحصل من مجموعها علم، أو ظن قوي بأنها مقصود للشارع جلبها» (١٠).

البطاقات البنكية على اختلاف أنواعها، هي سيدة الموقف في التعامل بيعاً وشراءً، إجارة وتأجيراً، وفي جميع التعاملات المالية في الوقت الحاضر، ولا ينكر أحد أهميتها، فقد أصبحت الوسيلة المثلى في الاعتماد عليها في الحضر والسفر، والحل والترحال، والتجارات

هذا عن أهمية المقاصد الشرعية بعامة لبناء الأحكام، وتتطلب المناسبة التركيز في:

المقصد الشرعي في الأموال:

«المقصد الشرعي في الأموال كلها خمسة أمور: رواجها، وضوحها، حفظه، ثباتها، العدل فيها.

فالرواج:

دوران المال بين أيدي أكثر من يمكن من الناس بوجه حق، وهو مقصد عظيم شرعي، دل عليه الترغيب في المعاملة بالمال، ومشروعية التوثق في انتقال الأموال من يد إلى أخرى، ومحافظة على مقصد الرواج شرعت عقود المعاملات لنقل الحقوق المالية بمعاوضة، أو تبرع... وتسهيلاً للرواج شرعت عقود مشتملة على شيء من الغرر...؛ ولأجل مقصد الرواج كان الأصل في العقود

المالية اللزوم دون التخيير إلاّ بشرط...

ووضوح الأموال:

وذلك بإبعادها عن الضرر، والتعرض للخصومات بقدر الإمكان، ولذلك شرع الإشهاد، والرهن في الدين...

وأما حفظ الأموال:

فأصله قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾. النساء: ٢٩.

وأما إثبات الأموال:

فهي تقررها لأصحابها بوجه لا خطر فيه، ولا منازعة... وتقريراً لهذا المقصد قررت الشريعة التملك الذي حصل في زمان الجاهلية بأيدي من صار إليهم منها...

العدل فيها:

يكون بحصولها بوجه غير ظالم، وذلك إما أن تحصل

البطاقات البنكية سيدة الموقف



المقاصد الشرعية المصباح إلى مراد الشارع الحكيم من تشريعاته. يجد فيها الفقيه العون الأكبر لاستنباط أحكام صحيحة لتوقيعها على المكلفين دون حرج أو عنت

بعمل، وإما بعوض من مالكها، أو تبرع، وإما بإرث.

ومن مراعاة العدل حفظ المصالح العامة، ودفع الأضرار، وذلك فيما يكون من الأموال تتعلق به حاجة طوائف من الأمة لإقامة حياتها...»(١١).

هذه جملة منتخبة، موجزة لأهمية المقاصد الشرعية لإيجاد أحكام شرعية سليمة في قسم المعاملات بخاصة.

رابعاً: مطابقة العقد للقواعد والأصول الشرعية.

إذا اعتمدنا البطاقات البنكية أنموذجاً لعقود المعاملات الحديثة فلأمور أهمها:

أولاً: أصبح التعامل بها شائعاً ذائعاً عالمياً، تتضاعف أعداد الحاملين لها في بلادنا، خصوصاً عندما يبدأ موسم الإجازات، وتنشط معه حركة السياحة في جميع أطراف العالم، يتبع هذا انطلاق أنواع من التجارات والصناعات ذات العلاقة بالتحرك البشري جواً، وبراً، وبحراً على امتداد خريطة الكرة الأرضية.

إنها تأتي بديلاً عن استعمال النقود في المبادلات التجارية، فحلت محلها في أصغر الصفقات، وأضخمها، فهي مقدمة لاختفاء النقود وسحب البساط من تحتها، وهذا كما لا يخفى يترتب عليه أمور شرعية كثيرة.

ثانياً: إن استعمال البطاقات البنكية في المبادلات المالية يمثل في جوهره صورة جديدة من العقود في



البطاقات البنكية ليست كلها حلالاً، وليست كلها حراماً

الشكل والمضمون، يتمثل فيها أكثر من طرف، ومن هنا فإنها تشكل أكثر من عقد، ولكل عقد أحكامه والتزاماته.

ثالثاً: يعد الاعتماد على البطاقات بجميع أنواعها في المبادلات التجارية، وقضاء الحاجات اليومية مرحلة مهمة في تاريخ النقود، بعد أن كان النقدان الذهب والفضة، والفلوس هي عصب التبادل التجاري والمالي، ثم استبدل بها أوراق البنكنوت، ثم حل محلها البطاقات اللدائنية.

البطاقات البنكية على اختلاف أنواعها، (فيزا، ماستر كارد، أمريكان إكسبرس، دينرز كارد)، وغيرها التي تسير على منوالها هي سيدة الموقف في التعامل بيعاً وشراءً، إجارة وتأجيراً، وفي جميع التعاملات المالية في الوقت الحاضر، لا ينكر أحد أهميتها، فقد أصبحت الوسيلة المثلى في الاعتماد عليها في الحضر والسفر، والحل والترحال، والتجارات، وربما يرفض ما سواها في الحصول على بعض أمور الحياة الاجتماعية مثل:

الحجز في الفنادق، استئجار وسائل النقل، بل لها الأفضلية في الدفع في الكثير من المحلات التجارية لأسباب أمنية، ومحاسبية.

أصبح الحصول على واحدة من هذه البطاقات شائعاً، وضرورة على المستوى العالمي، وإن كان بعضهم يعدها مظهراً اجتماعياً للتميز، والتفاخر.

خامساً: النظر في مآلات الأحكام، ونتائج تصرفات المكلفين:

الفقيه الفطن هو الذي ينظر بعين البصيرة إلى النتائج المستقبلية، والاجتماعية، والشرعية، التي تترتب على مقالته، أو فتواه في تصرفات المكلفين: فلابد أن يتحقق من



يحقق البيع بالبطاقة رواجاً للسلع

سلامة النتائج، ويتأكد من عدم اتخاذ مقالته، أو فتواه ذريعة إلى باطل، وجسراً إلى ارتكاب المحظور، مراعياً في هذا الحالة الاجتماعية، والدينية بعامة، ملاحظاً توجه المكلف صاحب القضية من التزام، أو تفريط.

نبه على أهمية هذا العنصر الأئمة المجتهدون، وأعلام الفقه الإسلامي، يقول العلامة أبو إسحاق الشاطبي - رحمه الله تعالى -: «النظر في مآلات الأفعال معتبر

البيع بالبطاقة يحقق الرواج للسلع: ذلك أن التاجر المشترك في عضوية هذه البطاقات يحقق مبيعات أكثر من سواه. فهي في جميع الحالات. ومع كل الأطراف عنصر أداء آمن للمتعامل بها مستهلكاً، أو تاجراً. وفي الوقت نفسه. فإن حقوق أطرافها واضحة وثابتة

مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة، أو مخالفة؛ وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام، أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل: مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه، أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك.

فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة إلى مفسدة تساوي المصلحة، أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية فربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي، أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق، محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة» (١٢).

في ضوء تلك المعايير في التأسيس لأحكام شرعية لعقود المعاملات المالية الحديثة يتم النظر في (البطاقات البنكية: الإقراضية، والسحب المباشر من الرصيد) لمعرفة مدى مطابقتها في العرض الآتي:

أولاً: التصور الكامل لعقد البطاقة:

الرواج: دوران المال بين أيدي أكثر من يمكن من الناس بوجه حق. وهو مقصد عظيم شرعي. دل عليه الترغيب في المعاملة بالمال. ومشروعية التوثق في انتقال الأموال من يد إلى أخرى

أ- الراعي لإصدار البطاقة: فيزا، أمريكان إكسبرس.

ب- البنوك المحلية المخولة بإصدار البطاقة من قبل فيزا.

ج- حامل البطاقة.

د- التاجر.

ثانياً: العلاقة الفقهية بين هؤلاء الأطراف:

ا- البنك المحلي وكيل عن الراعي لإصدار البطاقة، وهذا يعتمد على اتفاق يتم بين الموكل (الراعي لإصدار البطاقة)، والوكيل (البنك المخول لإصدار البطاقة).

ثالثاً: حامل البطاقة وهو على قسمين:

إما أن يكون له رصيد بالبنك، فتكون علاقته مع البنك علاقة (مودع، ومودع عنده)، وإما ألاّ يكون له رصيد، فتكون العلاقة بينه وبين البنك علاقة (مقترض بمقرض)، وفي كلتا الحالتين هو وكيل عن حامل البطاقة في تسديد ما عليه، واستيفائه قيمة مشترياته من رصيده إن كان له رصيد، أو إقراضه إن لم يكن له رصيد (مديناً).

رابعاً: التاجر علاقته بالبنك علاقة ضمان لقيمة مشتريات حامل البطاقة، وكذلك يكون وكيلاً عن التاجر في قبض حقوقه من حامل البطاقة.

هذا مجمل العلاقة الشرعية القانونية بين أطراف عقد البطاقة البنكية على اختلاف أنواعها، ومن خلال تحديد هذه العلاقات يتبين الحلال المباح من هذه العقود لدى فرض العمولات في كل حالة على حدة.

ثانياً: تحقق المقاصد الشرعية في استعمال البطاقات البنكية:

لا شك أنها تحقق الكثير من المقاصد الشرعية مثل: حفظ الأموال، سواء لحامل البطاقة، أو التاجر، أما بالنسبة إلى الأول، فإنه لا يخشى على ماله من السرقة، والتاجر لا يخشى من سطوة السارقين، كما

أن البيع بالبطاقة يحقق الرواج للسلع؛ ذلك أن التاجر المشترك في عضوية هذه البطاقات يحقق مبيعات أكثر من سواه، فهي في جميع الحالات، ومع كل الأطراف عنصر أداة آمن للمتعامل بها مستهلكاً، أو تاجراً، وفي الوقت نفسه، فإن حقوق أطرافها واضحة وثابتة، وقد وضع لاستعمال البطاقة من الضوابط المستندية ما يمنع من الخصومة بين أطرافها، فهي تثبت لكل طرف حقه بوجه لا خطر فيه، ولا منازعة، إلى غير ذلك مما يذكر في فوائدها التي تتفق مع مقاصد شرعية كثيرة .

ثالثاً: مطابقة عقد البطاقة للقواعد والمبادئ الشرعية:

هذا هو مربط الفرس، ينبغي أن نتذكر دائماً أن الإطلاق في الأحكام الشرعية سبيل الخطأ، وينبغي ألاّ يتصدر الفتاوى والأحكام من ليس كفؤاً لها، محققاً متطلباتها، يقول المولى جل وعلا: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾. النحل:١١٦.

ينطبق هذا تماماً على البطاقات البنكية، فهي ليست كلها حلالاً، وليست كلها حراماً، وإنما التفصيل بحسب حالاتها:

فما اتفق مع القواعد الشرعية، ولم يخرق قاعدة متفقاً عليها فهو حلال مباح، وما كسر قاعدة شرعية، فهو المحرم.



أدت الدراسات النظرية والتطبيقية إلى نقلة نوعية للفقه الإسلامي في مجال فقه المعاملات. فظهرت المؤلفات. والبحوث التي أبرزت خصائص الفقه المالي والاقتصادي في الإسلام. وتأسست من أجل هذا مراكز البحوث. وأقسام الاقتصاد الإسلامي في الجامعات

أما بالنسبة إلى البطاقة التي لصاحبها رصيد في البنك، ويتم سحب البنك لمصروفات بطاقته من رصيده فالعلاقة بين حامل البطاقة والبنك علاقة إيداع، فمهما فرض عليها من عمولة فإنها لا تدخل في حيز المحرم، بل إنها تكون في مقابل الخدمات التي يقدمها البنك لحامل البطاقة.

أما إذا لم يكن لحامل البطاقة رصيد، أو له رصيد، ولكن لا يسحب مصروفاته من رصيده، وإنما تسدد على أنها دين يدفعها في مقابلها زيادات ربوية (فوائد) فإن كلتا الحالتين قد خرقتا أصلاً شرعياً فهما من قبيل القرض بفائدة ربوية، المحرمة بإجماع المسلمين.

الطرف الأخير: التاجر: فإن البنك يتقاضى عليه نسبة من القيمة لدى تصفية استحقاقاته المالية نتيجة قبوله البطاقة والبيع بها، فهي تعد في مقابل تحصيل البنك لحقوقه في ذمة حاملي البطاقة.

بهذا يتبين أن الحكم الشرعي في البطاقات ليس على إطلاقه؛ فمنها المباح المشروع، ومنها المحرم الممنوع، فالحكم يكون على حسب تكييف أطرافها فقهاً.

وإذا افترض أن كل الخطوات السابقة سليمة، ومتوافرة بطريقة شرعية صحيحة، فإن الفقيه لا بد أن ينظر ويتأمل مآلات العقد الذي بين يديه والنتائج التي تتسبب عنه، كما يقول العلامة الشاطبي - رحمه الله تعالى -:

«وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام، أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ ...».

بهذا يكمل النظر في العقود المالية المستحدثة لتكون منسجمة مع روح الشريعة ومقاصدها الرفيعة دون عنت، أو انغلاق، وتحقق النتائج المرجوة من ازدهار، وتنمية للمجتمع. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد الهادي البشير، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

المراجع والهوامش

١- ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص ٢٤٤.

٢- مقاصد الشريعة، تحقيق ومراجعة محمد الحبيب ابن الخوجة، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ج٢، ص١٥٩.

٣- الفروق، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٣٤٦)، ج٤، ص١١.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، الطبعة الأولى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)، ج٣، ص٨٩.

٥- الموافقات، شرح عبد الله دراز، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ت. د)، ج٤، ص١٠٥.؛ انظر المرشد، عثمان، المقاصد من أحكام الشارع وأثرها في العقود، رسالة علمية لدرجة الدكتوراه، ج١، ص ٥١، ٥٦، ٦١.

٦- البرهان، الطبعة الأولى، تحقيق عبد العظيم الديب، (قطر: طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، سنة ١٣٩٩هـ). ج ١، ٢١٣.

٧- المرشد، عثمان، المقاصد من أحكام الشارع وأثرها في العقود، ج١، ص٥٥.

٨- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، الطبعة الأولى، ضبط محمد سالم هاشم، (بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١٥هـ /١٩٩٥ م) ج ٣، ١٧٩.

٩- انظر: المرشد، عثمان، المقاصد من أحكام الشارع وأثرها في العقود، ج١، ص٥٥، ٥٦.

١٠- المرشد، عثمان، المقاصد من أحكام الشارع وأثرها في العقود، ج١، ص٥٧.

١١- ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ١٧٥، ١٨٢.

١٢- الموافقات، ج٤، ص١٩٤؛ ظهر في هذا الموضوع المهم رسالة علمية ضمن الرسائل الجامعية (٢٩) للدكتور عبد الرحمن بن معمر السنوسي بعنوان: اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ).





تأثير النزاعات المسلحة في الأطفال من خلال الفضائيات

محمد مرسي محمد مرسي

كفر الشيخ ـ مصر

في أي يوم من الأيام يقع أكثر من عشرين نزاعًا مسلحًا في مختلف أنحاء العالم. ومعظمها في الأقطار الفقيرة. إن الحرب تسبب الصدمات. أو على الأقل تزعزع الحياة اليومية. وهي على الأرجح انتهاك لحقوق الأطفال. ويتابع عدد من العلماء والعسكريين. ومراكز البحوث. تطور الصراعات في مختلف أنحاء العالم من الناحية الإحصائية وتحليلها. من حيث حدتها واتساعها. ففي الفترة من عام ١٩٨٩م حتى نهاية القرن الماضي كان هناك ١١١ نزاعًا مسلحًا في ٧٤ موقعًا حول العالم.

ويصنف الخبراء هذه النزاعات طبقًا لحدتها، فبعضها «صغير» ١٥ نزاعًا عام ١٩٨٩م ارتفع إلى ٢٣ عام ١٩٩٢م، وانخفض إلى تسعة عام ٢٠٠٠م، والآخر «متوسط» ١٤ نزاعًا عام ١٩٨٩م وصل إلى ١٧ عام ١٩٩٣م، وانخفض إلى ١٢ عام ٢٠٠٠م. أما النزاعات التي يمكن وصفها بأنها وصلت إلى مرحلة الحرب فقد بلغ عددها ١٨ عام ١٩٨٩م، انخفضت إلى ١٢ عام ٢٠٠٠م، وبالنسبة إلى جميع النزاعات، فقد وصل عددها هذه الفترة إلى ١١١ نزاعًا (٤٧ نزاعًا عام ١٩٨٩م) انخفضت إلى ٣٣ نزاعًا عام ٢٠٠٠م.

أسباب متعددة

والنزاعات والحروب قبل ظهور النظام الدولي الجديد تعود إلى أسباب متعددة. منها تعدد مراكز الولاء وتنازعها داخل الكثير من الدول الحديثة العهد بالاستقلال، وإلى عوامل قبلية أو عنصرية أو طبقية معينة مما ينتج عنه غياب الاتفاق القومي، وانقسام المجتمع على نفسه، وهذا الأمر يمكن أن يتطور فيه



الصــراع في اتجــاه الاقــتــتــال بوســائل العنف المسلح، ويضــاف إلى هذا عــوامل الضــغــوط الــناتجــة من عــمليــة تحديث هذه المجــتــمــعــات؛ مما يؤدي إلى تفسخ الأنماط التقليدية وفي الوقت نفسه بروز قوى تقاوم التغيير والتحديث، ومن هنا ينشب الصراع، ويشتد بين القوى الجديدة التي تحاول أن تنسفه من جذوره، أو أن تحدث فيه، أو على الأقل، تغير تغييرًا راديكاليًا في المعاملة مسايرة لمنطق التطور، وتجاوبًا مع مقتضياته، كما يمكن للصراع الداخلي أن ينفجر بسبب تفاعلات سياسية أو اجتماعية معينة، أو بسبب ضغط بعض المواقف المصيرية على القوى والأطراف في تلك الصراعات.

ومع أن الأسباب ما زالت عوامل للنزاعات والحروب، إلاّ أن الوضع الدولي الجديد، وظاهرة العولمة، وما رافقها من تعديات قد آلت إلى ارتباك في سلام الولاءات، وزيادة في التطرف والتعصب، وانحسار الفكر السياسي المستنير، ثم إلى تزايد مشكلة النزاعات المسلحة، واشتداد أوزارها.

ومع أن كثيرًا من صناع النزاعات والحروب هم

ضحايا أيضًا في النهاية إلاّ أن الضحايا الحقيقيين هم مجمل الذين يساقون إلى ساحاتها، ومجمل الذين يجدون أنفسهم في وسط المعارك، ومجمل الذين تدفع بهم القوى إلى النيران التي تصيب حتى أولئك الذين ليس لهم أي شأن بالنزاع، بمن فيهم سكنة أكواخ الصفيح، الذين يحز الفقر والمرض برقابهم، بل تصيب النيران الأطفال الذين لا يفهمون للنزاعات سببًا، ولا يدركون لها مبررًا.

إن النزاعات المسلحة تنتهك جميع حقوق الطفل، بما فيها الحق في الحياة، والحق في الوجود ضمن عائلة ومجتمع، والحق في الصحة، والحق في النمو، والحق في الرعاية والحماية، ويتأثر الأطفال من النزاعات المسلحة بطرائق متعددة منها مشاركتهم فيها كجنود.

أطفال في جحيم الحرب

ففي التقرير الذي قدمته «جراسيا ماشل» - أرملة الرئيس الموزمبيقي السابق - إلى الأمم المتحدة، واستغرق إعداده عامين كاملين، وكان نتيجة دراسات ميدانية للبلدان التي طحنتها النزاعات المسلحة في آسيا، وإفريقية والشرق الأوسط، وأمريكا اللاتينية، تقول الباحثة: «إن هناك ما لا يقل عن مئتي ألف جندي من الأطفال في نحو العاشرة من العمر، وفي بعض البلدان يتم تجنيد الأطفال الذين يبلغون السابعة من عمرهم إلزاميًا، مع أن البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل دعا الحكومات إلى اعتماد الحد الأدنى للتجنيد والمشاركة في الحروب بعمر الثامنة عشرة. ففي كمبوديا هناك جندي من كل خمسة جنود يتم تجنيده قبل بلوغه الرابعة عشرة، ويعد أطفال ليبيريا من خير الشهود على المأساة التي يعانيها الأطفال من الصراعات الدامية الحالية، إذ يقاسي نحو ستة آلاف طفل تقل أعمارهم عن الخامسة عشرة من شدة التدريب العسكري داخل الجيش، وعلى الأطفال أن يمروا بتجارب قاسية في ممارسة القتل حتى يتعودوا الأعمال الإجرامية، ويفقدوا أحاسيسهم، وترغم الفتيات على دخول الجيش قسرًا، ثم تساء معاملتهن، ويقدمن إلى الجنود كزوجات».

وفي العقد الماضي وحده، ذُبح مليون، ويقدر أن ما بين ٨٠ و ٩٠٪ من الأشخاص الذين يموتون أو يجرحون في النزاعات المسلحة مدنيون، معظمهم من الأطفال والأمهات. وفي العقد الأخير من القرن العشرين تيتم أكثر من مليون طفل، أو فصلوا عن عائلاتهم بسبب النزاع المسلح.

وفي بعض أحداث الحروب، شهد الأطفال تعذيب أفراد أسرهم وقتلهم، وصمد الأطفال في الشيشان أمام القصف والانفجارات المتكررة.

أما في فلسطين فهذا شأن آخر حيث تبثّ لنا الفضائيات يوميًا ما يواجهه الأطفال الفلسطينيون من صنوف العذاب بأشكالها المتعددة والمتكررة يوميًا، فقد أعلن مركز المعلومات الوطني الفلسطيني أن هناك أكثر من ٥٥٠ شهيدًا من الأطفال دون سن ١٨ عامًا، و٥٠٥ معتقلين من الأطفال، وأكثر من ٢٠٠٠ طفل مصاب بجراح الاجتياح الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية في المدة من ٢٩ سبتمبر عام ٢٠٠٠ م حتى ٣١ يوليو عام ٢٠٠٢م، كل ذلك بسبب النزاع المسلح في الأراضي الفلسطينية.

في النزاعات الحديثة يندر أن تكون لساحات القتال حدود مقررة، إذ هي تتسع في تأثيراتها وأخطارها، دون أن تقتصر على المقاتلين. ومن هنا يجد الرجال والنساء والأطفال أنفسهم في أتون النزاعات والحروب والعنف


الأطفال أكثر شرائح المجتمع تأثراً بالحرب



يسعى بعض ناشطي السلام إلى الوقوف في وجه الحرب

وفي لبنان نجد إسرائيل بسبب اعتداءاتها المسلحة المتكررة على لبنان، غالبًا ما تنشر قنابل من أنواع مختلفة من مناطق الاعتداءات، بعضها بشكل ألعاب خاصة للأطفال تتفجر عند تحريكها، كما أنها تزرع مساحات من مناطق زراعية، وآهلة بالسكان بالألغام في

يقدر أن ما بين ٨٠ و ٩٠٪ من الأشخاص الذين يموتون أو يجرحون في النزاعات المسلحة مدنيون. معظمهم من الأطفال والأمهات. وفي العقد الأخير من القرن العشرين تيتم أكثر من مليون طفل

قضاءي راشيا والبقاع الغربي اللبنانيين وحدهما.

وخلال الإبادة الجماعية في رواندا في عام ١٩٩٤م قتل ربع مليون طفل، وفي عام ١٩٩٩م في كوسوفو الذين اضطروا إلى الخروج من منازلهم بسبب التطهير العرقي، مشردين ومنفصلين عن عائلاتهم، وجردوا من كل شيء حميم لديهم.

وفي الحرب الأنجلو أمريكية على العراق في ٢٠ مارس عام ٢٠٠٣م كان وضع الطفل العراقي أصعب حالاً، إذ تساقطت على رؤوسهم ١٢٠ ألف طن من الصواريخ والقنابل من خلال ٣٠ ألف طلعة جوية، كان نتيجة ذلك أن ٣٠٪ من أطفال العراق دون سن الخامسة يتعرضون لخطر الموت من سوء التغذية؛ أي نحو (٢٦ر١) مليون طفل من مجموع (٢ر٤) ملايين طفل، وهناك نحو

٥ ملايين و ٢١٠ آلاف من الأطفال دون الخامسة والنساء الحوامل والمرضعات سيعانون كثيرًا.

وفي يوم ٢٩ أبريل٢٠٠٣م تمت إبادة أكثر من ٥٠٠ شخص من الأطفال والنساء والحوامل والمرضعات في الكونغو بإفريقية بسبب النزاعات المسلحة.

حتى خلال النزاعات المسلحة وبعدها يبقى الأطفال عرضة للألغام، إذ ينتشر في العالم اليوم ١١٠ ملايين لغم، إضافة إلى القنابل التي تنفجر عند إسقاطها.

وفي النزاعات الحديثة يندر أن تكون لساحات القتال حدود مقررة، إذ هي تتسع في تأثيراتها وأخطارها، دون أن تقتصر على المقاتلين من حملة السلاح.

ومن هنا يجد الرجال والنساء، ويجد الأطفال أنفسهم في أتون النزاعات والحروب والعنف، وتدفع المجتمعات الثمن عزيزًا غاليًا في بؤر النزاعات المختلفة التي تشوب هذا العالم، وتلبد سماءه بالغيوم السود، وتحول دون صفو الحياة، ذلك أن تأثيرات تلك النزاعات تفعل فعلها بصورة مباشرة، وأخرى غير مباشرة، فإذا كانت عمليات النزاع تفعل فعلها بصورة مباشرة، وأخرى غير مباشرة، فإن وسائل الاتصال الجماهيري - بما فيها التلفاز - تحدث تأثيراتها بصورة غير مباشرة، وخاصة في الأطفال، ذلك أن التلفاز ينشر في هذه الأحوال جوًا قوامه العنف الناجم عن فعاليات شتى، بما فيها عنف النزاعات المسلحة.

والجو الذي ينشره التلفاز ناجم عن رسائل اتصالية، هي وليدة التضافر بين اللغة اللفظية واللغة غير اللفظية، إذ إن اللغة نظام من الرموز، وهذه الرموز التي يستعين بها التلفاز بقصد إبراز المعاني تتمثل في الكلمات، والصور، والرسوم، والحركات والأضواء والظلال، والإشارات، والعلامات تكون - في العادة، عبر التلفاز - مرئية ومسموعة، أي هي موضع إحساس بصري وسمعي معًا.

التلفاز ينشر جوًا رمزيًا يشكل جزءًا لا ينفصل عن الجو العام، وهذا الجو الرمزي يسبغ تأثيره في مجمل الجوانب النفسية والاجتماعية في المجتمع، بما في ذلك الأطفال، ما دام لذلك الجو علاقة بالسلوك والتفكير والشخصية والثقافة

عالم من الرموز

وقد أمكن للإنسان أن يعبر عن المعاني والأحاسيس والمشاعر عبر ذلك النظام الرمزي، وهذا ما مهد له أن يحيا حياة اجتماعية، وأن يمارس عمليات الاتصال، وأن يتفاعل مع الآخرين، ويتبادل التأثير عبر أبنية لغوية، ذلك أن النظام الرمزي يرتبط بمجمل العمليات العقلية المعرفية، كالتفكير والتخيل والتصور والتذكر، ومن خلاله تتحول الأفكار إلى الأشكال الرمزية إلى أفكار.

ومن هنا، فإن الإنسان وخاصة الطفل يعيش في عالم رمزي، وهو لا يقابل الحقائق وجهًا لوجه، بل يقابلها من

ينشر التلفاز جواً من العنف





يتأثر الأطفال بالحرب بطرائق متعددة، منها مشاركتهم فيها كجنود

خلال عالمه الرمزي، لذا .. فإن الإنسان في واقعه يحيا داخل أشكال رمزية، وهذا يعني أنه يحيا في كيان من الرموز، أكثر من كونه يعيش الواقع. وتتباين العوالم الرموزية، بقدر ما، للأفراد المختلفين، لذا تتباين رؤيتهم للأشياء والأفكار، إذ هي تبدو لهم حسب مفاهيم عنها أكثر من أن تبدو على حقيقتها.

وعلى هذا فإن التلفاز ينشر جوًا رمزيًا يشكل جزءًا لا ينفصل عن الجو العام، وهذا الجو الرمزي يسبغ تأثيره في مجمل الجوانب النفسية والاجتماعية في المجتمع، بما في ذلك الأطفال، ما دام لذلك الجو علاقة بالسلوك والتفكير والشخصية والثقافة، وما دام يرتبط بمواقف عقلية وعاطفية، وبمجمل العمليات المعرفية.

والجو الرمزي الذي ينشره التلفاز له هيمنة على مجمل سلوك الإنسان، ومجمل قدراته على الإنجاز، بقدر ما، وهو يعطي أساليب متفردة في الإحساس بالعالم، ومن هنا ينطلق منظور تأثير التلفاز في الأطفال، إذ يتحقق ذلك بطرائق غير مباشرة.

والقول بوجود جو رمزي، نتيجة الاتصال التلفازي، يعني أن التلفاز يحيط بالأطفال، وينقل إليهم مختلف المشاهد، بما فيها مشاهد العنف والنزاعات المسلحة.

ليس من الضروري أن يكون الطفل ضحية مباشرة للعنف ليتأثر به. فمشاهدة العنف تؤثر فيه بشكل فعال. وهكذا فإن الأطفال بفعل التلفاز يترعرعون في مناخ تشوبه صور النزاعات والحروب والكوارث

أجواء مشحونة بالرعب

وإذا كانت القنوات التلفازية الوطنية (المحلية) تضع ضوابط صارمة في نقلها مشاهد العنف، وتحرص على التقليل ما أمكن من تلك المشاهد، فإن ظهور القنوات التلفازية الدولية من خلال أقمارالفضاء، منذ انتشارها في مطلع التسعينيات من القرن العشرين، أدخلها حلبة التنافس في تقديم المواد الإخبارية، وفي الكشف عن تفصيلات الأحداث والوقائع، بما في ذلك تفصيلات أحداث العنف ووقائعه كالقتل، والحروب، والنزاعات، ولهذا فإن الأجواء التي تشكلها الفضائيات من حول الكبار، ومن حول الأطفال هي أجواء مثقلة بأفعال الرعب، ومشحونة بالعنف.

وتشوب الحياة اليوم نزاعات مختلفة على المستوى العالمي، ومنها الوطن العربي، نجد نزاعات، ومن هنا

الأطفال ضحية للعنف والنزاعات المباشرة حيث يلاقون الموت والإصابات والخوف والدمار بسبب المشاركة في النزاعات المسلحة وهم حين يكونون جمهورًا للتلفاز يتأثرون بما يعرض عبر شاشاته





الضحايا الحقيقيون هم الذين يساقون إلى ساحات الحرب

يتزايد تأثير هذه النزاعات في الأطفال عبر التلفاز، ونجد أن هذه التأثيرات في هذه الحالة تنجم عما هو مباشر، وعما هو غير مباشر في وقت واحد، ومع أنه من الصعب فصل تأثيرات التلفاز غير المباشرة عن تأثيرات مكونات الواقع البيئي، إلا أن من الممكن الحكم أن كلاً من الجو البيئي والجو الرمزي الذي يشكله التلفاز يتبادل التأثير مع الآخر، ويزيد أحدهما في قوة تأثير الآخر.

وقد أظهرت دراسات سابقة الارتباط الوثيق بين التعرض المباشر للكوارث، ونمو الأطفال وتطورهم.. ولكن ليس من الضروري أن يكون الطفل ضحية مباشرة للعنف ليتأثر به، فمشاهدة العنف تؤثر فيه بشكل فعال، يشابه تأثير العنف المباشر، وتأثرالأطفال بهذه الظروف يرجع إلى قوة العوامل الملطفة لمقادير الحياة القاسية، ومن هذه العوامل: العلاقات العائلية والأهلية، والصداقات المتينة، وأساليب العائلة في تدبير الأمور، إلى جانب خبراتها في مجابهة الكوارث. وتؤلف هذه العوامل مجتمعة «ثقافة الكوارث» التي لا تخرج عن كونها أساليب في التأقلم الاجتماعي، مثلما يتضح ذلك في أساليب حياة سكان المناطق المحاذية للبراكين، مثلاً. وهكذا فإن الأطفال بفعل التلفاز يترعرعون في مناخ تشوبه - بقدر أو بآخر - صور النزاعات والحروب والكوارث، وتبدو لهم ويلات النزاعات، وكأنها أقدار يومية، وكأن العنف هواء يتنفسونه كل لحظة.

ومن جانب آخر.. أفادت أبحاث كثيرة أن الأطفال عرضة لتأثير التجارب العنيفة التي تواجههم، إذ ليس لديهم - على وجه العموم - أساليب دفاعية محددة، مثلما لدى البالغين لمجابهة الحوادث التي تتهددهم، لذا يختلف رد الفعل النفسي عند الأطفال عن ردود فعل البالغين تجاه التجارب.





تدفع مشاهد النزاعات المسلحة بالأطفال إلى الشعور بالحاجة إلى الحماية

كوارث بعقل الإنسان

وقد كشفت إحدى الدراسات أن الأطفال هم الضحايا الأكثر هشاشة، والأسرع سقوطًا؛ لأن التجارب المروعة تدمر وجودهم الداخلي حين يسلبون الإحساس بالأمن، والثقة بالنفس، والاطمئنان إلى الحياة برمتها وليس من الضروري أن يتعرض الأطفال أنفسهم للتجارب المروعة، بل يكفي أن يروها تصيب الآخرين، فمشاهد العنف حتى من الآخرين لها تأثير كبير غير محدود في طبع سلوك الأطفال بالعدوانية، والميل إلى ممارسة العنف كوسيلة للدفاع عن الذات؛ ولهذا وصفت الحروب والنزاعات المسلحة بأنها كوارث من فعل الإنسان؛ لأنها تقوض النظم القائمة، وتخلق حالات من التوتر الجماعي تسببه الخسائر البشرية والمادية، والنظرة السلبية إلى وقائع الأمور، والإحساس بخطر الموت أو الإعاقة، وترهق هذه العوامل كاهل الفرد، وتضعف قواه في المقاومة والتأقلم معًا.

ويجد الأطفال في التلفاز مشاهد كثيرة للنزاعات المسلحة التي تتسابق بعض القنوات الفضائية إلى عرضها؛ إذ يشاهد الأطفال أطفالاً تقل أعمارهم عن ثماني عشرة سنة مجندين ومقاتلين في نزاعات مسلحة مع أن ذلك محرم دوليًا؛ إذ يبلغ عدد الأطفال المجندين في العالم اليوم مئات الآلاف.

ويجد الأطفال في الجو التلفازي الذي تشكله الفضائيات للنزاعات المسلحة أطفالاً لاجئين مع ذويهم، أو آخرين افتقدوا الأهل والأرض؛ إذ يزيد عدد اللاجئين من الأطفال اليوم على نصف أعداد مجمل اللاجئين في العالم.



ويشاهد جمهور التلفاز من الأطفال أقرانًا لهم قتلى تلقى أجسادهم في ساحات المعارك، وآخرين بترت أعضاؤهم بسبب المقذوفات، كما يشاهدون أطفالاً يتعرضون لظروف قاسية، ومعاملة سيئة، مثلما يشاهدون أطفالاً رسم الفقر والجوع على وجوههم وأجسادهم علامات بارزة.

ويشاهد جمهور الفضائيات من الأطفال أطفالاً لا يجدون لعبًا غير الألغام التي يغرسها المتنازعون في بؤر النزاع؛ تلك الألغام التي سرعان ما تتفجر في وجوه اللاعبين الصغار.

ويشاهد جمهور الفضائيات من الأطفال مئات المشاهد العنيفة من عالم نزاعات الكبار، مثلما يشاهدون الموتى الذين تتركهم الحروب ضحايا، وقد انتفخت أجسادهم، أو تقاطرت منها الدماء، مثلما يشاهدون أعمال العنف الأخرى والتعذيب والاعتقال والترحال.

وهكذا يتعرض الأطفال إلى أعمال العنف والرعب، وربما يعود إقبالهم على هذا النوع من البرامج إلى أنهم لا يجدون فيها شيئًا من وحي حياتهم، أو من تجاربهم الشخصية، إذ يبدو كل شيء فيها ممكنًا، وقد يعود إلى أن بعضهم لا يفهمها فهمًا جيدًا؛ ذلك أن فهم الحوادث ومجريات الأحداث يخفف القلق والرعب بشكل كبير.

ومن هنا فإن أعمال العنف في النزاعات المسلحة تنشر القلق في نفوس الأطفال، وتزيد مخاوفهم.

وعلى هذا فإن الأطفال ضحية للعنف والنزاعات المباشرة حيث يلاقون الموت والإصابات والخوف والدمار بسبب المشاركة في النزاعات المسلحة وهم حين يكونون جمهورًا للتلفاز يتأثرون بما يعرض عبر شاشاته على مستوى المشاعر، والتفكير، والسلوك. وقد ثبت أن برامج العنف والنزاعات المسلحة أكثر الموضوعات تأثيرًا في الطفولة.

وأطفال الوطن العربي يتعرضون مثلما كثير من أطفال العالم لتأثيرات النزاعات المسلحة بصورة مباشرة، ويتعرضون أيضًا لمشاهد الكثير من النزاعات عبر الفضائيات.

تكرر تعرض الأطفال لمشاهد النزاعات المسلحة يقلل بمرور الوقت من حدود اكتراث الأطفال بما يحصل من أحداث واقعية في الحياة اليومية. وكثيرًا ما يشاهد الأطفال أحداثًا مؤلمة. ومع هذا تكون ردود أفعالهم عابرة

معاناة نفسية

ومع أنه من غير الممكن واقعيًا الوقوف على حدود تأثير تلك المشاهد في الأطفال إلا أن بالوسع وضع الكثير من الاحتمالات. فمن بين تلك التأثيرات نشر المخاوف من الأطفال، ويتباين الأطفال في حدود المخاوف التي تنتابهم؛ ذلك أن لتلك المخاوف جذورها في حياة الطفل الشخصية، وفي حياة الأبوين، والأسرة عمومًا، ومن المشاهد التلفازية التي تعرض صور المعاناة التي يواجهها الطفل بسبب النزاعات المسلحة ما يشكل لهم معاناة نفسية عميقة، كما أن من المشاهد التلفازية ما يجعل الأطفال يميلون إلى التحيز والتعصب في فترة مبكرة من العمر؛ وهذا ما يقود إلى تبلور بذور لاتخاذ أحكام قطعية أو الميل إلى المغالاة والتطرف إزاء الأشياء أو الأشخاص أو بعض الموضوعات.

ومن التأثيرات الواسعة التي تحدثها مشاهد النزاعات المسلحة الدفع بالأطفال إلى الشعور بالحاجة إلى الحماية، إذ تشكل النزاعات المسلحة صدمات لحياة المجتمعات، بما فيها الأطفال، ويجد الأطفال فيها من يهدد حياتهم، إذ يظهر الأطفال ضحايا لمواقف ليسوا أطرافًا فيها، خاصة

تنتهك النزاعات المسلحة جميع حقوق الطفل

أن السنوات الأخيرة شهدت مصرع ملايين الأطفال، وإصابة أعداد أكبر بإعاقات خطيرة وفصل أعداد أخرى عن أسرهم بسبب النزاعات المسلحة.

ومن جانب آخر يمكن أن تتضمن التأثيرات ميل الأطفال إلى اللامبالاة العاطفية؛ ذلك أن تكرر تعرض الأطفال لمشاهد النزاعات المسلحة يقلل بمرور الوقت من حدود إكتراث الأطفال بما يحصل من أحداث واقعية في الحياة اليومية، وكثيرًا ما يشاهد الأطفال أحداثًا مؤلمة، ومع هذا تكون ردود أفعالهم عابرة، ويرجع ذلك إلى عوامل متعددة إلا أن من بينها أن التلفاز جعل كثيرًا من الأحداث

يقف دعاة السلام في وجه دعاة الحرب



صورًا متواترة، ولا تثير إلا ردود أفعال ضئيلة أو عابرة. وبوجه عام فإن اللامبالاة العاطفية قد تقود إلى قدر من التبلد العاطفي أو إضعاف مستوى النمو الانفعالي للطفل، مع إضعاف القدرة على التوحد في بعض المواقف؛ مما يعد خروجًا عما تسعى إليه التربية العاطفية.

عالم غريب

ومن بين تأثيرات مشاهد النزاعات المسلحة في التلفاز أن الأطفال يدخلون إلى عالم الكبار قبل الأوان ويتعرفون إلى أساليب من طرائق حياتهم، لا يمكن التعرف إليها لولا التلفاز؛ لذا فإن تلك المشاهد تزيد من اقتحام الأطفال عالم الكبار، وهو عالم غريب في ثقافته عن عالم الأطفال.

وهناك ملاحظات ميدانية تتمثل في أن الأطفال كثيرًا ما يتجهون بالأسئلة إلى ذويهم عن أسباب النزاعات المسلحة التي يشاهدونها في التلفاز، وعما يريده كل فريق، وعن دواعي التقاتل.

ويلاحظ أن الأطفال كثيرًا ما يجدون أنفسهم يميلون إلى هذا الفريق أو ذاك تبعًا لمعايير عاطفية شتى، أو تبعًا لما يوحي به ذوو الأطفال، وفي أحيان قليلة تبعًا لما يوحي به التلفاز نفسه.

ومع أن الأديان والفلسفات والثقافات قد انتهت إلى أهمية حماية الأطفال في أثناء النزاعات المسلحة منذ فترة مبكرة في التاريخ الإنساني، إلا أن القانون الدولي التفت إلى هذه المسألة بصورة واضحة بعد الحرب العالمية الثانية؛ إذ كان المدنيون - بمن فيهم الأطفال - قد واجهوا كثيرًا من آثار نزاعات تلك الحروب، التي امتدت مساحتها على نطاق واسع، وقد أصدرت منظمة العمل الدولية تقريرًا جديدًا حول النزاعات المسلحة وضحاياها من النساء والأطفال، وأبرزت وحشية الحروب، وكيفية تعامل الناس معها.

وفي أثناء الحرب يركب المتحاربون رؤوسهم، ويتجاهلون الكثير من المبادئ والقرارات واللوائح الدولية والاتفاقيات وبذا يجد الأطفال - قبل غيرهم - أنهم قد أقحموا في مواقف خطيرة، لا ناقة لهم فيها ولا جمل، بل يجدون أنفسهم في مخاطر وسط لهيب النيران، لا قبل لهم بردها، ولا قدرة لهم على تخليص أنفسهم من سعيرها.

تعاطف عالمي

ومع هذا دفعت العاطفة البشر في أوقات السلم إلى التغني بحقوق الأطفال، بل إلى وضع مبادئ تتضمن، إن هي طبقت، تخليص الأطفال من الأخطار في أوقات الصراعات المسلحة؛ اعترافًا من الأطراف المتصارعة بحقوق الأطفال في أن يكونوا في منأى عن تلك الصراعات، وألاّ يكونوا وقودًا لنيرانها المستعرة.

وكانت خطة العمل لتنفيذ الإعلان العالمي لبقاء الطفل وحمايته ونمائه في التسعينيات قد أشارت إلى أن الأطفال يحتاجون إلى حماية خاصة في حالات النزاع المسلح، ويلزم القيام بتدابير في مثل تلك الحالات جميعًا، وضمان استمرار حصولهم على الطعام، والعناية الطبية، ومعالجة الصدمات الناجمة عن العنف وتجنبهم النتائج المباشرة الأخرى لأعمال العنف والعدوان.

وكان الإعلان العالمي لبناء الطفل وحمايته ونمائه قد أشار إلى أن عددًا لا يحصى من الأطفال في مختلف العالم يتعرضون يوميًا إلى مخاطر تعوق نماءهم وتنمية قدراتهم، وتشتد معاناتهم بسبب الحروب أو أعمال العنف أو بسبب التمييز والفصل العنصري والعدوان والاحتلال الأجنبي لبلدانهم وضم تلك البلدان والتشرد والنزوح واضطرارهم إلى التخلي بشكل قسري عن جذورهم، وكثيرًا ما يكونون ضحايا الإعاقة والإهمال والقسوة والاستغلال. وأشار البيان إلى هذه التحديات التي تتوجب مواجهتها.

وتضمن البيان التزامًا بأن يعمل المجتمعون على اتخاذ



تدفع مشاهد العنف الأطفال إلى اقتحام عالم الكبار

التدابير الكفيلة بحماية الأطفال من ويلات الحرب، ومنع نشوب صراعات مسلحة، لكي نوفر للأطفال في كل مكان مستقبلاً آمنًا ومصونًا، ولنعزز قيم السلم والتفاهم والحوار في برامج تعليم الأطفال، مع وجوب توفير الحماية للأطفال والأسرى، حتى في أوقات الحرب في مناطق الصراعات والعنف، ونطالب بأن يتم الالتزام بفترات الهدوء اللازمة لتمرير إمدادات الإغاثة الخاصة، خدمة للأطفال في مناطق الصراعات والحروب.

من أجل حماية الأطفال

فبعد أن استعرضنا آثار النزاعات المسلحة التي يتأثر بها الأطفال بسبب المشاهد التي تعرض عليهم من خلال الفضائيات المختلفة، ينبغي هنا تأكيد بعض النقاط المهمة التي لها أثر بالغ في توفير مزيد من الحماية للأطفال؛ وذلك من خلال:

- أن عمليات الحصار الشامل التي تفرض على جميع المناطق والبلدان التي تشهد صراعات مسلحة، وبالشكل الذي يؤثر في الفئات الخاصة المحمية، ومنهم الأطفال والنساء، من الأمور التي تتنافى مع قواعد القانون الدولي الإنساني، وينبغي حث المجتمع الدولي، والمنظمات الدولية الأخرى الحكومية وغير الحكومية على التدخل لدى أطراف النزاعات المسلحة، للعمل على إلزامها توفير الحماية اللازمة للأطفال والنساء خلال تلك النزاعات، ويتم ذلك عبر الفضائيات حتى يشاهدها الأطفال، وكذا حث المجتمع الدولي والمنظمات الأهلية على تقديم المزيد من إمدادات الغوث، من أجل الأطفال والنساء، وتأمين وصولها إليهم.

- العمل على انضمام الحكومات القليلة خاصة الإفريقية التي لم تصبح طرفًا في حقوق اتفاقيات الطفل، وفي أي من اتفاقيات جنيف، أو البروتوكولين الملحقين بها، كما يجب إلزام الحكومات كافة أن تعتمد تدابير تشريعية وطنية، لضمان التنفيذ الفعال للمعايير ذات الصلة بوضعية الأطفال في ظل النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

- تشجيع المنظمات الدولية والإقليمية على العمل مع المنظمات الوطنية، والهيئات الحكومية، ومنظمات المجتمع المدني لوضع خطط عمل لحماية حقوق الأطفال والنساء خلال المنازعات المسلحة، أو للحد من الآثار السلبية لها، خاصة الأجهزة الإعلامية في هذه الحكومات.

- بذل الجهود الممكنة كافة لمساعدة الهيئات الدولية المعنية على تقديم المساعدات والقيام بعمليات الإغاثة والمهام الملقاة عليها، وأن تراعي في تقويم برامج عملها أن الهدف هو توفير السبل كافة لتمكين النساء والأطفال من نيل حقوقهم، وليس مجرد تقديم مساعدة إنسانية، وعلى تلك المنظمات أن تراعي الاحتياجات الخاصة بحقوق الأطفال، ومنها التعليم، وكذا حماية المؤسسات التعليمية التي ليس لها ثمة علاقة بالعمليات العسكرية.

- مد يد العون لجميع الأنشطة التي تضطلع بها المنظمات الدولية، لأنها تؤدي دورًا كبيرًا في الحد من الآثار السلبية للنزاعات المسلحة، بما في ذلك تقديم المساعدة الطبية في حالات الطوارئ، وجمع شمل العائلات التي انفصم عراها، وإمكانية الوصول إلى المشردين داخليًا.

إن النزاعات المسلحة أفعال عدوانية، تكون النفوس البشرية أغلى ضحاياها، بمن فيها نفوس الأطفال، وإذا كانت البشرية تهفو إلى وقف هذه النزاعات، وسيادة السلام بين الجماعات والمجتمعات المختلفة فإن ذلك لا يتحقق بإلقاء السلاح فحسب، بل بتوفير ظروف حياة جديدة، قوامها الحياة النفسية والعاطفية السليمة، التي لا يمكن البدء في بنائها، إلا من خلال بناء سلوك الأطفال بناءً سليمًا، وتكوين شخصياتهم وفق أسس مرنة وواقعية وموضوعية، بعيدًا عن التعصب والنظرة الأحادية والعدوانية.

وهكذا فإن النزاعات المسلحة تفعل فعلها في أرواح الناس وأجسادهم، كبارًا أو أطفالاً من الذين يجدون أنفسهم في ساحاتها، دون أن تسلم منها نفوس الأطفال الذين يتعرضون لأخبار تلك النزاعات التي تحرص الشاشات الصغيرة على أن تظهر في حركتها وأصواتها وألوانها وظلالها وعلامتها، بحيث لا يمكن أن يقول الأطفال: أي كبار هؤلاء الذين يتنافسون من أجل نقل مشاهدها، كما هي، على الشاشة الصغيرة!!

المراجع

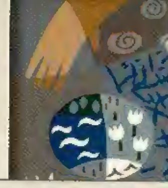
١. علاء قاعود، عبدالرحمن عبدالخالق، الأطفال والحرب، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ١٩٩٩م.

٢. حسن الإبراهيم، الأساسية والحرب في العالم العربي، مجلة الطفولة العربية، العدد ٨، ديسمبر ١٩٨٦م.

٣. هادي نعمان الهيتي، النزاعات المسلحة وتأثيراتها المباشرة على الأطفال، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ٩، ٢٠٠٣م.

٤. هادي نعمان الهيتي، الفضائيات الناطقة بالعربية وتأثيراتها الاجتماعية والنفسية في الطفولة، من بحوث المنتدى الخليجي حول التلفاز وحقوق الطفل، قطر ٢٠٠٢م.

٥. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، تقرير عام ٢٠٠٣م.



تحقيق



كهف منطقة سحاب بالأردن هل هو الكهف المذكور في القرآن الكريم؟

يحيى حسن وزيري

القاهرة ـ مصر

ورد في سورة "الكهف" عدد من القصص القرآنية العجيبة والمتعددة، منها قصة سيدنا موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وقصة الفتية المؤمنين الذين فرّوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، فأووا إلى أحد الكهوف بوحي من الله.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ الكهف: ١٦، ولأهمية هذه القصة، وهذا الكهف، فقد تمت تسمية السورة الكريمة باسمه أي: سورة الكهف.

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن علاقة حركة الشمس بهذا الكهف، وأن ذلك من آياته في قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ الكهف: ١٧، فما دلالة هذا الوصف القرآني وتأثيره في تهيئة هذا الكهف كمكان يصلح مأوى لأهل الكهف؟

يذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في شرح الآية الكريمة (١):

«أن هذا دليل على أن باب هذا الكهف المذكور كان من نحو الشمال؛ لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي: يتقلص الفيء يمنة، كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة (تزاور) أي:



بقايا المسجد الأثري الموجود حالياً فوق الكهف مباشرة

تميل، وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان، ولهذا قال ﴿وإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾؛ أي: تدخل إلى غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بيّن لمن تأمله، وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب، ولو كان من ناحية القبلة (يقصد الجنوب) لما دخل منها شيء عند الطلوع، ولا عند الغروب ولا تزاور الفيء يمينًا ولا شمالاً، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع، بل بعد الزوال، ولم تزل فيه إلى الغروب، فتعين ما ذكرناه، ولله الحمد، وقال مالك عن زيد بن أسلم تميل ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في متسع منه داخلاً بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم، قال ابن عباس: (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم.



بقايا المحراب والمنبر الحجريين للمسجد الأثريّ الموجود أمام مدخل الكهف

ويقول الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسير الآية الكريمة (٢): «للمفسرين في تفسير هذه الآية قولان: الأول: أنهم مع كونهم في مكان منفتح انفتاحًا واسعًا في ظل جميع نهارهم، ولا تصيبهم الشمس في طلوعها، ولا في غروبها؛ لأن الله حجبها عنهم.

والثاني: أن باب الكهف كان مفتوحًا جهة الشمال فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف وإذا غربت كانت عن يساره».

اكتشاف مكان الكهف المذكور بالقرآن الكريم. وأدلة ذلك

اختلفت الآراء حول موقع الكهف الذي ارتبط بقصة الفتية المؤمنين المذكورة في القرآن الكريم ضمن سورة الكهف، وقد أشارت بعض الاكتشافات الأثرية في العقود الماضية إلى بعض الكهوف التي تم اكتشافها بالقرب من عمان بالأردن أو أفسوس بآسيا الصغرى أو حتى في أسكتلندا، وقد رجحت بعض الأدلة التاريخية والأثرية،

انحراف واجهة مدخل الكهف إلى جهة الجنوب الغربي أدى إلى انطباق الوصف القرآني على كهف الرقيم بالأردن. حيث تشرق الشمس عند طلوعها من على يمين الكهف دون أن تدخله ولكن تقرض الكهف بأشعتها بدءًا من الظهر

وكذلك انطباق آية طلوع الشمس وغروبها أن يكون الكهف الموجود بجنوب عمان في الأردن هو الكهف المذكور في القرآن الكريم.

ففي عام ١٩٦٣م قامت دائرة الآثار العامة الأردنية بحفريات أثرية تحت إشراف رفيق وفا الدجاني «رحمه الله» في منطقة تسمى «سحاب»، وتقع على بعد نحو ١٣كم جنوب شرق العاصمة الأردنية عمان، وقد استدل علماء الآثار والتاريخ بعدة أدلة ترجح بقوة أن يكون هذا الكهف هو الذي جاء ذكره في القرآن الكريم، وهذه الأدلة هي:

أ. **الدليل التاريخي**: من الأدلة التاريخية التي يذكرها رجال الآثار أن عددًا من الصحابة وقادة الجيوش الإسلامية قد ذكروا أن موقع الكهف الذي يوجد به أصحاب الكهف موجود بجبل الرقيم بالأردن حيث زاروا هذا الموقع، وعرفوه، ومنهم الصحابي عبادة بن الصامت ﷺ، الذي مرّ على الكهف في زمن عمر بن الخطاب ﷺ وأيضًا معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وكذلك حبيب بن مسلمة، وابن عباس رضي الله عنهما قد دخلوا هذا الكهف، ورأوا عظام أصحاب الكهف(٢).

ب. **الدليل الأثري**: تم العثور على بناء أثري بني فوق الكهف، وهو الذي أشير إليه بقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف:٢١، فقد أثبتت الحفريات عن وجود بنيان فوق هذا الكهف كان معبدًا (كنيسة)، ثم تحول إلى مسجد في العصر الإسلامي، وتوجد بقايا سبعة أعمدة مصنوعة من الأحجار غير مكتملة الارتفاع ومخروطة على شكل دائري، كما توجد بقايا محراب نصف دائري يقع فوق باب الكهف تمامًا، وبين الأعمدة الباقية بالمسجد بئر مملوءة بالماء وهي البئر التي كان يتم استخدامها في الوضوء.

وقد تم ترميم المسجد أكثر من مرة، وفقًا لما هو مدوّن على الأحجار التي وجدت بداخله، وهي تشير إلى تجديد تم عام ١١٧هجرية، ثم عام ٢٧٧هجرية، ثم أعيد التجديد مرة أخرى عام ٩٠٠ هجرية؛ مما يدل على اهتمام المسلمين الأوائل بهذا المسجد لاقتناعهم بأنه المذكور في القرآن الكريم. ومما يؤكد الاهتمام بهذا الموقع وجود مسجد آخر يقع بالجهة القبلية من الكهف، وما زال منبر هذا المسجد قائمًا إلى اليوم، وهو مكون من ثلاث درجات ضخمة من الأحجار على يمين المحراب، وقد عثر بالمسجد على بلاطة تفيد بأن الخليفة الموفق العباسي قد أمر بتجديده.

كما تم العثور على ثمانية قبور بنيت بالصخر، أربعة منها يضمها قبو يقع على يمين الداخل إلى الكهف، والأربعة الأخرى تقع في قبو على يسار الداخل إلى الكهف، والمرجح أنها القبور التي دفن فيها الفتية الذين ورد ذكرهم في القرآن، وفي المنطقة الواقعة بين القبوين في الجزء الأول من الكهف، تم العثور على جمجمة لكلب، وبفكه ناب واحد، وأربعة أضراس، ويوجد بالكهف دولاب زجاجي يحتوي على جمجمة الكلب، إلى جانب بعض قطع من النقود التي كانوا يستعملونها، ومجموعة من الأساور والخواتم والخرز، وبعض الأواني الفخارية.

ج. **الدليل الجيولوجي**: يؤكد المهندس الجيولوجي

اختلفت الآراء حول موقع الكهف الذي ارتبط بقصة الفتية المؤمنين المذكورة في سورة الكهف. وقد أشارت بعض الاكتشافات الأثرية إلى بعض الكهوف التي تم اكتشافها بالقرب من عمان بالأردن أو أفسوس بآسيا الصغرى



الفتحة العلوية لنفق الهواء الرأسي الذي يقوم بتهوية الكهف

ناظم الكيلاني (٤)، من خلال فحوصاته المختبرية، أن تربة الكهف ومنطقة الرقيم تساعدان على صيانة الجسم، ويذكر أن هذه التربة تتكون من الكاربوهيدرات والكالسيوم والمغنسيوم، إضافة إلى حفريات النباتات والحيوانات المشبعة بالراديوم، وهذه المواد توجد في معادن اليورانيوم والثوريوم المشعة، التي من خصائصها إنتاج أشعة «ألفا» و«بيتا» و«جاما»، وهذه الأنواع من الأشعة ذات تأثير كبير في تعقيم اللحوم والنباتات والمحافظة عليها وتحول دون تفسخها، ويعتقد الكيلاني أن وجود هذا النوع من التربة بعناصرها وأملاحها ربما يكون (ومعها أشعة الشمس المتناوبة) الوسيلة التي حفظت أجساد فتية الإيمان أكثر من ثلاثة قرون دون أن تؤثر فيهم عوامل الهواء والتربة.

د. أدلة أخرى: وتتمثل في أن الكهوف الأخرى التي تمت الإشارة إليها على أنها هي التي جاء ذكرها في سورة الكهف لا تنطبق عليها آية طلوع الشمس وغروبها، وهو ما أكده الدكتور عبدالعزيز كامل الذي زار الكهف الرقيم بالأردن مرتين، وتأكد من انطباق حركة الشمس في طلوعها وغروبها، وعلاقة أشعتها بالكهف، كما درس من قبل عددًا من الكهوف التي نسب إليها أهل الكهف، وأهمها في أفسوس وطوروس، واستبعدها؛ لأنها ذات فتحات لا تتفق في سقوط الشمس عليها مع ما جاء في الآيات الكريمة (٥)، وهو ما توصل إليه خبير الآثار الأردني محمد تيسير طبيان بناء على دراسة استمرت أكثر من عشر سنوات، كما أن كثيرًا من المتخصصين والمهتمين الذين زاروا كهف أفسوس ينفون أن يكون هو الكهف المعني؛ لبعده عن عاصمة الإمبراطورية الرومانية (نحو ٤٥٠ كم عن أفسوس)، وحتى لو كانت مدينة أزمير هي مقر الحاكم الروماني، ومنطلق الفتية المؤمنين، فإنها أيضًا بعيدة ولا يمكن للفتية أن يبتعدوا كل هذه المسافة عن أزمير.


صورة من جهة القبو الشمالي توضح الصالة المركزية داخل الكهف، وباب الكهف من الداخل

بيان علاقة تصميم الكهف بمسار الشمس الظاهري على مدار العام

إذا كنا قد أوضحنا آنفًا بعض الأدلة التي ترجح أن كهف الرقيم الواقع في جنوب شرق عمان (خط عرض ٣٢ درجة شمالاً تقريبًا) هو الكهف المذكور في سورة الكهف، فإنه قد أتيح لكاتب هذا المقال أن يقوم بزيارة هذا الكهف في شهر يونيو/ حزيران من عام ٢٠٠٣م، ورفع مقاسات الكهف من الطبيعة، وتحديد اتجاه فتحة باب الكهف باستخدام البوصلة، مع عمل بعض قياسات درجة الحرارة داخل الكهف وخارجه، إلى جانب تصوير الكهف من الخارج والداخل، وكذلك المسجد الأثري المبنى فوقه، والمسجد الأثري الواقع أمام فتحة مدخل الكهف إلى الجنوب.

وقد اتضح من الدراسة الميدانية أن للكهف مدخلاً واحدًا يواجه الجنوب الغربي حيث إن واجهة الكهف تميل ٤٥ درجة إلى جهة غرب الجنوب، ومقاسات هذا المدخل هي ١,٠٢م عرض و١,٧٣م ارتفاع وله عتبة بارتفاع ٠,١٢م، والكهف من الداخل يتكون من صالة مركزية بارتفاع نحو ٣,٣٥م يفتح عليها قبوان (فجوتان) من كل من الجهة الشرقية والغربية، كما تفتح عليها فجوة من الجهة الشمالية وهي أكبر مساحة وأكثر ارتفاعًا من الفجوتين الشرقية والغربية، ويفتح شباك بالفجوة الشمالية يتصل بنفق هواء رأسي يساعد على تهوية الكهف من الداخل، ومن الواضح أن المسلمين الأوائل قد عرفوا مكان هذا الكهف، وقاموا بعمل بعض العقود الدائرية، ونقش بعض الزخارف الإسلامية، أهمها النجمة الثمانية المعروفة في الفن الإسلامي على أحد القبور الموجودة بالفجوة الشرقية.

ولدراسة المسار الظاهري للشمس بموقع الكهف لتحديد مدى انطباق الوصف القرآني لطلوع الشمس وغروبها على هذا الكهف، فقد تمت الاستعانة ببعض المعادلات التي تحدد قيم الزوايا الشمسية في أي شهر أو يوم أو ساعة من السنة (٦).

وباستخدام هذه المعادلات أمكن تحديد الزوايا الشمسية الخاصة بخط عرض ٣٢ درجة شمالاً، والتي تمثل موقع الكهف في جنوب شرق عمان العاصمة الأردنية، كما تم رسم مسار الشمس الظاهري في فصل الشتاء وتحديده (ويمثله يوم ٢١ ديسمبر)، وفصل الصيف (ويمثله يوم ٢١ يونيو)، والاعتدالين (ويمثلهما يوما ٢١ مارس و٢١ سبتمبر)، كما تم تحديد الأوقات التي تدخل فيها الشمس إلى داخل الكهف ورسم وتحديد مساحة ومكان هذه الأشعة الضوئية (٧).

واتضح من دراسة حركة الشمس مدى انطباق الوصف القرآني على هذا الكهف، حيث تشرق الشمس على مدار العام (أي في الشتاء والصيف والاعتدالين عن يمين الكهف ولا تدخل من باب الكهف

من الأدلة التاريخية التي يذكرها رجال الآثار أن عددًا من الصحابة وقادة الجيوش الإسلامية قد ذكروا أن موقع الكهف الذي يوجد به أصحاب الكهف موجود بجبل الرقيم بالأردن حيث زاروا هذا الموقع وعرفوه

مطلقًا عند طلوعها، وبدءًا من زوال الشمس أي من الساعة ١٢ ظهرًا تبدأ أشعة الشمس في الدخول إلى داخل الكهف على هيئة بقع ضوئية صغيرة المساحة، حتى غروبها في فصل الشتاء وما قبل الغروب في فصلي الربيع والخريف، أما في الصيف فإن الشمس تبدأ في الوصول إلى بداية عتبة المدخل في الساعة الواحدة ظهرًا (الساعة ١٢ظهرًا) وتزداد مساحتها حتى تبلغ ذروتها في الساعة الرابعة من بعد الظهر (الساعة ١٦ ظهرًا) ولكن لا تتعدى عتبة المدخل.

إن انحراف واجهة مدخل الكهف إلى جهة الجنوب الغربي أدى إلى انطباق الوصف القرآني على كهف الرقيم بالأردن، حيث تشرق الشمس عند طلوعها من على يمين الكهف دون أن تدخله ولكن تقرض الكهف بأشعتها بدءًا من الظهر (أي بدءًا من أولى لحظات

من الواضح أن المسلمين الأوائل قد عرفوا مكان هذا الكهف، وقاموا بعمل بعض العقود الدائرية، ونقش بعض الزخارف الإسلامية، أهمها النجمة الثمانية على أحد القبور الموجودة بالفجوة الشرقية



القبو الشرقي داخل الكهف ويظهر به ثلاثة قبور مرسوم على أحدها النجمة العربية الثمانية الأضلاع



القبو الشمالي المواجه لباب الكهف

رحلتها إلى الغروب وهذا ما يسمى بالزوال) على التفصيل الموضح آنفًا، مع العلم أن هذا هو التوجيه الوحيد لواجهة الكهف دون باقي الاتجاهات الذي يمكن أن يتحقق فيه الوصف الوارد في الآية الكريمة، فمن الذي أعلم الرسول الأمي عليه الصلاة والسلام بهذا العلم الدقيق؟، أليس هذا دليلاً علميًا على إعجاز القرآن الكريم وصدقه وأنه من عند الله ؟!.

ومن جانب آخر، فإن الشمس لا تتعدى أشعتها عتبة مدخل الكهف في الصيف إذ إنه لا يوجد احتياج إلى ذلك لارتفاع درجة حرارة الجو بصفة عامة في ذلك الفصل، في حين أنها تدخل إلى الصالة المركزية فقط في فصل الشتاء والاعتدالين على هيئة بقع ضوئية صغيرة المساحة، وهو مطلوب في هذه المنطقة؛ لإمداد الكهف من الداخل ببعض الدفء؛ لأن الأردن في هذه الفصول يميل إلى البرودة، فمن الذي هيأ هذا الكهف بهذا الأسلوب الذي يتفق مع مبادئ علم التصميم البيئي، أليس من آيات الله جل في علاه، كما ورد في الآية الكريمة؟.

وبناء على قياسات درجات الحرارة داخل الكهف وخارجه في يوم ٦ يونيو (أي في الصيف) فقد وجد أن الانخفاض في درجة الحرارة يصل في المتوسط إلى أكثر من ست درجات مئوية، ويعزى ذلك إلى عدم دخول الإشعاع الشمسي المباشر إلى داخل الكهف، إلى جانب أن هذه النوعية من الكهوف تتميز بكبر سمك الطبقة الصخرية التي تكسوها من جهة السقف والحيطان، مما يؤدي إلى عدم انتقال الحرارة الخارجية إلى داخل الكهف، وصدق الله العظيم حين يقول: (وجعل لكم من الجبال أكنانا) النحل: ٨١. أي: تقيكم الحر في الصيف والبرد في الشتاء.

إن وجود نفق الهواء الرأسي، الذي سبق أن أشرنا إليه، يقوم بدور ملقف الهواء في أغلب ساعات النهار؛ إذ يقوم بإدخال الهواء البارد إلى داخل الفجوة الشمالية، عن طريق فتحة تشبه الشباك، ومنها إلى باقي الكهف؛ مما يساعد على تجديد الهواء الداخلي بالكهف طوال اليوم، وفي أحيان أخرى خلال أيام الصيف تدخل الشمس داخل هذا النفق الهوائي، وتصل إلى أسفل نقطة بالنفق في وقت الظهيرة (الساعة ١٢ ظهرًا) حيث تكون زاوية الشمس قريبة من العمودية، فتقوم بتسخين الهواء داخل نفق الهواء الرأسي فيتمدد الهواء ويرتفع إلى أعلى خارجًا من فتحة النفق العلوية، فيقوم بسحب هواء من داخل الكهف، ومن ناحية فتحة مدخل الكهف ليحل محل



واجهة الكهف ومدخله. ويظهر المتبقى من محراب المسجد الأثري فوق باب الكهف مباشرة



شباك التهوية المتصل بنفق الهواء الرأسي الذي يفتح في القبو الشمالي للكهف

الهواء الذي يرتفع خارجًا من النفق الذي يعمل في هذه الظروف كالمدخنة Stack Effect، فيساعد أيضًا على تحريك الهواء داخل الكهف، وتجديده باستمرار.

إن جميع الأدلة التاريخية والأثرية تؤكد أن الكهف الموجود في منطقة «سحاب» في جنوب شرق عمان هو الكهف المذكور في القرآن الكريم، كما أن دراسة أسلوب تصميم الكهف من الناحية المعمارية والشمسية تؤكد الوصف القرآني لحركة الشمس بالنسبة إلى الكهف، وأنه في فترات الغروب حتى مع دخول بعض البقع الضوئية، فإنها لا تصل إلى الفجوات الموجودة بالكهف، بل تصل فقط إلى الصالة المركزية (ساحة الكهف أو الوصيد)، وهو ما يتطابق أيضًا مع الوصف القرآني ﴿وهم في فجوة

جميع الأدلة التاريخية والأثرية تؤكد أن الكهف الموجود في منطقة "سحاب" هو الكهف المذكور في القرآن الكريم. كما أن دراسة أسلوب تصميم الكهف من الناحية المعمارية والشمسية تؤكد الوصف القرآني لحركة الشمس بالنسبة إلى الكهف

منه﴾ أي في متسع منه لا تصيبهم أشعة الشمس، كما أخبر بذلك المفسرون، رحمهم الله.

الخلاصة

إن الدراسة الميدانية والشمسية لكهف الرقيم بالأردن توضح إعجاز القرآن الكريم في وصف علاقة الكهف بحركة الشمس، وهو ما يتوافق مع ما ورد في الآية:١٧ من سورة الكهف في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ...﴾، كما تبرز مدى الكفاءة التصميمية لهذا الكهف من ناحية توفير الظلال صيفًا، ودخول قدر ضئيل من الشمس شتاءً، وفي الاعتدالين في فترات الغروب، إلى جانب التهوية الجيدة التي تساهم باستمرار في تجديد الهواء بهذا الكهف، وهي كلها عوامل تتوافق تمامًا مع مبادئ علم التصميم البيئي الحديث، وهي توضح من جانب آخر إحدى النعم التي منّ الله بها على عباده، ألا وهي إمكانية اتخاذ الأكنان بالجبال، مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ النحل: ٨١.

وأخيرًا فإن وجود كهف ما في مكان ما ينطبق عليه آية شروق الشمس وغروبها، كما وردت في سورة الكهف لهو إعجاز وسبق علمي للقرآن الكريم؛ لأن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا بمعرفة علمية دقيقة بعلاقة حركة الشمس ومسارها على مدار العام بهذا الكهف، وهو ما يحتاج إلى معرفة علمية دقيقة بالزوايا الشمسية لم تكن تتوافر لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وهي معرفة يسبق بها عصر الرسالة؛ لأنها من لدن عليم حكيم، وصدق الله العظيم الذي يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآنَ، ولو كان من عندِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾، والحمد لله على نعمة الإسلام.

المراجع والهوامش

١. انظر تفسير الآية: ١٧، من سورة الكهف في كتاب تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ ابن كثير.

٢. انظر تفسر الآية: ١٧، من سورة الكهف في كتاب «فتح القدير»، للإمام الشوكاني.

٣. لمزيد من التفاصيل انظر: جريدة اللواء الإسلامي، ١٩٨٣م. تحقيق عن الكهف وأهل الكهف وجبل الرقيم، في عددي (٥٦، ٥٧) القاهرة.

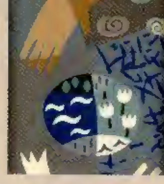
٤. المؤمن، حيدر، ١٩٩٩م، كهف الرجيب في عمان . هل هو لأصحاب الكهف؟، مجلة منار الإسلام، عدد٦. السنة ٢٥: ٣٨، ٤٣، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، دولة الإمارات العربية المتحدة.

٥. مظهر، سليمان١٩٨٩م، آخر أيام البادية الأردنية، مجلة العربي - عدد يونيو: ١٣٢- ١٥٥، وزارة الإعلام الكويت.

٦. لمعرفة هذه المعادلات ارجع إلى:

Wazeri, Y. H. (1997). The Relationship Between Solar Radiation and Building Design in North Africa (M. Sc Thesis). Institute of African Rsearch and Studies, Cairo University.

٧. للمزيد من التفاصيل انظر: وزيري. يحيى (٢٠٠٤). دلائل الإعجاز في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم. المؤتمر السابع للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (المجلد الثالث) دبي.





المرأة السعودية والكتابة

نورة الشملان

الرياض ــ السعودية

تحاول هذه المقالة إنعاش الذاكرة في استعراض مسيرة المرأة السعودية في مجالات الكتابة الإبداعية، مثل الشعر والقصة القصيرة والرواية والمقالة الصحفية، ولن تتعرض للدراسات النقدية، ولا للشعر العامي (النبطي). وسأبدأ المقالة بهذا السؤال.

أين نجد المرأة السعودية الكاتبة؟

إطلالة سريعة على صحفنا اليومية والأسبوعية والشهرية، وبزيارة للمكتبات العامة داخل المملكة وخارجها، نجد حضورًا واضحًا للمرأة الكاتبة.

موضوعات المرأة الكاتبة

والسؤال الذي يمكن طرحه أيضًا هو: هل حدد المجتمع للمرأة موضوعات لا تتجاوزها، كما حدد لها الوظائف الحكومية، ومجالات العمل وأقسامه؟

من يقرأ إنتاج المرأة يجد ميلاً واضحًا لديها إلى الكتابة عن عالمها الخاص، وحياتها اليومية، بما فيها من منغصات ومفاجآت، والرجل عنصر بارز في كتاباتها، وقد يكون هذا الرجل الأب المتزمت الذي يحرم الفتاة من أبسط حقوقها، وقد يكون الزوج المتسلط النزق الذي يسيطر عليها معتمدًا على مساندة النظرة الاجتماعية إلى الرجل بأنه السيد المطاع، وقد يكون الأخ الذي تبيح له الأسرة التحكم في مصير الأخت، وتحديد مسار حياتها، وإن كان



أصغر سناً، وأقل علمًا وحكمة، فما عليها إلا الطاعة والاستسلام والخضوع.

وقد يكون الرجل الحُلُم الذي ترنو وتتطلع إليه، لإنقاذها من جحيم الأب أو الأخ، وخيانة الزوج، وشبح المرأة الأخرى، وفقدان الشباب الذي يؤدي إلى فرار الزوج إلى الغريمة التي تبدو أكثر إشراقًا، وأصغر سنًا، وأكثر تفرغًا لطلبات الرجل واحتياجاته، كل هذه الأمور من الموضوعات التي سيطرت على خيال المرأة الكاتبة، فسطرتها في مقالاتها وقصصها القصيرة، وأحيانًا أبيات شعرها.

ويأتي بالدرجة الثانية الالتفات إلى الحديث عن تفاوت التفكير بين المرأة والرجل، وغياب الألفة بين الزوجين.

كما التفتت المرأة إلى معالجة بعض مظاهر السلوك المنحرفة، مثل الإدمان، والثراء المالي غير المشروع، واستغلال الرجل لممتلكات المرأة، والتحكم في أموالها.

وعالجت بعض الكاتبات العادات الاجتماعية التي لا تستند إلى مرجعية دينية، وفي الوقت نفسه تسهم في تعاسة المرأة، وغياب حقوقها، وغالبًا ما تستند الكاتبة إلى التعاليم الإسلامية، المستقاة من الكتاب الكريم،

الرجل عنصر بارز في كتابات المرأة. وقد يكون هذا الرجل الأب المتزمت الذي يحرم الفتاة من أبسط حقوقها. وقد يكون الزوج المتسلط النزق الذي يسيطر عليها. وقد يكون الأخ الذي تبيح له الأسرة التحكم في مصير الأخت

والسنة المطهرة، وسلوك السلف الصالح، لتحارب بها تلك الأعراف البالية، والتقاليد المعوقة لمسيرتها.

الأوضاع السياسية

وتناولت بعض الكاتبات الأوضاع السياسية العامة في العالم العربي، مثل غزو العراق للكويت، وحرب الخليج الأولى والثانية والثالثة، ومشكلة فلسطين، وقضايا أهلها، ولكن هذه الموضوعات قليلة بالقياس إلى الموضوعات التي تتحدث فيها المرأة عن واقعها ووضعها الاجتماعي.

هل نستطيع بعد هذا الاستعراض الموجز لمضامين الكتابة النسائية أن نقول: إن المرأة بوعي أو بلا وعي اختطت لنفسها طريقاً في الكتابة تمتح فيه من واقعها، وتحاول عن طريق ذلك حل مشكلاتها، والبوح بما يؤرقها.

نماذج

لقد بدأت المرأة السعودية في ممارسة الكتابة قبل افتتاح المدارس الحكومية بعقد من الزمن، فإذا كانت المدارس قد فتحت أبوابها للطالبات سنة ١٣٨٢هـ فإن المرأة مارست الكتابة منذ عام ١٣٧٢هـ، فقد ظهرت أسماء، مثل: ثريا قابل، ورقية ناظر، وسلطانة السديري في الشعر، ونجاة خياط، وسميرة خاشقجي في القصة.

ويبدو أن التعليم كان له أثر في تضاعف أعداد الكاتبات، فقد شهدت الفترة من ١٣٩٠هـ - ١٤٢٠هـ عدداً كبيراً منهن، ففي مجال الشعر تطالعنا ثريا العريِّض، وأشجان الهندي، وبديعة كشغري، وفوزية أبو خالد، وخديجة العمري، وشريفة أبو مريفة، وغيداء المنفى، وفاطمة القرني، ولطيفة قاري، ولولو بقشان، ونجلاء السويل، وهدى الدغفق، ومريم البغدادي.

وفي مجال القصة القصيرة والمقالة تطالعنا خيرية السقاف، وأميمة الخميس، وبدرية البشر، وحصة التويجري، وزينب أحمد حفني، وشريفة الشملان، وصالحة السروجي، وفوزية البكر، وقماشة السيف، ولطيفة السالم، ولطيفة الشعلان، ونورة الشملان، وليلى الأحيدب، ومريم البغدادي، ونجوى هاشم، وندى الطاسان، ونورة الغامدي، وهيام المفلح، ووفاء الطيب، وانتصار العقيل، وجهير المساعد، ودلال الحربي، ومنيرة الغدير، وناهد باشطح، ونورة خالد السعد، وهند الخثيلة، ولولو بقشان، وعزيزة المانع، وأميرة الزهراني، وأميرة كشغري، وابتسام حلواني، وهند خليفة.

وفي مجال الرواية تظهر أربعة أسماء، هي: هند با غفار، وأمل شطا، ورجاء عالم، وليلى الجهني.

أما في المسرحية فيظهر اسم رجاء عالم، وكوثر الميمان، وآمنة الجهني.

أبواب النشر فُتحت أمام المرأة السعودية، فأسهمت في إثراء الساحة بإنتاجها المتنوع. وهذا الإنتاج يتوزع بين فنون مختلفة. ومن قراءتي لهذا الإنتاج لاحظت أن سقف الحرية المتاح للمرأة لا يختلف عن سقف الحرية المتاح للرجل



تميل المرأة إلى الكتابة عن عالمها الخاص وحياتها اليومية

وفي السيرة الذاتية لا نجد إلا اسمًا واحدًا هو اسم سلطانة السديري.

حرية متساوية

من العرض السابق يتبين لنا أن أبواب النشر فُتحت أمام المرأة السعودية، فأسهمت في إثراء الساحة بإنتاجها المتنوع، وهذا الإنتاج يتوزع بين فنون مختلفة.

ومن قراءتي لهذا الإنتاج لاحظت أن سقف الحرية المتاح للمرأة لا يختلف عن سقف الحرية المتاح للرجل، من حيث مناقشة بعض القضايا الحساسة، وبخاصة القضايا الاجتماعية والسياسية، كما لاحظت أن هذا الإنتاج متفاوت القوة والضعف، والعمق والسطحية، وسلامة اللغة وركاكتها: مما يقود إلى الاستنتاج أن المرأة والرجل متساويان في هذا المجال، من حيث الحقوق والفرص، كما أن هناك من الأسماء ما كوَّن لنفسه رصيدًا من القرَّاء: بسبب جرأة الطرح، وتلمس مشكلات المجتمع، ويتساوى في ذلك الجنسان.

إذن المرأة الكاتبة أتيحت لها الفرصة واحتضنها رؤساء التحرير، وأثبتت وجودها من خلال الأعمدة الصحفية التي تتسابق النساء في احتلالها، والبقاء فيها إلى ما شاء الله، وتخطت المرأة الحدود وجذبت إلى إنتاجها النقاد، وعُقدت الندوات في العواصم العربية لمناقشة بعض الروايات، وخاصة روايات رجاء عالم. وترجم إنتاج المرأة إلى لغات أخرى، وحصدت المرأة



أسهمت المرأة السعودية في إثراء الساحة الأدبية بإنتاجها المتنوع

الجوائز في الداخل والخارج، ولكن ما مدى رضاء المرأة الكاتبة عن واقعها؟

هموم

لقد عقدت ندوة للكاتبات في منزل فوزية البكر نشرت تفاصيلها مجلة قوافل العدد الرابع من عام ١٤١٥هـ /١٩٩٥م، واشتركت فيها مجموعة من الكاتبات والشاعرات، وكشف النقاش عن كثير من زوايا الهموم التي تؤرق المرأة الكاتبة، وتحدٌّ من عطائها، وقد تناول النقاش نظرة المجتمع إلى الكتابة النسائية، وإسهام هذه النظرة في تخلفها، وضحالة عطائها. ونستطيع أن نلخص ذلك في عشر نقاط هي:

- الخوف من المواجهة الاجتماعية، والخشية من التشكيك في الدين والمواظبة؛ بسبب التفسيرات غير الصحيحة التي تُحمِّل كتابات المرأة أكثر مما تحتمل.
- ضيق المساحة التي تتحرك فيها المرأة، وعجزها عن الاتصال بالمصادر المختلفة للثقافة؛ مما يؤدي إلى محدودية الخبرة الشخصية التي تؤدي بدورها إلى تسطح الكتابة.
- الدور المعدوم للمؤسسات الثقافية في دعم نشاط المرأة الإبداعي.
- نظرة المجتمع الدونية إلى المرأة، وتسفيه آرائها؛

لقد بدأت المرأة السعودية في ممارسة الكتابة قبل افتتاح المدارس الحكومية بعقد من الزمن.فإذا كانت المدارس قد فتحت أبوابها للطالبات سنة ١٣٨٢هـ فإن المرأة مارست الكتابة منذ سنة ١٣٧٢هـ

فالرجل دائمًا أفضل منها، مهما بلغت من التفوق.

- قلة المردود المادي أو انعدامه الذي يشجع المرأة على التفرغ للكتابة.
- غياب المؤسسة الثقافية النسائية التي ترعى أنشطة المرأة.
- الكتابة الإبداعية تحوي الكثير من البوح والكشف، وهذا يتعارض مع طبيعة الإطار الذي يحيط بصورة المرأة.
- إعراض النقاد عن تناول إنتاج المرأة بالدراسة والتقويم.
- التشكيك في كتابتها، فإذا أبدعت قيل: إن رجلاً وراء هذا الإبداع.
- القطيعة والعزلة، وانعدام الحوار الثقافي، وقلة فرص اللقاء الفكري لغياب المظلة الآمنة التي تحتمي بها

عوائق الكتابة تقف بوجه الرجل والمرأة، ولكن للمرأة عوائق تخصها وحدها. وفي مقدمة هذه العوائق الالتزامات المعنوية والعاطفية نحو الأسرة والأقارب. والإطار الضيق الذي ألف المجتمع أن يضع فيه الصورة المثلى للمرأة

الكاتبات، كما أن النوادي الأدبية لا تهتم بالمرأة اهتمامها بالرجل، باستثناء نادي جدة الأدبي.

مخاوف ومعوقات

وسأنقل نصوصًا مما قالته الكاتبات في الندوة المذكورة بهذا الصدد. تقول أميمة الخميس: «كان اسم أبي الكبير الأستاذ عبدالله بن خميس المهيمن يحيك التقولات حولي بأنه كتب، أو ربما شارك في كتابة مقالاتي، تلك التخرصات كانت تؤجج حمى الخروج بداخلي، والبحث عن اليسار المشاكس الذي يضمن لي حقوق الحرف».

أما ثريا العريّض فتؤكد خوفها من المتلقي، وردود فعله قائلة بعد حديث طويل عن المرأة والكتابة قديمًا وحديثًا: «أما في منطقة الخليج الذي تأخر إبداع المرأة فيه حتى السبعينيات فما زالت حركة الأدب النسائي محاصرة بتخوف المرأة من أن يقرأ إنتاجها الأدبي على أنه اعترافات ذاتية بتجارب شخصية، وهذا التخوف يحد من انطلاق المبدعات في آفاق اللغة والمضمون، فتظل منحصرة إلى حد كبير في ما هو مسموح مما يحرمها من كثير من حرارة التعبير الذاتي، والانصهار بالتجربة المرأة ما زالت مكبلة بتوجسها من استعراض مشاعرها أمام متلق لا تعرف مدى تسامحه وتعاطفه، ومتخوفة من تهمة التعري المعنوي، ثم التعرض لكل ردود الفعل السلبية المحتملة، ما لم تتكلم بلسان المرأة الأم والمواطنة والحبيبة، وتظل مشاعر المرأة الأخرى في منطقة المكبوت والمحصور غير القابل للإيغال في الإفصاح عنه».

وعن العزلة والقطيعة بين الكاتبة ومنابر الثقافة، تقول سلوى الخميس: «إذا أردتم معرفة إشكالية تجربتي القصيرة في عالم الكتابة فلكم أن تسموها تجربة القطيعة والعزلة والتجديف ضد تيار التسريع واستنهاض



الهمم، والكاتبة إذا استوعبت خطورة هذه القطيعة التي قد تؤدي إلى الانتحار الكتابي فإنها - بلا شك - سوف تناضل لتكون مع المجموع».

وبعد أن تشكو مر الشكوى من القطيعة تسأل «أين هي المرأة الكاتبة في النادي الأدبي، أو جمعية الثقافة والفنون، أو المكتبة العامة أو حتى الجامعة أو الكلية؟».

وتدعو إلى رفض هذا الإلغاء، والانتصار عليه بالعزيمة والسعي إلى التواصل، فتقول: «وفي ظل هذا الإلغاء، لا بد لها أن تسعى وتسعى لتبقى في حوار وهاجس المجموع، من الضروري أن تلهث وراء الأندية الأدبية أو جمعيات الفنون أو المؤلفين أنفسهم طلبًا لمطبوعة تريد قراءتها ولا تجدها في المكتبات.. أفعل ذلك حتى لا أظل قيد غرفة الإنعاش، ولا أتردى كغيري للاكتئاب النفسي، أو الاغتراب الكتابي، أو الاسترسال في العبث والهذيان العاطفي».

وترى الكاتبة أن الصحافة تقضي على الإبداع فتقول: «فالصحافة هذه المحرقة اليومية للأفكار والمشاعر والتوهج الإبداعي، لا تمتلك فرصة لالتقاط أنفاسك أو تعميق رؤاك وأفكارك، وعلى غير إرادة منك تنسحق لمطارداتها اليومية لتجد نفسك في النهاية صورة شوهاء للكاتب الذي تريد، وتظل تستقرئ مستقبلاً تراه ينسحب من تحت أقدامك يومًا فيومًا، ورغبة الكتابة المنشودة معلقة بأهدابك لتكون فارس الومضة الكتابية».

وعن تحيز المجتمع إلى الرجل تقول ليلى الأحيدب: «فالمجتمع يرى أن المرأة وما تنتجه في المرتبة الثانية بعد الرجل، فالرجل الطبيب أكثر كفاءة من المرأة الطبيبة، مثلاً: بمعنى أن المجتمع يحكم بالتفوق للرجل دائمًا، وإن تفوقت المرأة فهذا موضع شك.. ومن نظرة هذا المجتمع المتشكك إلى المرأة نلاحظ أن كل كاتبة تلفت الأنظار بكتاباتها وتميزها يشكك في هويتها، بل قد يقال: إنها رجل يختفي باسم امرأة.. مثلما طرح حول الشاعرة غيداء المنفى، فكثيرون طرحوا أنها اسم لرجل بنى مجده الشعري على اسم امرأة».

إن هذا القول يقودنا إلى أن الرجل يلبس عباءة المرأة ليحظى بالقبول، وهذا يعني أن المرأة تحظى بعناية تفوق العناية التي يحظى بها الرجل، وهذه النظرة، إن صحت، تلغي ما يتردد عن النظرة الدونية للمرأة، وأنها أقل شأنًا من الرجل.

وتعبر فوزية البكر عن مشكلة من مشكلات المرأة والكتابة، وهي العزلة إذ تقول: «يبدو ضيق المساحة التي تتحرك فيها المرأة منعكسًا بشكل كبير على حركة المرأة الكاتبة، إذ هي عاجزة، كغيرها من النساء، عن الاتصال بالمصادر المختلفة للثقافة، أو حتى تلقي الخبرة اليومية



مارست المرأة السعودية الكتابة قبل افتتاح المدارس الحكومية بعقد من الزمن

العادية التي تشكل خبز الكتابة، وهو ما يؤدي إلى محدودية الخبرة الشخصية التي تسطح الكتابة، أو تؤطرها داخل الأطر الرومانسية أو العاطفية».

وتحدثت بدرية البشر عن الرقيب الداخلي الذي صنعه المجتمع في أعماق الكاتبة، ودوره في الحد من عطائها، وكبح جماح موهبتها قائلة: «كما أن هناك رقيبًا داخل المبدع من صنع المجتمع، وبالتالي، فهو أيضًا في داخل تلك الكاتبة، وخطورة هذا الرقيب هو أنه يتلبس جميع رموز السلطة السلبية التي خضعت لها المرأة من خلال عملية التربية والتعليم، وقد تفشل محاولات الكاتبة في التخلص منه».

وتحدثت فوزية أبو خالد عن آلة المردود الاقتصادي من الكتابة، فقالت: «... إن الكاتبة مطالبة بإيجاد مصادر رزق، وهذا يتطلب جهدًا ووقتًا يشغلان عن الكتابة، ويجعلان طلب اللقمة يزاحم أرق الكلمة.. فيصبح على الكاتب أو الكاتبة تسول ساعة أو بعض ساعة ليكتب فيها.. ثم تتساءل أي مؤسسة ثقافية أو علمية في مجتمعنا تمنح الكاتب أو الكاتبة مهما كانت درجة إبداعيته فرصة التفرغ لعمل إبداعي أو فكري مقابل تأمينه اقتصاديًا؟ وما زالت الصحف تعامل الكتّاب والكاتبات على أنهم هواة فتمنحهم مكافأة، وليس أجرًا، وهذه المكافأة هي في الغالب مكافأة رمزية تتساوى فيها مكافأة الغث والثمين».

سعادة

وفي الوقت الذي تبسط بعض كاتباتنا هذه المشكلات

نجد أخريات سعيدات بما تتمتع به الكاتبة من مكانة، من ذلك نورة خالد السعد التي تقول: «مشواري مع الكتابة أعتقد أنه كان جميلاً، وآمل أن يستمر هكذا، والأهم هو استمرار جسور الحوار بيني وبين القراء والقارئات».

أما شريفة الشملان فالكتابة عندها، كالتنفس عمل غير إرادي، وهي سعيدة بقرائها الذين شجعوها على جمع إنتاجها في كتابين. وتذكر أنها تكتب كثيرًا وتنشر قليلاً، ولا أدري هل يعود ذلك إلى رغبة في الانتقاء، وطرح الرديء، أم يعود ذلك إلى مقص الرقيب، وعوائق النشر.

أما فاطمة الوهيبي فترى أن العوائق التي تعاني منها ليست خارجية، وإنما هي داخل ذاتها، تقول: «العائق الذي أنازعه وينازعني طويلاً عائق يتعلق بطبيعتي، وتكوّني الإنساني، ولا علاقة له بجنسي إلا من طرف بعيد خفي.. أجدني في نزوع الكتابة أتنازع مع لغة لا تساميني قط، لغة تتخلف عن وجداني وانفعالي في عالم ثخين وغليظ وصارم جلف وجد جد حرون...».

كما تناولت فوزية أبو خالد عذابها مع الكتابة حين قالت: «عذابي في العلاقة بين الوقت والكتابة، عندما لا يكون عندي إلا توزيع جسدي عضوًا عضوًا على أدواري الحياتية اليومية، دوري كأم تحمل وتلد وتربي ولا تكبر على اللعب مع أطفالها.. دوري كامرأة عاملة.. كمعلمة

المجتمع يحكم بالتفوق للرجل دائمًا. وإن تفوقت المرأة فهذا موضع شك.. ومن نظرة هذا المجتمع المتشكك إلى المرأة نلاحظ أن كل كاتبة تلفت الأنظار بكتاباتها وتميزها يشكك في هويتها



كثرت كتابات المرأة عن واقعها ووضعها الاجتماعي

كجارة وصديقة، كابنة وأخت، وكمواطنة.. دوري كشغالة وطاهية عندما تعربد الكتابة في رأسي بشماتة وتشف، كعدوٍ لدود متربص، وفوق هذا يملك القدرة على الإيذاء والتنكيل، تدخل الكتابة برعونة وطيش بيني وبين أدواري كلها، وتخرب بنزق العلاقة بيني وبين ضرورات الحياة، وأحيانًا بيني وبين الناس...».

ويبدو لي أن فوزية من خلال هذه الصرخة تطالب بتأمين الحماية الاقتصادية التي توفر شيئًا من الوقت الذي تحتاج إليه الكتابة الجادة.

أما سعاد المانع فترى أن عوائق الكتابة تقف بوجه الرجل والمرأة، ولكن للمرأة عوائق تخصها وحدها، وتجعل في مقدمة هذه العوائق الالتزامات المعنوية والعاطفية نحو الأسرة والأقارب، والإطار الضيق الذي ألف المجتمع أن يضع فيه الصورة المثلى للمرأة، كما ترى أن نظرة الرجل إلى المرأة، سواء أكانت نظرة تعاطف أم عداء، هي من عوائق إبداع المرأة.

من الإشكاليات التي دار حولها حوار الكاتبات

- انقسام كتابة المرأة إلى اتجاهين، اتجاه وعظي مدرسي، واتجاه رومانسي يعتمد على التهويمات، مع ظهور بعض الاستثناء في ذلك ممن خلت كتابتهن من هذين التوجهين.



لم تعد الكتابة حكرًا على الرجل

وعن الكتابة الرومانسية سألت فوزية أبو خالد: هل تأتي الكتابة الرومانسية عن تمكن واختيار أم عن عجز وقصور؟

وقد أجابت عن السؤال سعاد المانع قائلة: «في تصوري وبالنسبة إلى الغالبية التي أقرؤها هي تبدو نتيجة عجز وانطواء على الذات ورؤية قاصرة أحيانًا تذكرني بما تكتبه الطالبات الصغيرات، أو من هن في سن المراهقة لصديقاتهن.. والكتابة الرومانسية إذا كانت نابعة من أصالة، لها جمالها، رغم أن فترة الرومانسية انتهت منذ زمن بعيد، ولكن هذه الكتابات لا تمثل في معظم ما يكتب أصالة...».

ومن هموم المرأة في الكتابة التي دار نقاش بين المتحاورات حولها قضية النشر وصعوبته: بسبب العوائق المالية، وقيود النشر، وتشظي الإنتاج في الصحف، وعدم قدرة الكثيرات على طباعة الكتب؛ بسبب القيود. وعدم طباعة الكتب يجعل الحكم على الكاتبة لا يكون مصيبًا إلا لمن أراد المتابعة الدقيقة للصحف اليومية.

وقد أبدت سعاد المانع تحفظها إزاء قبول هذا العائق، وعبّرت عن ذلك بالقول: «إمكانيات النشر ليست صعبة أمام الكثيرات، فهناك كثير منشور، ولكنه غثاء كغثاء السيل.. قبل سنوات قليلة كنت بصدد البحث في كتابات النساء الأدبية المحلية، وقد جعلني ذلك أستقرئ كثيرًا من الكتابات المنشورة

في طباعة أنيقة، ولكن محتواها ضحل...».

وتطرقت سعاد إلى إشكالية مصطلح الكاتبة، فقالت «كلمة الكاتبة في مصطلح الصحف عندنا لا تعني الفئة التي ينطبق عليها مفهوم الكاتبة الحقيقي، ولكنها تعني كل المجموعة التي تكتب.. وتعريف الكاتبة يكاد يكون في مفهوم الصحف عندنا كل من استطاعت أن تنشر شيئًا في الصحف أو خارجها، فهي كاتبة».

وأكدت أن من يزاولن الكتابة عندنا بأنماط رديئة جدًا قد يصادفن من يمتدح كتاباتهن، وقد تؤلف كتب تهتم بتحليل هذه الكتابات، ولكن ذلك كله لا يقدم شيئًا للكاتبة الرديئة.

وترى بدرية البشر أن غياب اللوائح التي تحدد ما ينشر، كذلك غياب النقد لما ينشرهما المسؤولان عن هذا الغثاء، وتُحمل المسؤولية للنقاد ورجال الإعلام.

وتفسر فوزية البكر ضعف الإنتاج النسائي وسطحيته بالقول «أتفق في سطحية بعض المطروح في السوق وضحالته، لكن يجب أن نتذكر أن هذه ليست ظاهرة نسائية فقط، وإنما هي ظاهرة رجالية أيضًا؛ فهناك الكثير من الغثاء ملقى على رفوف المكتبات التجارية، ويجد سوقًا جيدًا وفي رأيي أن هذه الظاهرة ترتبط بالأمور الآتية:

- ظاهرة نفطية: إذ سهلت الموارد المادية لبعضهن الطريق إلى النشر دون مشقة.
- هو انعكاس للحالة الثقافية للمجتمع الذي يفقد روافد حقيقية تعبر عن هموم الناس واحتياجاتهم.
- عدم سعي الكاتبات إلى تطوير أنفسهن عن طريق القراءة وتنمية الثقافة».

ما زالت حركة الأدب النسائي محاصرة بتخوف المرأة من أن يقرأ إنتاجها الأدبي على أنه اعترافات ذاتية بتجارب شخصية. وهذا التخوف يحد من انطلاق المبدعات في آفاق اللغة والمضمون

وعن دور الناقد في إبراز الكاتب، اختلفت الآراء، فالرأي الأول، وتمثله بدرية البشر، يرى أن النقد رديف للعملية الإبداعية، وهو يسهم في إضاءة النص، وإنجاح الكاتب، على حين أن الرأي الثاني، وتمثله سعاد المانع، يرى أن الإنتاج الجيد هو الذي يجذب الناقد لا العكس.

وأختم بما قالته سعاد المانع «إنه من السطحية بمكان أن نتصور أن مجرد الإطاحة بكل العوائق يكفل وحده إنتاجًا رائعًا في مجال الأدب، وفي أحيان ليست بالقليلة نجد بعض الكتابات الأدبية التي يبرز فيها تحدي بعض الممنوعات تحرز شهرة واسعة، ولكن هذه الشهرة تأتي من خلال الإثارة في تحدي الممنوع، وليس من خلال الجودة الفنية. وهناك فارق ضخم بين الإثارة والإبداع الفني.. إن إزاحة العوائق وحدها لا تنتج أدبًا جيدًا بطبيعة الحال، ما لم يصحبها موهبة حقيقية، وثقافية جيدة...».

وهكذا نرى أن الآراء تتلاقى حينًا، وتتباين حينًا آخر حيال واقع الكاتبة السعودية، ولا شك أن هذه الآراء تحتاج إلى تحليل ومناقشة يحتكمان إلى ما تحفل به الساحة الأدبية من إنتاج.

وإذا كانت ندوة الكاتبات قد أقيمت في سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، فإننا بحاجة إلى ندوة أخرى تناقش وضع الكاتبة اليوم: هل تقدمت؟ هل تقهقرت؟ هل ظهرت أسماء جديدة؟ هل انطفأت أسماء لامعة؟ هل تطور عطاء المرأة كمًا ونوعًا أم العكس؟ هل زالت بعض العوائق التي كانت تشكو منها الكاتبات أم ظهرت عوائق أخرى؟

تعقيب على مقال: كلمات في الفلسفة والدين والعلم

يسعدني ويشرفني أن أكتب لكم هذا التعقيب المتواضع على المقالة التي وردت على صفحات مجلتكم الموقرة تحت عنوان «كلمات في الفلسفة والدين والعلم» للأخ الفاضل الدكتور أحمد محمد كنعان، ص ٢٤ـ ٤١، العدد ٣٣٨ شعبان١٤٢٥هـ/ سبتمبر ـ أكتوبر ٢٠٠٤م.

بداية أثني على الكاتب الكريم الذي طوّف بنا في توضيح العلاقة بين الفلسفة والدين، وعرض كذلك عرضًا موجزًا وشائقًا لتاريخ الفلسفة واتجاهاتها، وأحيّيه على محاولته إيجاد علاقة بين الفلسفة والدين.

وكنت أتمنى أن أجد العلاقة التي بينهما وبين العلم، ولكن الكاتب الفاضل أشار إلى العلم عندما تحدث عما أسماه «مأزق الفلسفة في عصر العلم»، وإن كنت أختلف معه في ذلك، فأظن أن الفلسفة لم تمر بمأزق في عصر العلم، ولكنها توارت في عصر العلم. وأود أن أنبه الكاتب والقارئ الكريم أيضًا على أن الفلسفة أمّ العلوم، وعنها انفصلت العلوم كافة؛ فبفضل اكتشاف المسلمين مناهج البحث العلمي، تم انفصال علم الحيوان ـ على سبيل المثال ـ عن الفلسفة على يد الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وغيره من علماء المسلمين ومفكريهم، ولم يحدث هذا الفصل بين الفلسفة والعلوم التجريبية أول مرة على أيدي أهل الغرب في عصر النهضة، وهذه فكرة شائعة المقصود منها النيل من دور المسلمين في نشأة العلم الإنساني وتطويره.

وإذا ما انتقلنا إلى تقويم بعض الآراء الواردة في المقال، وذلك ليس تقليلاً من شأن المقال بل لتنبيه العقول على أنه يوجد عدد من الأفكار الشائعة التي يجب أن نتنبه لها جميعًا لنعرف: ما المقصود من وراء ترويجها.

ـ يرى كاتب المقال: أن التاريخ البشري شهد ظاهرة فكرية متميزة لا تقل شأنًا عن تاريخ الأديان، وهي ظاهرة (الفلسفة) ...

ـ أعتقد ـ من وجهة نظري المتواضعة ـ أن الفلسفة ليست ظاهرة، بل التعبير الدقيق أنها نشاط فكري، يقوم به العقل البشري؛ بهدف البحث عن حقيقة الأشياء، وهذا التعبير الأدبي للكاتب لوصف الفلسفة أو لتقويمها هو ليس تعبيرًا فلسفيًا عقليًا دقيقًا. وأتصور أن الكاتب كان يمكنه أن يقول: إن التاريخ البشري شهد ظهور التفلسف على أيدي فلاسفة اليونان، وإن كانت هذه المسألة اختلف حولها الباحثون، فمنهم من قال برد النشأة الأولى للفلسفة إلى بلاد اليونان، ومنهم من قال في المقابل: إن النشأة الأولى للتفكير الفلسفي ترجع إلى الشرق القديم السابق زمنيًا وحضاريًا بلاد اليونان.

ـ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة تكون في مستوى الأديان، وهذا الرأي يستشف من حديثه في كل غضون المقال.

ـ هذا أمر مستحيل على الإطلاق، وإن كان ممكنًا

ففي حالة واحدة هي أن الكاتب يقصد بالدين الدين الوضعي، فلا ضير في ذلك، لكن أن تكون الفلسفة في مستوى الأديان السماوية، وبخاصة الدين الإسلامي، فهذا بالفعل أمر مستحيل، وهذا أمر لا يحتاج إلى نقاش، فالإسلام لا يمكن - بأي حال من الأحوال - أن يقارن به أي نشاط إنساني مهما كان متميزًا.

❖ يرى كاتب المقال: أن نشأة الفلسفة واكبت نشأة الأديان ...

إذا كان المقصود الفلسفة بمعناها الاصطلاحي، أعني البحث عن حقيقة الأشياء، فإنها ظهرت على يدي الفيلسوف اليوناني طاليس في القرن السادس قبل الميلاد، والأديان ظهرت قبل ذلك بكثير، وأقصد هنا بالأديان الأديان السماوية، أما إذا كان الكاتب يقصد بالأديان الأديان الوضعية فقد ظهرت هي أيضًا قبل طاليس بزمن طويل كالبوذية والهندوسية ... إلخ.

من كتب الفلسفة الإغريقية

LIVIO ROSSETTI (ED.)

GREEK PHILOSOPHY IN THE NEW MILLENIUM

ESSAYS IN HONOUR OF THOMAS M. ROBINSON



STUDIES IN ANCIENT PHILOSOPHY 6

ACADEMIA

❖ يرى كاتب المقال: أن إبليس هو أول فيلسوف ...

- إن الفيلسوف اليوناني طاليس - على قدر علمي - هو أول فيلسوف عرفته الدنيا على نحو ما ذكرنا سابقًا.

- أما مسألة عدم سجود إبليس لآدم عليه السلام، فقد ذكر كاتب المقال الآية القرآنية الكريمة: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الأعراف:١٢. وزعم أن إبليس فلسف السجود، فالنار كما تصور إبليس من خلال تأملاته الفلسفية أفضل من الطين. وأسأل: هل هذا التأويل - من قبل كاتب المقال - تسمح به الآية القرآنية الكريمة أو تستوعبه؟، هل الآية القرآنية الكريمة المطروحة هنا يقصد بها تفلسف من قبل إبليس؟ هل هذا المراد من معنى الآية الكريمة؟ على قدر علمي: الثالوث المقدس للفلسفة: الوجود، والمعرفة، والقيم، والتساؤلات التي تندرج تحت هذه المذاهب معروفة لكل دارسي الفلسفة، ولا أدري تفلسف إبليس - على نحو ما يزعم كاتب المقال - يندرج تحت أي منها؟.

وهذا الرد من قبل إبليس - على نحو ما ورد في الآية القرآنية الكريمة - هل هو تفلسف بالفعل أم إنه تأويل مذموم للنص الديني؟! أعتقد أن النص الديني الوارد هنا لا يعني أي تفلسف أبدًا، بل إنه يشير إلى تكبر واستعلاء من قبل إبليس فحسب. وأعتقد كذلك أن إقحام ضلالات الفلسفة في تفسير النصوص الدينية سوف يؤدي إلى تأويلات مذمومة مرفوضة من قبل الإسلام والمسلمين، لذلك أعتقد أنه لا داعي لإقحام الفلسفة في مجال الدين على الإطلاق.

- وأسأل - ولعل القارئ الكريم يسأل معي - لماذا هذا الخلط أو الربط بين الفلسفة والدين؟ وهل مباحث الفلسفة هي موضوعات الدين نفسها؟. نعم، أثارت الفلسفة عددًا من القضايا، التي نجدها في الدين، ولكن

طريقة طرح الدين لهذه القضايا والحلول التي طرحها بصددها تختلف عن طريقة الفلسفة؛ وذلك لسبب بسيط وبديهي هو أن الدين - الدين السماوي - وحي إلهي، أما الفلسفة فنشاط عقلي إنساني يصيب ويخطئ، وقد يريد أحيانًا ضررًا بالبشر عن قصد أوغير قصد، أما الوحي الإلهي فهو على صواب دائمًا وأبدًا، ولا يريد سوى الخير للبشر.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفيلسوف اليوناني أفلاطون (٣٤٧- ٤٢٧ق.م) أول من أسس قواعد الفلسفة.

- على قدر علمي، فإن الفلسفة تنقسم إلى شطرين: فلسفة ما قبل سقراط (٣٩٩ - ٤٧٠ق.م) وفلسفة ما بعد سقراط، وهذا ما اتفق عليه الباحثون لأن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، فبعد أن كانت الفلسفة تبحث في الوجود صارت على يده تبحث في مشكلات الإنسان وأخلاقه. ويعدّ سقراط - لا أفلاطون - هو من أرسى أسس الفلسفة؛ لأنه وجّه الفكر الفلسفي تجاه العقل، وأكد دوره في عملية المعرفة، عكس السوفسطائيين الذين زعموا أن الحواس مصدر المعرفة، وسار على دربه تلميذه أفلاطون، ومن بعده تلميذ أفلاطون أرسطاطاليس (٣٢٢ - ٣٨٤ ق.م) وتسمى مدرسة سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس مدرسة التصورات العقلية، ورائدها سقراط.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة كلمة يونانية تشتمل على مقطعين: Philo = محبة، Sophy = المعرفة.

- إن كلمة الفلسفة كلمة يونانية بالفعل وتنقسم إلى مقطعين: الأول: Philo = محبة، والثاني: Sophy = المعرفة، وبناءً على ذلك فالمقصود من المصطلح «محبة الحكمة» وليس «محبة المعرفة»، ويرى بعض الباحثين أن أول من استخدم هذا المصطلح هو سقراط، ويرى بعضهم الآخر أن أول من استخدم هذا المصطلح هو فيثاغورس (٥٠٠ - ٥٨٠ق.م) الذي أشار إلى أنه ليس حكيمًا، بل إنه محب للحكمة.

ويرى كاتب المقال: أن المنطق من بين أقسام الفلسفة ...

- إن مباحث الفلسفة الرئيسة - كما ذكرنا سابقًا - الوجود، والمعرفة، والقيم، ومباحثها الفرعية فلسفة القانون، وفلسفة الأخلاق، .. إلخ. أما المنطق فليس قسمًا من أقسام الفلسفة، إنما هو، طبقًا للتقسيم الأرسطاطاليسي للعلوم، نظرية، وعملية آلة أو مدخل للعلوم فحسب.

❖ يرى كاتب المقال: أن الإنسان لايدرس الفلسفة، بل يمارسها ...

- ذلك يعني أنه - طبقًا لهذا الرأي - يوجد ملايين الممارسين للفلسفة، وبطبيعة الحال سيكونون فلاسفة، فالممارس للتفلسف - بالطبع - فيلسوف، فهل ذلك يعني أنه يوجد ملايين الفلاسفة، أظن - ولعلي لا أجانب الصواب - أن معشر المتخصصين في دراسة الفلسفة: دارسون أو باحثون فحسب في مجال الفلسفة، وليسوا فلاسفة، والإنسان العادي القارئ للفلسفة هو قارئ كذلك لها، وليس فيلسوفًا.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة الشرقية القديمة ترعرعت في الهند والصين بصورة خاصة ..

- أسأل - ولعل كثيرين يتساءلون معي - ألم تترعرع الفلسفة أيضًا في مصر ؟! أليس لمصر باع كبير في تاريخ الفلسفة والحضارة عامة؟!، بل إن فلاسفة اليونان أنفسهم زاروا مصر وتلمذوا لأيدى الكهنة والمفكرين المصريين، فقد زارها طاليس، وفيثاغورس، وأفلاطون وغيرهم من فلاسفة اليونان الذين تلمذوا لأيدى المصريين.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة الشرقية خالطها كثير من الأوهام والأساطير ...


الإسكندر الأكبر في إحدى غزواته

- نعم، اختلطت الفلسفة الشرقية القديمة بالخرافات والأساطير، وصيغت بطريقة شعرية. ولكن من الإجحاف ألاّ يذكر كاتب المقال أن إسهامات فلاسفة اليونان خالطها بدورها الأوهام والأساطير. فقد تأثر طاليس - مثلاً - بقوله: الماء علة الأشياء - على نحو ما يرى فريق من الباحثين - بالأسطورة اليونانية القديمة التي تزعم أن «أوقيانوس» المحيط هو مصدر الأشياء.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة اليونانية اهتمت اهتمامًا كبيرًا بالأخلاق ...

- لا أعتقد ذلك، فمبحث الأخلاق واحد من المباحث الفلسفية فحسب، بل ربما لم ينل مبحث الأخلاق الاهتمام نفسه الذي ناله كل من مبحث الوجود ومبحث المعرفة.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة الوسيطة ترعرعت في المنطقة العربية ...

- أعتقد أن الفلسفة الوسيطة ترعرعت في المنطقة الإسلامية لا المنطقة العربية؛ لأنه - من وجهة نظري - لولا الإسلام ما كانت الحضارة الوسيطة، بل ما كانت الحضارة عامة.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة تفتقد إلى الأساليب التعبيرية البلاغية المشرقة التي يمتاز بها كل من الأدب والفن، ولا سيما الشعر والغناء ... وأنها معقدة بشكل محيّر ...

- أظن أن الفلسفة لا تفتقد إلى هذه الأساليب والتراكيب البلاغية، وأن استخدم هذه الأساليب أصحاب الفلسفة صارت الفلسفة على أيديهم أدبًا أو فنًا أو ما شابه ذلك، وعمومًا فللفلسفة أسلوبها العقلي التأملي الخاص بها، وهذا الأسلوب ليس معقدًا ولا محيرًا لدارسها أو الباحث في مجالها، وعلى من يريد قراءتها أو دارستها أن يقف على معجمات مفرداتها ومصطلحاتها، وهذا ليس عيبًا في الفلسفة، بل العيب يكون في قارئها أو دارسها.

❖ يرى كاتب المقال: أنه يوجد طائفة من الفلاسفة ينعتهم بـ «الفلاسفة الشرفاء».

- هذا التعبير عندي غير أكاديمي ولا بحثي، ولا يمكن أن يقال في المجال الدراسات الفلسفية، ولم أسمع به من قبل.

❖ يرى كاتب المقال: أن معظم الفلاسفة الذين ساهموا في تشكيل الفكر الفلسفي، وكانت لهم بصمات واضحة عليه، كانوا من المنبوذين ... أما المترفون (أبناء الذوات) ... فلا يمكن لهم أن يصبحوا فلاسفة ...

- أعتقد أن سقراط ومن ذكرتهم مثال على المنبوذين الذين ساهموا في نشأة التفكير الفلسفي، ولكن المترفين كان لهم دور كذلك في نشأة التفكير الفلسفي، فأرسطاطاليس - على سبيل المثال لا الحصر - واحد من المترفين الذين ساهموا في نشأة التفكير الفلسفي، فقد نشأ وترعرع في بلاط الملك فيليب والد الإسكندر الأكبر (ت٣٢١ ق.م) تلميذ أرسطاطاليس. وبقول عام، فإن التفلسف في بلاد اليونان كان قاصرًا



على الأحرار من اليونانيين.

❖ يرى كاتب المقال: أن مما يسجل لمصلحة الفلسفة خلال تاريخها الطويل أن أحدًا من الناس لم يقتل بسبب الفلسفة ...

ـ أعتقد أن سقراط من أوائل البشر الذين قتلوا بسبب الفلسفة بتجرعة السم.

❖ يرى كاتب المقال: أن أبا الفلسفة طاليس، وقوله: الماء علة الأشياء مقولة قديمة لا نستبعد أنها وردت في بعض الكتب السماوية الأولى على غرار ما ورد في القرآن الكريم كقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء: ٣٠ ... ذلك يؤكد أن المقولات الفلسفية الأولى انطلقت أساسًا من الرسالات السماوية ...

ـ أسأل مرة أخرى: لماذا هذا الربط بين الفلسفة والدين على مدار هذا المقال؟ وعمومًا، فقد عرفت مما سبق ـ أقصد كلام كاتب المقال ـ ماذا يقصد بالدين في هذا المقال؟، إنه الدين السماوي. وأنا لا أتفق مع وجهة نظره. فمن الممكن أن نفترض أن طاليس أخذ قوله عن الأديان السماوية، وبخاصة أولى كلمات سفر التكوين من التوراة التي نتبين منها أنه في البدء لم يكن شيء وكان ظلام يلف العالم، وظهر كل شيء من الماء. ولكني أعتقد أن طاليس عندما نظر حوله لاحظ أن كل شيء يتغذى بالماء، فافترض فكرة ذهنية مضمونها أن الماء علة الأشياء جميعًا مثلما افترض أرسطاطاليس فكرة المحرك الأول الذي يحرك العالم ولا يتحرك .. وهذا الربط أو الخلط بين قول طاليس وبعض النصوص القرآنية، جعل بعض دارسي الفلسفة يظنون ـ وهم على باطل ـ أن القرآن الكريم تأثر بطاليس، والعياذ بالله. ولأجل ذلك أعتقد أن الكتابة عن العلاقة بين الدين والفلسفة تحتاج إلى قلم رصين وحصيف، وأرجو من الله تعالى ألاّ يلتبس الأمر على القارئ الكريم؛ أعني مسألة الخلط بين الفلسفة والدين.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة في جوهرها كالدين ...

ـ أعتقد أنه تبين أن كاتب المقال يقصد بالدين الدين السماوي، وأعتقد ـ ويتفق معي كثيرون، بإذن الله تعالى ـ أن هذا التشبيه فاسد، وغير مقبول، ولا يستحق الرد عليه، فهل من المقبول أن نقول: إن الفلسفة كالإسلام في شيء مهما صغر هذا الشيء أو كبر..

❖ يرى كاتب المقال: أن أفلاطون ظل يدعو الفلاسفة إلى النزول من سماء الفلسفة إلى أرض الواقع ... ودعا تلاميذه إلى التنافس مع رجال الأعمال ...

ـ نستنتج من ذلك أن كاتب المقال يرى أفلاطون واقعيًا، ولكن هذا نقيض الثابت عن أفلاطون، فهو رائد المثالية، ومؤسسها الذي تأثر في ذلك بالفيلسوف اليوناني بارمنيدس (٥١٥ق. م) الذي قسم العالم إلى قسمين: عالم المعقول، وعالم المحسوس.

❖ يرى كاتب المقال: أن أغلب الفقهاء تحاشوا الخوض في غمار الفلسفة، وحذّروا منها، واستشهد على ذلك بنصوص اقتبسها عن كل من الغزالي (ت ١١١١م) وابن خلدون (ت ١٤٠٦م) ...

وأود أن أنبه الكاتب وأنبه نفسي والقارئ الكريم على جملة غاية في الأهمية في نهاية النص الذي استشهد به لابن خلدون، وهي: « .. ولا يكبن أحد عليها ـ يقصد الفلسفة ـ وهو خلو من علوم الملة ـ يقصد الملة الإسلامية ـ، فقل أن يسلم لذلك من معاطبها ..»

ـ يؤكد النص أن الفلسفة لا يقبل على دراستها إلا من هضم علم الشريعة وتمثلها، واستفاد منها تمامًا، حتى تعطيه حصانة ضد مفاسد الفلسفة. ولأجل ذلك ألف كثير من مفكري المسلمين المؤلفات للتنبيه على ذلك، وفي مقدمتهم شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ١٣٢٨م) الذي نبه عقول الأمة على المفاسد والضلالات التي تشيع في الفلسفة وفي مقدمتها منطق زعيمهم أرسطاطاليس، ويبدو ذلك بوضوح في مؤلفات شيخ الإسلام ومنها مؤلفه «نقض المنطق» الذي بين فيه فساد المنطق الأرسطاطاليسي وعقمه، وهو في ذلك يسبق رواد الفلسفة الحديثة بيكون، وديكارت ـ القرن السادس عشر الميلادي ـ الذين أخذوا عنه نقدهم لمنطق أرسطاطاليس.

❖ يرى كاتب المقال: أن الفلسفة إذا اقترب منها العامة قد تصيبهم بمرض «لوثة الفلسفة» ...

ـ أعتقد أن من تحصن بالشريعة الإسلامية لا يصاب بهذا المرض، وأي إنسان يخاف على نفسه من الانزلاق إلى الهاوية عند خوضه لغمار الفلسفة فعليه الابتعاد عنها فورًا، ويترك أمر خوض غمارها إلى الخاصة. وعمومًا أعتقد ـ وأتمنى ألاّ أجانب الصواب ـ أنك أول من ينحت هذا التعبير. وأتمنى من الله تعالى ألاّ تصاب أنت و أنا ولا القارئ الكريم بهذا المرض، إن شاء الله تعالى، وهو على كل شيء قدير. وعافانا العلي القدير من مفاسد الفلسفة وضلالاتها.

وأخيرًا وليس آخرًا فيما يتعلق بقائمة المصادر والمراجع أتمنى من الله تعالى أخي كاتب المقال أن تراعي في المقالات القادمة انتقاء المراجع المتخصصة فيما يتعلق بالفلسفة. وبالنسبة إلى تواريخ الحياة والممات للأعلام فيما قبل الميلاد أرجو أن تراعي أن التاريخ الأكبر هو ما يقترب من الميلاد، ولذلك نبدأ به، مثال أرسطاطاليس: ٣٢٢ق.م الأكبر من ٣٨٤ق.م؛ لأن التاريخ الأول هو الأقرب للميلاد لذلك نكتب أرسطاطاليس (٣٢٢ ـ ٣٨٤ ق.م).

أخوكم

د. حسن حسن كامل إبراهيم
أستاذ مشارك ـ قسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية ـ جامعة الملك سعود





هودجها وعيون الريح

جابر أبو حسين

دمشق ـ سورية

كونٌ جديدٌ

كي تقدسَكِ الشموسُ

فأنتِ بدءُ الضوءِ

بدءُ النبضِ

لا .. لن يقدرَ الريحُ المروضُ

بالعصيِّ

على اختطافِكِ مِن دمائي

سوفَ تبقينَ الحبيبةَ والأميرةَ والقرى

سيمرُّ هودجُكِ المغطّى

بالصبايا والخطايا

فوقَ روحي

كي يزوّجَها القصيدةَ والحبَقْ

كونٌ ليتسعَ الربيعُ

لنحرسَ الأزهارَ من ألم اليباسِ

ومن بساطةِ مقلتينا

هل تعبتِ لنُسْقطَ الأقمارَ منا؟

ـ سوفَ يُسقِطُها سوانا

سوف تتعبُ يا حبيبي

آه من قلقي عليك

ـ أتقمَّصُ الأبراجَ

إن تَعِبَتْ يدايَ

سأمسكُ الخيطَ الأخيرَ

سأنسجُ القلبَ احتمالاً للوصولِ

وجرَّةً للدمعِ



أسكبُها
من الجبلِ المطلِّ على النجومِ
على يدينا آنَ تشتبكانِ
فالدنيا يدانْ؟
- هذي يدي
خذ من مرافِئِها شراعَكَ
خذ من الدفءِ الأمانَ
وخذ من العينينِ أفقك
خذ من القلبِ التوهّجَ والأغاني
واتركِ الأحزانَ لي
أنا حزنُ هذا العالمِ
المخلوقِ من قمحٍ وورْدْ
- أنا حزنُ هذا العالمِ
المحروقِ في لهبٍ وَبْردْ
- أنا حزنُك المخلوقُ
من فرحِ السنابلِ
ترصدُ الشعرَ الطويلَ
يسرحُ الدنيا
على قلبي وبوحِ أصابعي
قد تحزنُ المرآةُ إن تأتِ إليها
دونَ طيفي وانبعاثي من عيونِكِ
سوفَ يسألُ مشطكِ الموعودُ بي
عن موجةِ الحبقِ المسافرِ من يديَّ
فلا تقولي: «نام في الوقتِ المحاصَرِ بالمدى»
قولي: تأهّبَ للقيامةِ»
آه يا أمي على خبزِ التألّهِ
ماتَ في قلبي الفضاء

شامُ الجميلةُ هذه اللحظاتِ
تجهشُ بالبكاءْ
وأنا أحاولُ أن ألملمَ دمعَها
(سيجارةً) للحبِّ
فاكتوتِ السماء
ممن تخافُ الحلوةُ السمراءُ؟
- أخشى من صدى الآهاتِ فيكَ
أخافُ من ألمي عليكَ
وأخافُ من بحرٍ قديمٍ في عروقِكَ
قد تخالفُه مراكبُنا الشفيفةُ
- رحلةٌ للموت بين البحرِ والحربِ العصيّةِ
بين ماءِ الخلقِ والنّارِ الجديدةِ
سوف تفصلنا الأشعةُ والدخانْ
- أخشى على عينيكَ من سحبِ الدخانِ
ومن عيونِ الريحِ
تطفئُ وهجَ أطفالٍ
بمعبدكِ الوثيرِ
يحاولونَ الرقصَ
حتى لا يموتوا
- سوف تبقين الحبيبة
والأميرةَ
والبلادْ
سيمرُّ هودجُكِ المعطَّرُ بالدموعِ
وباقةِ الفرحِ الصحيحِ
على ضلوعي
كي يحرّضَها
على ذرفِ الألقْ.

ورقـــــاء وغـــيـــداء

محمد عدنان السلمان
الأحساء ـ السعودية

وَرْقـــاءُ يا ذاتَ التَّـــعَـــزُّزِ، رَجِّـــعي
فَلْـتُطْـرِبينا بـالغناء المُبْـــــدَعِ
وَلْتُـسْـمِـعي صُمَّ الحَـصى تَرْنيـمَـةً
تَشْـــفي فـــؤادَ المُؤلَـمِ المُتَـــوَجِّعِ
كَلِمـــاتُهـــا لُغَـــةٌ تَقـــومُ بذاتِهـــا
مَـحْـجـوبَةٌ عنْ عَـقْلِ كُلِّ مُـقَنَّعِ
مَـهْـمـا بَحَـثْنا لَنْ نَراهَا مُطْلَقًا
لا في (لِسانِ العُرْبِ) أو في (المَجْمَعِ)
لُغَــةٌ (أبو نَصْــرٍ) وَعى أرْكـانَهـا
وأجـــادَهـا (زِرْيَـابُ) هـذا اللَّوْذَعي
وَمِنَ العَـبـاقِـرَةِ الأعـاجِمِ (فـاجْنَرٌ)
أو (بـاخُ) أو (مـــوزارُ) ذاكَ الأَلْمَعي
لُغَـةٌ تُسـافِـرُ بالقُلوبِ إلى الطِّلى
وإلى عَـــوالِمِ بَهْـــجَـــةٍ وتَمَـــتُّعِ
كـالسِّـحْـرِ تُبْـحِـرُ للصَّبَـابَةِ والهَـوى
بَيْنَ الحِـســانِ البــاهِراتِ المَطْلَعِ
في قـارِبٍ قـد ضَمَّ غَـيْـرَ خَـرائِدٍ
وَبُـدورِ تَـمٍّ أو نُـجـــــومٍ لُمَّعِ
وَصَلَتْ إلى حَـدِّ الكَمـالِ صِـفـاتُهـا
تِلْكَ العَـذارى النازِعـاتُ البُـرْقُعِ
ألحـــاظُهُنَّ لآلِئٌ شَـــفّـــافَـــةٌ
ورُمـوشُـهُنَّ كَـمـا السِّنانُ البَلْقَعي
وشُـعـورُهُنَّ خَـمـائِلٌ مُلْتَـفَّـةٌ
سَـوْداءُ في لَوْنِ الفَـضـاءِ البَلْقَعِ
وَوُجُـوهُـهُنَّ مُـنيـرَةٌ وَهّـاجَـةٌ
هُنَّ الضِّـيـا لِطِيـافِ لَيْلٍ أَسْـفَعِ
وثُغـورُهُنَّ كُـؤوسُ خَـمْـرٍ رَشْـفُـهـا
يَهَبُ الحَـيـاةَ لِمَيِّتٍ مُـتَـقَطِّعِ
أنفـاسُـهُنَّ على العُطورِ أمـيـرَةٌ
مِـثْلُ الشَّـذا طارَتْ بمِسْكٍ أَضْـوَعِ
وإذا نَوَيْـنَ عـلى الكـلامِ تَكَرُّمًـا
ثَمِلَ الكلامُ بِحَـرْفِـهِنَّ المُمْـتِعِ
وصُـدورُهُنَّ جِنـائِنٌ قَـدْ أَزْهَرَتْ
وَتَوَرَّدَتْ بـالمَرْمَـرِ المُتَـرَعْـرِعِ
وَخُـصـورُهُنَّ مُـهَـفْـهَـفـاتٌ كُلُّهـا
كَـغُـصـونِ بانٍ أو أراكٍ مُـفْـرِعِ
ودَقـيـقَـةٌ سِـيـقـانُهُنَّ، تَناسَـقَتْ
أفْـخـاذُهُنَّ مَعَ الجَـمـالِ الأَرْفَعِ
خُطُواتُهُنَّ إذا مَـشَـيْنَ كَـأنَّهـا
خُطُواتُ ريمٍ في فَـضـاءٍ أَجْـرَعِ
مِنْ بَيْنِهِنَّ غَـزالَةٌ مَـيّـاسَـةٌ
هَبَطَتْ من الأُفُقِ الرحـيـبِ الأَوْسَعِ
تَخْـتـالُ كِـبْـرًا والمِلاحُ أَحَطْنَهـا
مِن كُلِّ حَـدْبٍ من جِـهـاتٍ أَرْبَعِ

التحدّي

مجبل المالكي

صنعاء ـ اليمن

ما انتهتْ بعدُ ...

أجراسُها غضبُ البرقِ في غيهبِ الواقعَةْ

ما انتهتْ بعدُ ...

كَمْ أعْـقَـبَتْ نَظراتُهـا مِنْ حَـسْـرَةٍ

حـتى بقلْبِ الناسكِ المُتَـوَرِّعِ

ثَوْبُ الجـمـالِ تَذَيَّلَتْ فـيـه بلا

بُطءٍ كَـئـيبٍ أو بِرَكْضٍ مُـفْـزِعِ

هيَ مِـثْلُ وَرْقَـاءٍ تدورُ بِروْضَـةٍ

غَنّاءَ مـورِقَـةٍ بوادٍ مُـمْـرِعِ

غَنَّتْ على الأفْنانِ أعْـذَبَ وَصْلَةٍ

مِنْ عـالَمِ الأنْغـامِ دونَ تَـمَنُّعِ

قَـدْ أسْـمَـعَتْ صُمَّ الحصى تَرْنيمَـةً

تَشْـفِي فُـؤادَ المؤلَمِ المُتَـوَجِّعِ...

موغلةٌ في أقاصي المداراتِ نيرانُها الصاعِقةْ

ما انتهتْ بعدُ...

ينقضُّ أبناؤُها الغُرُّ مثلَ الأبابيلِ

فوقَ الرُّؤوسِ الدَّميمةِ

أبناؤُها العاشِقُونَ:

سيْلُ عاصفةٍ تَمْتَطِي رَغْوَةَ الجُرْحِ

تَهْتِكُ ليلَ الستارَةِ

زيفَ المُداجينَ والقانعينْ.

يا طُيورَ الشُّمُوسِ المُشِعَّةِ في زيزفون المَسِيْرَةِ

هزّي بجذْعِ الفؤوسِ الحِجارَةِ

يَسّاقطِ المَوْتُ في أعيُنِ المارقينْ

والجموعُ المغيرةُ تَنْشَقُّ عنْ غَضَبٍ باهِظٍ

كالجُنونْ.

فليكنْ بدءُ هذا التحدّي الفلسطينيِّ نَصْرًا

مِنَ اللهِ يَخْضَرُّ بينَ الأكفِّ التي حَمَلَتْ

شُعلةَ المجدِ،

ينهلُّ فوقَ ائْتِلاقِ المآذنِ،

يَزْدانُ في مَوْكِبِ الفاتحينَ الذُرا،

والذينَ اسْتَظَلُّوا بنُورِ الشهادَةِ،

في أعينِ النِّسْوَةِ الصَّادحاتْ:

كُلّنا سوفَ نفديكِ يا دُرَّةً

بينَ قاعِ القلوبِ النقيّةِ،

يا بَيْرَقَ الفَتْحِ والعاشقينْ.

كُلّنا سوفَ نفديكِ،

نُسَرِّجُ مَلْحَمَةَ النصرِ في زفّةِ العشْقِ

حتى تُطلّينَ منْ شُرْفَةِ العَصْرِ فاتِنَةً

ترتدينَ البـهـاءَ المطرَّزَ بالفَـجْـرِ واليـاسـمِـيْنْ





الطاهي العجوز

قسطنطين بأوستوفسكي(*)

ترجمة: هاشم حمادي

دمشق ـ سورية

في إحدى الأمسيات الشتوية من عام ١٧٨٦م كان العجوز الأعمى، وهو طاه سابق لدى الكونتيسة «طون»، يحتضر في منزله الخشبي على أطراف «فيينا». والواقع أن ما يقطنه لم يكن منزلاً، بالمعنى الفعلي للكلمة، بل مجرد محرس عتيق، يقوم في عمق حديقة، ملأى بالأغصان العفنة، التي أسقطتها الرياح. ولدى كل خطوة كانت الأغصان تخشخش، فيبدأ كلب الحراسة الهرير داخل جحره، بصوت واه. كان الكلب، هو الآخر، يحتضر على غرار صاحبه، بعد أن بلغ من العمر أرذله، ولم يعد قادرًا، حتى على النباح.

لعدة سنوات خلت رزئ الطاهي بالعمى، بسبب حرارة الفرن. ومنذ ذلك الحين أسكنه وكيل الكونتيسة في المحرس، وخصص له عدة فلورينات(**)، تدفع له بين الحين والآخر.

لم يكن الطاهي يعيش وحيدًا، بل كانت معه ابنته ماريا، ذات الثمانية عشر ربيعًا، وكان أثاث المحرس يقتصر على سرير عتيق، وطاولة غليظة، ومقاعد عرجاء، وبعض الأواني الخزفية المغطاة بالشقوق، وهناك أخيرًا المعزف، وهو ثروة ماريا الوحيدة.

كان المعزف من القدم بحيث إن أوتاره كانت تتأوه لدى تردد أي صوت من حوله. ولم يكن بوسع أحد أن يدخل البيت دون أن يستقبله المعزف بهدير واهن متقطع، فكان الطاهي يطلق عليه مازحًا لقب «حارس البيت».

ما إن فرغت ماريا من غسل أبيها. وألبسته قميصًا نظيفًا باردًا، حتى قال لها:

ـ لم أكن أبدًا أحب الكهنة والرهبان، وليس بمقدوري الاعتراف للكاهن، علمًا أن علي أن أطهر ضميري، قبل الرحيل.

ـ وما العمل؟ سألت ماريا، بوجل.

ـ اخرجي إلى الشارع، واطلبي من أول من تصادفين أن يأتي، ويتلقى اعترافي، فلن يردك أحد خائبة.

ـ إن شارعنا مقفر جدًا، همست ماريا، وألقت المنديل على رأسها، ثم خرجت. جرت عبر الحديقة، وبصعوبة بالغة فتحت البوابة الصدئة، ثم توقفت. كان الشارع مقفرًا إلا من الأوراق التي كانت الريح تسوقها، ومن قطرات المطر الباردة، التي كانت تهطل من السماء الدكناء.

انتظرت ماريا طويلاً، وهي تصيخ السمع. أخيرًا خيل إليها أنها ترى أحدًا. كان يسير بمحاذاة السياج، وهو يدندن بصوت منخفض، فخطت للقائه، وصرخت، إذ اصطدمت به. توقف المجهول وسأل: من هناك؟

أمسكت ماريا بيده، وبصوت مرتجف نقلت إليه طلب والدها المحتضر.

حسن ـ قال الشخص بهدوء ـ صحيح أنني لست



كاهنًا، لكن الأمر سيان، هيا بنا.

دخلا البيت، وفي ضوء الشمعة رأت ماريا شخصًا نحيلاً قصيرًا، ألقى الشخص معطفه المبلل على المقعد، فكانت ثيابه جميلة وبسيطة. تراقص ضوء الشمعة على قمصلته السوداء، ولمع فوق الأزرار الكريستالية، والياقة المخرّمة.

كان الغريب لا يزال في ريعان الشباب.

وعلى غرار الصبيان. هز رأسه، وسوّى شعره المستعار، المغطى بالبودرة، ثم قرب كرسيًا صغيرًا من السرير، وجلس. وراح، وهو منحن فوق المحتضر، يحدق بتمعن ومرح في وجهه، ثم قال:

- هات ما عندك، فلربما استطعت، ليس بسلطتي الدينية، بل بفني، الذي أخدمه، أن أخفف عنك في هذه الدقائق الأخيرة، وأزيل بعضًا من العبء، الذي يثقل كاهل روحك.

- عملت طوال حياتي، إلى أن فقدت نعمة البصر - تمتم العجوز، وجذب الغريب من يده، أقرب إليه - ومن يعمل لا وقت لديه لاقتراف الذنوب وارتكاب المعاصي. لكن حين أصيبت زوجتي مارتا بمرض السل، ووصف لها الطبيب الأدوية المختلفة، الغالية الثمن، وأمر

بتغذيتها بالقشدة وثمار التين، وبسقيها النبيذ الأحمر الساخن، فقد سرقْتُ أحد الصحون الذهبية من طقم أواني الكونتيسة «طون»، وكسرته، ثم قمت ببيع قطعه. وأنا الآن أتألم، حين أتذكر ذلك، ولقد أخفيت ذلك عن ابنتي، التي ربيتها على النزاهة والاستقامة.

- هل ألحقت فعلتك الأذى بأحد من خدم الكونتيسة؟.

سأل الغريب.

- لم يتأذ أحد. أقسم لك يا سيدي - رد العجوز، ثم انخرط في البكاء - وهل كان بوسعي أن أسرق الذهب، لو كنت أعرف أن ذلك لن يجدي مارتا نفعًا!

- ما اسمك؟ سأل الغريب.

- يوهان ميئير

- اسمع يا يوهان - قال الغريب، ووضع يده فوق عيني العجوز العمياوين - أن لست مذنبًا تجاه أحد، وما قمت به لا يعد حرامًا، ولا يعدّ سرقة، بل يمكن أن يحسب لك كحسنة.

- آمين - همس العجوز.

- آمين - كرر الغريب، وأضاف: والآن ما هي رغبتك الأخيرة؟

- بودي أن يعتني أحد بماريا.

- سوف أقوم بذلك. وماذا تريد أيضًا؟

وهنا ابتسم المحتضر، على حين غرة، وقال بصوت عال: بودي أن أرى مارتا على الحال، الذي التقيتها حين كنا شابين. أن أرى الشمس، وهذه الحديقة القديمة، وهي تزهر ربيعًا، لكن هذا غير ممكن يا سيدي. أرجو ألاّ تزعل من كلامي الأحمق. يبدو أن المرض قد ذهب بعقلي.

طيب - قال الغريب. ونهض - طيب - عاد يقول، ثم اقترب من المعزف وجلس على الكرسي الصغير، إزاءه، طيب - قال بصوت عالٍ، للمرة الثالثة، وعلى حين غرة تناثر الرنين السريع عبر المحرس، لكأن مئات من الكرات الكريستالية تدحرجت على الأرض.

- اسمع - قال الغريب - اسمع، وانظر.

ثم بدأ العزف.

وفيما بعد تذكرت ماريا وجه الغريب، حين صدح المفتاح الأول تحت يده، فقد اكتسى جبينه بشحوب غير عادي. وفي عينيه، المائلتين إلى السواد، تراقص لهب الشمعة.

ولأول مرة، منذ عدة سنوات، غنى المعزف بكامل طاقته. وانداحت نغماته، متجاوزة المحرس، لتملأ الحديقة كلها، فخرج الكلب العجوز من جحره، وأقعى، وقد مال برأسه جانبًا، وراح يبصبص بذيله، وقد نصب أذنيه. بدأ الثلج المبلل يتساقط، وظل الكلب خارجًا، وكان يكتفي بنفض رأسه بين الفينة والأخرى.

- إنني أرى يا سيدي - صاح العجوز، ثم نهض نصف نهضة في سريره - أرى اليوم، الذي التقيت فيه مارتا، لقد كسرتْ إبريق الحليب بسبب ارتباكها.

كان ذلك شتاء في الجبال، كانت السماء شفافة، كما الزجاج الأزرق، وكانت مارتا تضحك. كانت تضحك، كرر العجوز، وهو يصيخ السمع إلى شدو الأوتار.

تابع الغريب عزفه، وهو ينظر عبر النافذة السوداء، ثم سأل: والآن، هل ترى شيئًا؟

ظل العجوز صامتًا، يصيخ السمع.

- هل يعقل؟ قال الغريب بسرعة، وهو لا يكف عن العزف - أنك لا ترى الليل، وقد تحول من الأسود الحالك إلى النيلي، فالأزرق، وأن الضوء الدافئ يسقط من علٍ، وأن الأزهار البيضاء تتفتح على الأغصان القديمة لأشجار حديقتكم؟ أعتقد أنها أزهار التفاح، وإن كانت تبدو من هنا، من الغرفة، شبيهة بالزنابق الكبيرة. انظر، ها هو ذا الشعاع الأول يحط على السياج الحجري



فـيـدفـئـه، وهـا هـو ذا الـبـخـار يـتـصـاعـد منه. لا بد أن الطحلب، المملوء بالثلج الذائب، بدأ يجف، أمـا السـمـاء فأصبحت أكثر ارتفاعًا، أكثر زرقة، وأكثر روعة. وها هي ذي أسـراب الطيـور تندفع نحـو الشـمـال، فـوق مـدينـتنا العتيقة - «فيينا»

- إنني أرى هذا كله - صاح العجوز.

صرّت الدواسة بهدوء، وصدح المعزف بمهابة، لكأنه ليس هو من يصدح، بل مئات الأصوات المتهللة.

- كلا ياسيدي - قالت ماريا - إن هذه الأزهار لا تشبه الزنابق أبدًا، إنها أشجار التفاح، تفتحت خلال ليلة واحدة.

- أجل - قال الغريب - إنها أشجار التفاح، لكن وريقاتها كبيرة جدًا.

- افتحي النافذة يا ماريا - تردد صوت العجوز.

فتحت ماريا النافذة، فاقتحم الهواء البارد الغرفة. كان الغريب لا يزال يعزف بهدوء وبطء.

سقط العجوز على الوسادة، هو يتنفس بنهم، وراح يفتش بيده فوق اللحاف، اندفعت ماريا نحوه، وتوقف الغريب عن العزف، لكنه بقي جالسًا لدى المعزف، دون حراك، لكأنه مفتون بموسيقاه.

أطلقت ماريا صرخة، فنهض الغريب، واقترب من السرير.

قال العجوز، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- رأيت كل شيء واضحًا جليًا، كما لعدة سنوات خلت، لكن بودي، قبل الرحيل، أن أعرف الاسم، اسمك.

- فولفجانج أماديه موتسارت - رد الغريب.

تراجعت ماريا عن السرير، وانحنت أمام الموسيقي العظيم، حتى كادت تلامس الأرض بركبتها. حين استقامت كان العجوز قد فارق الحياة. وفي الخارج كان الفجر ينبلج، وفي ضوئه بدت الحديقة مثقلة بأزهار الثلج المبلل.

الهوامش

(❖) قسطنطين بأوستوفسكي (١٨٩٢ - ١٩٦٨م) كاتب وجداني روسي.

(❖❖) فلورين: وحدة نقدية ذهبية، أو فضية في عدد من البلدان الأوربية/ المترجم.

طرق لا تؤدي إلى روما

أحمد البشري

الرياض ـ السعودية

الحجارة لا تكفي لردم سبل الخطوط البيضاء والصفراء في بصره، ولا الذهاب يشبه البحر، ولا باب الرجوع ممسكًا بالأرصفة.. بين شارع وآخر يتعلق الركاب بمرتبة الريح حتى ضفتي مسعود بن مطلق..

وحين لا يتكاثرون ولا يتشابهون مع (الأسفلت) تكون أكتاف الطريق قد ابتعدت بما يكفي لأن يبدؤوا رحلة العودة مشيًا، وتبدأ حكايا الجسد بالتمدد!!



يعترف بأن الطرق التي تحمله لا تبتسم، وإن فعلت فإنها تظهر وعثاءها بجلاء كل حين، طريق كهذه ممتدة بلا توقف تعني له متعة خاصة.. وتُعمق لديه إحساس السفر.. نشأ على هذا الطريق (طريق الموت كما يحلو لمن يعرفهم تسميته، وكما تشهد بذلك سجلات الوفاة في المستشفيات الرديئة القريبة) ذاكرة الملح وطفولته مزيج من بكاء ينتج من رفض والد اصطحابه معه أو بكاء فرحه في حال موافقته.. يقولون: إنه نشأ وعلى خديه شاماتان من أثر الدموع؛ لذا فهو مضرب مثل للأمهات اللاتي يعاقبن أطفالهن ويصادرن منهم فريضة البكاء.

كان يصحبه والده مرتين يوميًا كعربون ثقة مبكرة وشهادة له يحملها بين أقرانه، وغالبًا ما يجلس في صندوق السيارة الخلفي لا يبالي من يجاوره إن كان بشرًا أو ما عزًا.

كل ذلك أتاح له معرفة الطريق والتعرف إلى وجوه تحضر كثيرًا، ووجوه لا تظهر إلا في المناسبات.. وجد نفسه يكبر على حب هذا الطريق، ويحلم به كثيرًا، وتدريجيًا حل مكان والده، تراه لا يمل الخروج حين تداعب الشمس ستارته يزيح نعاسه بالماء، ويعصب شماغه على رأسه ويخرج.. صوته المميز هو صاحبه الذي لا يخونه، يحفظ أغاني (حجاب بن نحيت)(١) جميعها، يشدو بها كل ما أتاح له الطريق فرصة.. أو كلما داعب الركّاب جراحه.

يحمل العمال المتعبين الذاهبين إلى شمسهم التي تحرقهم أو العائدين زوجاتهم محملين بشهوة الطعام، وممتلئين بأقداح النعاس، وإن اضمحلت جيوبهم في الدين أجّل لهم الدفع بفائدة يسيرة.. هو لا يعلم ما الربا، ولا يعرف كيف يصلي، لكنه ممتلئ بالدين، ودينه قناعة، وقناعته لا تفنى تمامًا كالكنز!!.. كزبائنه وطريقه الطويل.

أخذ على عاتقه حمل كل شيء.. بدءًا من هموم الشباب الفارين إلى مدن مجاورة، فهم لا يجدون غيره يكتم السر وحريصًا على سبر أغوار ما يبوحون به. ومرورًا بالبضائع المغشوشة والماشية، وانتهاءً بالرجال والشيوخ والتنقل بهم.





هذه القرية تآلفت مع شُح المطر، ومع قطعان المواشي التي لا تعود، وتختفي باتجاه البادية القريبة، ثم لا يجدون حرجًا من سؤال مسعود أن يبحث عنها.. ليخرج يتساقط من كل الأبواب ووجهه إلى الله يبحث عن آثار لأقدام صغيرة أو عن روث رطب يستدل به إليها.. ثم يعود ورائحة الغنم تملأ جيوبه.. وجيوبه فارغة!!



(هذال..) المنارة التي يهتدي بها كل أبناء هذه البقعة المنصوبة على خريطة النسيان، وصاحب ارتداد المشاعر الظاهر بين الجميع فقط هو ومن يجاهر بحبه ولا يخشى القطيعة، ويغالي في التبجح بأن مسعودًا وكيل للرسل في هذه الأرض لمجرد أنه الوحيد الذي امتلك سيارة، والوحيد الذي يأخذه بجانبه مجانًا كلما انتفضت فيه رغبة التنقل في

أشباه القرى لا يعرفون تاريخًا محددًا لشؤونهم الصغيرة، يفلسفونها بطرقهم المبسطة، وتنتشر على هذا النحو حتى تصل أطراف المدن قبل أن تقتلها الأوراق.

يقول هذال ولد مسعود في زمن (أبو ذيل) ويؤكد مقولته بأنه حين صرخت والدته خرج من السماء نجم كبير له مؤخرة من لهب كذيل الفرس إلى مكان نجهله.. ولإظهار مقدرته على التذكر يقول: إنه سقط في بلاد بعيدة، ويساوره شك في أن تكون الهند، وقال: لقد ظننت أنا وتوفيق (المطوع) أن مسعودًا مسخ، وأننا سنهلك، وتحل بنا لعنة موقوتة ويدعّم ظنه بأن جده وجدته صعدا إلى السماء في الأسابيع القليلة التي سبقت ولادته.

بينما الخالة لولوة لديها رؤية أخرى معارضة تمامًا لما يقول هذال.. تقول: إنها أرضعته مع ابنتها مزنة تحديدًا قبل فطامها بشهرين، وتستدرك الخالة لولوة لتقول: ولدت مزنة ووالدها في القافلة التي نفقت في الشام وعرف فيما بعد بعام الموتى.. كما أن الجدة نورة توافق لولوة، بل وتزيد أنه ولد في العام الذي دهست فيه ناقتها حوراها الذي وافق موت ابنها (حمود) مع القافلة.



(الغمارتين/الونيت/أم عزيّز/الدِستّن/العراوي)(٢) كما يفعل الجميع يفعل مسعود فيبرز مواهبه في التسمية وتدليل محبوبته، ويقال: إنه صاحب كل هذه التسميات الشامخة في رأيه.. ويضيف الذين ركبوا معه بعد (سيل الحنف) أنه أظهر مهاراته في الشعر، وأنشد قصيدة انتشرت لاحقًا لدى العامة إلا أنه أنكر انتسابها له.. ويتمادى بعضهم ليحلف بأنه سمع مسعودًا يعدد جميع أفراد القرى التي تقع على طريقه، بل ويعرف أنسابهم حتى الجد الخامس.

في الوقت الذي يجهد مسعود الطريق بـ (مشاويره) ويُظهر في ذلك بأسًا وجلدًا، كان الطريق دائمًا يظهر له عداء واضحًا ممزوجًا بغلظة جلية.. ففي كل رواح له يرى الشارع يتزلزل ويذهب باتجاهات جديدة إلى جهات غير معبدة وهو يأبى أن يخونه فيتبعه إلى حيث لا يدري.. يخرج غالبًا بأضرار جسدية في سيارته وفي جسمه النحيل أيضًا، إلا أنه كان يزيد رهانه على الطريق كل يوم وهو لا يبالي.

يقولون: إنه أنفق ما ادّخره في آخر سنواته على (أم عزيز) في أحد خيانات الطريق، وكأن شيئًا لم يكن عاد إلى الطريق في اليوم التالي لإصلاحها متصالحًا مع كل المخارج وكل الأرصفة وكل الزبائن الذين لا يدفعون!!

مسعود الفقير والمعدم ليس إلا حليفًا للسفر، فدائمًا تراه شاردًا يفكر هل سيجد غدًا على الطريق من يطلب منه توصيله إلى مكان بعيد، أم سيكون مصير غده كباقي أيامه في الجوار مع نفس الوجوه تقريبًا.

فهو يقرأ دعاء السفر حين يخرج كل صباح بصوت جهوري كاستعداد وكفأل جديد ليومه الجديد.. وفي أحيان كثيرة تصيبه وسوسة فيعيده أكثر من مرة، أيضًا لا يعرف ولا يهتم إن كان للسفر سبع فوائد أو مئة يكفيه من السفر أن يمتد به الطريق ليواصل غناءه ويقلب أمانيه وحده بعيدًا عن قريته، لذا تجده صامتًا في الذهاب إجابته محددة ومختصرة لا يُغني وملتزمًا بالطريق واضعًا كل تفكيره في القيادة.

يراهن على رحلة العودة، فلا يقف للركاب المنتظرين

على أطراف الطريق أو حتى ينظر إليهم ويتسلح لها جيدًا بأحلام مطمئنة تناسب شظف عيشه.



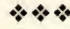
الطريق الذي أظهر عداوته في الفترة الأخيرة كف عن أذاه وكأنه توصل إلى صلح معه، وعاد يحمله على ظهره لا يمله ولا يلقيه إلا في المساء وبالقرب من بيته لتعود أسهمه في الارتفاع وعاد هذال يجاهر بحبه بعد أن توقف عن ذلك في فترة العداء.

قيل: إنه ابتاع لنفسه مسجلاً بينما يؤكد الذين ركبوا معه مؤخرًا أنه (راديو) فقط.. لذا حرص الجميع على زيارته والتأكد من ذلك، إلا أن ذلك لم يتحقق للجميع.

ففي صباح اليوم التالي، تحديدًا مع أول رغيف في أول فرن يشتعل، وحين بدأت الشمس تحرق فلول الليل وتطردها باتجاه النائمين المتأخرين عن أعمالهم.. خرج مسعود إلى الطريق وكما هو معتاد حمل معه سلطان التلميذ الوحيد في القرية والشاب الذي قُرنت به كل الأماني وكسب حب كل الفتيات ليوصله إلى المدرسة في القرية التي تلي القرية.

يقول سلطان: كان مسجلاً ورأيت معه شريطين، كنت منصتًا وكأني أنتظر أن ينطق باسمي أو على الأقل يسألني عن (حصة بنت سليمان) بينما مسعود لا يلقي بالاً وكأنه مشغول بشيء آخر، كان متحدًا مع الصمت بطريقة مُتقنة ولم يمازحني كعادته أو حتى يسبني ويلعن حظي كما في أيامه البائسة.

ويقول: رأيت شيخًا بثياب بيضاء، ولحية كثة مغطاة بالغُبرة، ويتكئ على عصا من خيزران ويحمل معه زوادة سفر مملوءة عن آخرها، ويؤشر باتجاه السماء تارة وإلى الشرق تارات أخرى، توقف بالقرب منه وحمله معه دون أن يسأله عن وجهته وكأنهما على اتفاق مسبق لرحلة طويلة ظننت بأنه سيحمله معه إلى الميقات الأقرب إلينا، وأنا أترقب أن يلتفت أحدهما إلى الآخر أو على الأقل يسأله إلى أين يريد الذهاب!!



عاد سلطان مشيًا على الأقدام في المساء.. وأمر هذال بفرق استكشاف تجوب المنطقة بعد أن غاب مسعود ثلاثة أيام متتالية تقول الخالة لولوة بأن مسعودًا ملّ القرية وملّ الركاب الذين لا يوفون ديونهم، وملّ هذا الطريق لذا رحل بعيدًا.. بينما يعارضها هذال كالعادة ويراهن على أن الشيخ الذي ركب معه هو الموت في صورة بشر كما حدث لجده حمدان وبأنه حمله معه إلى السماء.



الهوامش

١- مطرب شعبي.
٢- أسماء شعبية لسيارة نقل.





صراع من أجل البقاء

أساليب طب الهنود الحمر (هنود الكريك)

القوة الثابتة لدين المسكوك

صلاح يحياوي

ماديسون ــ أمريكا

يستمر هنود الكريك، أو هنود ولاية أوكلاهوما في الولايات المتحدة. الذين يطلق عليهم في لغتهم اسم مِسكوك - بممارسة طبهم التقليدي الذي يمكنهم من السيطرة على القوة الطبيعية أو السحرية. ففي «أساليب طب هنود الكريك» يكتب ديفيد لويس. وهو مسكوكي من جهة الأبوين، ورجل طب هندي ممارس. عن تقليد الطب الهندي الذي شكل حياته. وُلِد لويس في أسرة من المشتغلين بالطب الهندي، وقد تم اختياره عند ولادته ليواصل التقليد. يشاطر لويس القارئ في ذكرياته حول تدربه في طفولته وتلقنه ما جعله رجل طب هندي، ويروي ذكرياته عن مُدَرِّبِيه: والده وجدته، كاشفًا جزءًا من القصة المقدسة لأصل النباتات، ومحددًا هوية بعض النباتات التي يستخدمها في ضروب المداواة التي يقوم بها، ويصف عدة شعائر تلقنها عن معلميه مشددًا على قداسة طب المسكوك وأهميته.

أما آن جوردان المختصة في الأنثروبولوجيا Anthro-pology أو علم الإنسان، العلم الذي يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته، التي تُدرِّسُ هذه المادة في جامعة شمال تكساس فتوثِّق في سجل مكتوب مكانة أسرة لويس في مجال الطب الهندي قائلةً: إن لويس هو ابن حفيد جاكسون لويس Jackson Lewis الذي أجُريت معه مقابلة عام ١٩١٠م، أجراها معه الأنثروبولوجي أو المختص بعلم الإنسان جون سوانتون John Swanton. لقد ورد اسم جاكسون لويس عدّة مرات في أعمال سوانتون التقليدية عن طب المسكوك، هذه الأعمال التي نشرها مكتب الأعراق البشرية الأمريكي«Bureau of American Ethnlogy» في العشرينيات من القرن الماضي، إن ديفيد لويس هو الوارث المباشر لمعرفة جد والده الطبية.

ترسم آن جوردان في «أساليب طب هنود الكريك» الروايات المكتوبة عن دين المسكوك بدءًا بالقرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر، وذلك بغية عرض قصة لويس ومعرفتها على نحو تاريخي. يقدم هذا الكتاب لمحة



أساليب طب هنود الكريك
تأليف: ديفيد لويس، وآن جوردان

نادرة عن تقليد ديني حَيٍّ وعن أصوله.

في بادئ الأمر عَرَّفتْ آن جوردان بهذا التاريخ لتُطلع القارئ على شعب المسكوك وتاريخه وثقافته: ولتطلعه على أسرة لويس معتمدة على ما وُجِدَ في سجل مكتوب، وذلك لفهم قرون النضال الخمسة التي عاناها شعب المسكوك للحفاظ على ثقافته وأسلوب حياته.

كان من المستحيل تقريبًا قبل القرن التاسع عشر معرفة تاريخ المسكوك من وجهة نظر هؤلاء إذا ما اعتمد المرء على السجل المكتوب. يتألف السجل البدائي من مكتشفات ممعنة في القدم ذات علاقة بعلم الآثار، وقد اقتصر تأليف أول المصادر المكتوبة على المستكشفين والمبشرين الأوربيين والأمريكيين الأوربيين وعلى عملاء من الهنود والتجار الذين تركزت وجهات نظرهم في ثقافاتهم الخاصة.

وقد وُجِدَ ما تبقى من السجل في جله في وثائق قانونية كالمعاهدات، وتقارير الحكومة، وقضايا المحاكم والإحصاء الرسمي للسكان. أما في القرن الماضي فكثيرًا ما تظهر وجهة نظر المسكوك في السجل المكتوب الذي اعتمد في كثير منه على التحدار الشفهي، أي على انتقال العادات أو المعتقدات من جيل إلى جيل، والذي دَوَّن في مقابلات قصصًا حكاها شعب المسكوك عن ماضيه، أو في سجلات مكتوبة تعود إلى وجود مستقل لشعب عُرِف باسم الشعب المسكوجي (الكريك).

أصول المسكوك والسجل المتعلق بعلم الآثار

جاء في أقدم رواية مكتوبة عن أصول شعب المسكوك قدّمها تشيكيلّي Tchikilli زعيم المسكوك في خطاب له في سافانه Savannah عام ١٧٣٥م، ما يأتي:

«في وقت ما فتحت الأرض فمها في الغرب، فخرج منه الكوسيتوس Cussitaws، واستوطنوا الجوار، ومع ذلك عاد قسم منهم إلى المكان نفسه الذي كانوا فيه من قبل، واستوطنوه، ولكن الأرض أكلت أطفالهم وما إن بلغ الاستياء بهم مبلغه حتى رحلوا إلى الشرق».

عـاش شـعب المسكوك في مـدن واقـعـة على طول جدول أو نهر، ومن هنا اشتق اسمه كريك Creek (التي تعني في الإنجليزية جدولاً أو نُهَيْرًا) وتمكنت كل أسرة ضمن هذه المدن من امتلاك مُجمَّع يتألف من حدائق وحقول وأبنية متعددة بما في ذلك تملك منزل للصيف وآخر للشتاء. وكان مركز المدينة يتضمن ملعب كرة ومكانًا للشعائر ودارًا لمجلس الشورى. وكانت هناك أربع دور يقع كل منها في أحد أطراف أرض الشعائر، يشغلها رجال المدينة في مناسبات خاصة، وذلك وفق مراتبهم المختلفة. وكان زعماء المدينة يشغلون الدار الأولى، ويشغل المحاربون الدار الثانية، ويشغل الشبيبة الدار الثالثة، أما الدار الرابعة فيشغلها مساعدو الزعيم.

كانت المدن مستقلة بذاتها أي متمتعة بحكم ذاتي. ولم تكن هناك حكومة واحدة تحكم جميع شعب المسكوك، وكان سكان المدن المختلفة يتكلمون تسع لغات متقاربة، وقد أخرج الفرنسيون سكان إحدى هذه المدن من موطنهم على نهر المسيسبي.

كانت المدن تنتسب بعضها إلى بعض. وما إن تغدو مدينة ما كبيرة جدًا حتى تنقسم الجماعات مشكلة مدنًا جديدة. ولكن هذه المدن تبقى على صلة بالمدينة الأم. وكان جميع شعب المسكوك أعضاء في جماعات أخوالية أباعدية، ذلك أن العادة في الزواج لديهم أن يتزوج الرجل بعيدًا عن جماعته لعدم ملاءمة الزواج من الأقارب، وأن يسكن مع جماعة زوجته فيشب الأولاد بين أخوالهم. واشتهرت هذه الجماعات بأسماء من أمثال: العصفور، والدب، والديك الرومي، والهواء. وكان قرى الضيف من شيمهم. كما كانت المدن منقسمة إلى فئتين: البيضاء والحمراء ممثلة السلم والحرب على الترتيب. كان زعماء المدن البيضاء يديرون مجالس السلام، ويدير زعماء المدن الحمراء شؤون الحرب. وكانت تغرس عصا بيضاء في مدينة، وحمراء في أخرى.

عم دين المسكوك حياتهم بأكملها، وأكثر الطقوس السنوية أهمية لديهم طقس الصيام الذي يقام في الصيف، ويطلق عليه بالإنجليزية بما معناه «طقس الذرة الخضراء» وما كان يسمح لأحد بأكل الذرة الجديدة إلا بعد تلك الطقوس.

كانوا في ذلك الوقت يصفحون عن جميع الجرائم التي اقترفت في السنة السابقة باستثناء القتل. وكانت جميع



معاناة كبيرة تجرعها شعب المسكوك للحفاظ على ثقافته وتراثه

النيران القديمة تطفأ، وتُشعل نار جديدة في أرض الطقوس، ومنها تُشعل جميع نيران المدينة. كانت هناك شعيرة في منتهى الأهمية تستمر ثمانية أيام، وتشتمل على تناول الدواء، والقيام برقصات خاصة تتم حول النار الشعائرية المقدسة. ومن الطقوس المهمة الأخرى الطقس الذي يتشارك فيه رجال المدينة بتناول شراب أو دواء خاص



مــصنوع من أوراق اليــوبون Yaupon (وهـي أوراق تجــفـف كـالشـاي، لكنهـا مُـرّة الطعم، وتحـتـوي على الكافئين، وذات خاصيات مقيئة). أو الكاسين Cassine (النبات العشبي الذي يحـتـوي على أدوية طبــيـة) الذي يطلق عليـه المسكوك اسم الأوس Usse، ويطلق عليه الأوربيون اسم «الشراب الأسود».

تختص كل مدينة بصانع للعلاج (طبيب هندي) مكلف بصنع العـلاج من أجل جـمـيع الطقـوس الريفـيـة للمـدينة. يُصنع العــلاج للشـفـاء من العلل الجـسـدية أو الأمـراض المزمنة، ولتـحـسين الصـيـد، ومن أجل جـمـيع المتطلبـات الأخرى، وكـان العـلاج يُصنع بطريقـة مـقدسـة يختص بهـا صانع العلاج وكانت جميع ألعاب الكرة المدعوة «أخو الحرب الصغير» تتم في ملعب الكرة في مركز المدينة.

لم تكن الطبيعة الدقيقة للآلهة التي يعتقد بها المسكوك واضحة لغيرهم، غير أن مؤرخين غرباء أشاروا إلى أهمها، وهو: «حـابس النفس Breath Holder» أو«رب النفس Master of Breath». كما تصف كينونات أخرى، كالأفعى الملتفة، والأفعى ذات القرن، والأناس الصغار جدًا. لقد ولدت الأفعى الملتـفـة من كـائن بشـري مـتـحـول، ومن قـواها المقـدرة على الإمسـاك بحيوان كبير بحجم حصان، وعلى جرّه إلى الماء وغمره .. لقد كان لهذه الأفعى درجة عالية لديهم. تتميز الشُّدفُ أو القطع من قرن الحية بقوة روحية شديدة وما كان يستطيع رؤية الأناس الصغار جداً إلا الأولاد وأطباء الهنود، ويستطيع هؤلاء الأناس الصغار جداً مساعدة الأطباء الهنود.

سنوات تجارة الفرو ١٧٠٠ ـ ١٨٠٠م

عنـدمـا أسس الإنجليـز مـدينة تشـارلز Charles عام١٦٧٠م، تغيرت حياة المسكوك إلى الأبد، لقد تركز أول تماس مع الإنجليز في التجارة. تاجر المسكوك بجلود



استخدم صنّاع العلاج خمساً وعشرين نبتة في العلاج

الغزلان، وبأسرى من الهنود مقابل بنادق وذخيرة وثياب وأدوات وأسلحة. وقد بيع الأسرى عبيدًا في كارولينا الشمالية والجنوبية، وفي الكاريبي Caribean.

كان الأسرى الذكور في نموذج حرب الكريك التقليدية يقتلون، وكان الأسرى من النساء والأطفال يتبنون. وبحلول تجارة العبيد تاجر المسكوك ببساطة بهؤلاء الأسرى مع الإنجليز، وفي عام ١٧١٥م هاجمت قبيلة ياماسي Yamussee على شاطئ كارولينا المستوطنين الإنجليز، وقتلت منهم؛ وذلك انتقامًا لأسرى الياماسي الذين تمت المقايضة بهم في تجارة العبيد.

كان تحول المسكوك في وقت مبكر نسبيًا من المبادلة بالجلود مادة أوربية إلى مبادلة ثياب بالجلود. كان المسكوك خلال هذه السنين المبكرة من الاستعمار قوة ذات سلطان تقدر مصادر شتى أوربية وجورجيانية (من ولاية جورجيا) عدد السكان في منتصف القرن الثامن عشر بما تراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألفًا، وعدد المدن بما يراوح بين خمسين وثمانين مدينة.

عندما أدت الحرب بين الفرنسيين والهنود الحمر عام ١٧٦٣م إلى انسحاب الفرنسيين من المنطقة لم يعد المسكوك قادرين على اللعب بورقة القوى الأوربية الثلاث، الواحدة ضد الأخرى، وأُجبروا على التعامل في المقام الأول مع

عاش شعب المسكوك في مدن واقعة على طول جدول أو نهر، ومن هنا اشتق اسمه كريك Creek (التي تعني في الإنجليزية جدولاً أو نُهَيْرًا) وتمكنت كل أسرة ضمن هذه المدن من امتلاك مُجمَّع يتألف من حدائق وحقول وأبنية متعددة

الإنجليز، ومرة ثانية كانت الثورة الأمريكية وراء تغيير ميزان القوى. كان المسكوك الذين بقوا على الحياد خلال الثورة قد رُوِّعوا عندما وجدوا في معاهدة باريس عام١٧٨٣م أن الكثيرين من بني جلدتهم قد وُضعوا ضمن حدود قوة أجنبية هي الولايات المتحدة، وعلى الرغم من كون المسكوك عشائر مستقلة إلا أنها لم تُدع إلى منضدة المقايضة.

كان ألكسندر ماك جيليڤري Mc Gillivray أول فرد بهوية مسكوكية يؤخذ في الحسبان في الشؤون الأوربية، وشؤون الولايات المتحدة. كان في الأغلب رُبْع مسكوكي؛ ذلك أن والده كان التاجر الأسكتلندي الموثر لاكلان ماك جيليڤري Lachlan. Ne.G، وكانت أمه نصف مسكوكية ونصف فرنسية. امتلك ألكسندر مزارع وعبيدًا، وتحكم بمقدارٍ ضخم من التجارة المسكوكية، كان شريكًا صامتًا في شركة پانتون ولِسْلي وشركائهما Panton, Leslifeco أضخم شركة تجارية جلود غزلان في ذلك الوقت، كما كان الممثل الرئيس للحكومة الإسبانية لدى المسكوك، معلنًا أنه يتكلم باسم تحالف المسكوك، ومحاولاً إنشاء مجلس وطني مسكوكي.

وقّع ماك جيليڤري معاهدة مع إسبانيا من أجل السلاح، ومعاهدة مع الولايات المتحدة من أجل التخلي عن أرض في جورجيا. كانت المعاهدة مع الولايات المتحدة تتضمن بنودًا تعود بمال ضخم على ماك جيليڤري. وكان زعماء المسكوك الآخرون غاضبين فقد قاوم هوپويثل ميكو Hopoithle Mico من تالاسي Tallacee، وإنياه ميكو Eneah Mico من كوستا Cusseta.

وبالفعل كانا قد عقدا معاهدات مع ولاية جورجيا سبقت معاهدة الولايات المتحدة مع ماك جيليڤري. ومع ذلك فإن ضغطًا من مستعمري جورجيا جعل زعماء المسكوك يتوحدون إلى حين. وفي عام١٧٩٠م، وقّع هوپويثل ميكو، وماك جيليڤري معًا معاهدة مع جورج واشنطن في نيويورك. صرح لوكلرك ميلفورت Leclerc Milfort الفرنسي وزوج أخت ماك جيلبرت أن توقيع المعاهدة أفقد ماك جيليڤري شعبيته لدى المسكوك مما جعله يخشى على حياته، فهجر أراضي المسكوك، ومات ماك جيليڤري بعد ذلك بوقت قصير.

كانت زعامة الولايات المتحدة الجديدة - التي كانت لا تزال ضعيفة - قلقة بشأن الهنود. ففي عام ١٧٩٦م. عَيَّنَ جورج واشنطن بنيامين هوكينز Hawkins عميلاً هنديًا. وهذا الأخير إنجليزي بالمولد، وكان سابقًا عضو كونجرس عن كارولينا الشمالية. كانت مهمته تتركز في العمل على تثاقف السكان الأصليين، أي على تشجيع التبادل الثقافي بينهم وبين الآخرين بحيث يسلكون كأوربيين - أمريكيين.

لم يستطع هوكينز فهم قيمة ثقافة المسكوك، وقد أمضى عقدين بين المسكوك محاولاً أن يفرض بالقوة سياسة حكومة الولايات المتحدة في التثاقف، كان يرى النظام السياسي المسكوكي فوضوية، ويرى نظامهم الاقتصادي كارثة مشاعة. حاول هوكينز أن يفرض على المسكوك بالقوة حكومة مركزية أكثر قوة، وزراعة المحراث وتربية الخنازير والمواشي، وملكية المدينة للأرض القبلية. هدف هذا المخطط طبعًا إلى تحرير أراضي المسكوك ليستخدمها الأوربيون - الأمريكيون. ظهرت في ذلك الحين الفروق بين مسكوك الأعالي الأكثر تقليدية، ومسكوك

كان جميع شعب المسكوك أعضاء في جماعات أخوالية أباعدية، ذلك أن العادة في الزواج لديهم أن يتزوج الرجل بعيدًا عن جماعته وأن يسكن مع جماعةزوجته فيشب الأولاد بين أخوالهم. واشتهرت هذه الجماعات بأسماء من أمثال: العصفور، والدب، والديك الرومي، والهواء

الأداني الأكثر تثاقفًا. وأدت جهود هوكينز إلى زيادة هذا الانقسام عندما أبدى مسكوك الأداني مزيدًا من الرغبة في تبني أساليب أوربية ـ أمريكية، وقبول برنامج «التمدن».

صنع العلاج

يَعُدُّ الناس العلاج أمرًا مفروغًا منه الآن، ولا يُعتقد بأنهم يكنون الكثير من الاحترام لصانعيه. إن الوقت الوحيد الذي يقفون فيه صائحين هو عندما لا مندوحة حقّاً عن استدعاء أناس العلاج عندما فقدوا الأمل في الحصول على أي مساعدة من الخارج؛ أي: من العيادات النظامية ودكاترة الطب. ما إن يقول الناس بأن أطباءهم أعلنوا أنهم غير قابلين للشفاء، ولا سبيل إلى مساعدتهم حتى يبحثوا حقّاً عن صانع العلاج. عندئذ يبدؤون حقّاً في البحث، إنه الوقت الوحيد الذي يرغبون فيه في البحث لإيجاد شخص ما يستطيع تقديم المساعدة، علمًا بأن النشء في يومنا هذا لا يجدون من يعلمهم.

يَتَّصف صانع الدواء بالقوة، وذلك هو الأمر الأساسي. ففي قصَّة الصبي والتَّعرق، يخبر الرجلُ العجوزُ الصبيَّ بأن عليه أن يكون قويّاً، وأن على ذهنه وجسده أن يكونا نظيفين. لا تقول القصة: «صافيًا»، بل تقول: «نظيفًا». وعندما يسأل الصبي «كيف أحافظ على نفسي نظيفًا؟» يكون ما يتحدث عنه هو «كيف يحافظ على ذهنه نظيفًا؟» وبالفعل يكون ذلك بالتفكير بطريقة إيجابية لا سلبية؛ أي: التفكير بكل شيء إيجابي. إننا نتناول العلاج بانتظام للحفاظ على قوة أنفسنا. إننا نَتَعرَّق؛ أي: نحفظ أنفسنا جسديًا وذهنيًا نظيفة وقوية ولكن في الوقت الذي نتعرض فيه للتعرق نُطهِّر أغانينا أيضًا للحفاظ عليها صرفة ونظيفة ونصوم مرة في العام مدة أربعة أيام. يمكن أن نطلق على هذا «اختبار الاحتمال أوالجَلَد» وذلك بسبب ما نكابد.



كان المسكوك في السنين المبكرة من الاستعمار قوة ذات سلطان

القوى غير المرئية للعلاج التقليدي

أتت جميع الأدوية من مصادر عضوية. إن الطب الحديث يستخدم الآن أدوية اصطناعية لتقليد بعض هذه الأدوية العضوية.

كان لدى ما يدعى بالمجتمعات البشرية البدائية أدوية لشعوبها. كان يواكب الأدوية العشبية ما يدعى شَعْوَذة، هذا ما تدعوه الثقافة الحديثة، وقد بُدِّدَتْ كمعتقد خرافي. إن ما أخفق بالاعتراف به الرجلُ المتعلم الحديث هو أن هناك الكثير جداً من الأشياء التي لا يعرفها، والموجودة في عوالم الخلق غير المرئية.

يبدو أن الطب الحديث محدود بالقوى الجسدية والدنيوية. ويعتقد الكاتب في ما يدعى بالأسلوب البدائي الذي يعترف بقوى ما وراء المرئي، وما وراء ما يدعى التفكير الذكي؛ ذلك أن العالم المادي الحديث يدرس ويحلل على نحو رئيس ما يمكن رؤيته. أما التقليد القديم فَقَدْ اعترف

بالمصدر غير المرئي لما يرى، وهذا ما كان قد دُرِّبَ أغلبُ الناس اليوم على عدم رؤيته.

يَعْتَرِفُ التقليد القديم. وهو مُدَرَّب على معرفة ما يَتَعلّق به منذ البدء الأول للتعلم. بأن هذه هي قوى وطاقات وذكاء؛ إن ما يعرفه أناس الطب ليس معرفة معقدة ذات تحليل كيماوي، فيه مضيعة للوقت إنه نقل بسيط لمعرفة، ولكنه مقدس، نَقلُها إلى مُتَقَبِّل مُحَضَّر للتلقي.

تكمن القوة في الاحترام الكلي لفروض الصيام والطهارة وكلمات الصلاة والخلق، إن الكلمات التي تأتي من عوالم الطاقة هي كلمات بسيطة، ويعرفها أناس الدواء. يقول الكاتب: لقد نص تعليمنا الأصلي على «ستأتي إلى منتصف الطريق، فعليك أن تأتي مجتازًا النصف الآخر».

ويقول: «إن الخلق بعبارة أخرى هو للاستعمال، وليس لإساءة الاستعمال، وليس لانتزاعه، إنه في منتصف الطريق؛ ذلك أن لديه قواه، وطاقاته، وذكاءه. علينا نحن البشر أن ننظم قوانا عبر الصيام والصلاة وتناول الأدوية المطهرة، وبذلك نقوم بما يترتب علينا فنصل إلى نصف الطريق بكل احترام؛ ذلك لأنه مقدس، لقد تم بإخبارنا بالكلمات، وعلينا نقلها بالتحضير نفسه. إن هذا هو كاتفاق مع الخلق. وعندما نقوم بذلك نكون منسجمين، ونستطيع الفوز بالنصر المبين».

لقد أَوقعت المادية الفوضى في عدد من الأشياء التي كانت لمصلحة جميع الكائنات البشرية. إن المادية عدوانية، إنها بنت فكر متبجحة من بنات فكر الكائنات البشرية التي نَسِيَتْ الهبات الذكية غير المرئية للخلق؛ فإن كان علينا أن نُنْجِزَ الخير بتمامه فعلينا أن نناغم أنفسنا، وأن نجعل أنفسنا حساسةً بقوى الخلق وطاقاته وتأثيراته. ولا يزال حيًّا ما يدعى باستحضار الأرواح البدائي للقوى، هذا الاستحضار المستخدم مع الأدوية العشبية بين السكان الأصليين لهذه الأرض.

أصناف صانعي العلاج

كان استخدام العلاج قوة مسيطرة في أسلوب حياة شعب المسكوك وفي مجموعة طقوسهم، لقد قيل إن أغلب المسكوكيين القدماء كانوا يمارسون منذ زمن بعيد المعرفة، واستخدام الأغاني والأعشاب إلى مدى محدود بعض الشيء.

كانت الطقوس علاجًا لكل شيء، وتقريبًا، لكل ما يتعلق بالشعب الهندي الأحمر كالصحة، والقوة الجسدية، وراحة الذهن، والسلم، والرفاه الاجتماعي، الأسرة، وسعادة الوطن، والحرب، وحتى التخاطب المهم. لقد تمَّ التعامل مع جميع الأشياء التي تؤثر في الحياة والموت تعاملاً يتصف بالقدسية والدين عبر قوى أساليب العلاج التي منها الله.

إن أناس العلاج مُصَنَّفون في ثلاثة أنماط: صانع العلاج الرئيس، وناقله، والمختص.

صانع العلاج الرئيس

إن صانع العلاج، رجلاً كان أو امرأة، هو الأعلى

تغيرت حياة المسكوك عندما أسس الإنجليز مدينة تشارلز





النبات هو المصدر الأساسي لاستخراج العلاج

مرتبة بين أناس العلاج، وهو يستحق أعظم الإجلال، كان يتم اختيار هذا الشخص وهو في سن مبكرة. ما إن ينمو الطفل المختار، سواء أكان صبيًا أم بنتًا، حتى يُحاط بالعناية والحماية، وكان يُؤدَّبُ علمًا، وإن دعت الحاجة يؤدب سلوكًا. لم يكن لدى أناس العلاج المسكوك - خلاف الاعتقاد الحديث - مدارس طبية لتَعْليم مجموعات من الطلاب. إن بعض الصفات التي يبحث عنها في الطفل المختار هي المزاج الجيد، وأهليته ليكون عادلاً وسلامة المحاكمة، والجدية، وأن يكون ذا مقدرة استثنائية على الفهم.

كان الطفل في هذا الصنف موهوبًا عمومًا، وذا مقدرات صوفية أو نفسية أتاحت له بصيرة تشخيصية؛ فإذا كان الطفل موهوبًا فقد يغدو (نبيّاً أو متنبئًا) أو عَرّافًا. وعادةً يكون وارثًا لذلك من أسرته.

يستشير صانعَ العلاج الرئيس عمومًا أناسُ العلاج الأدنى مرتبة؛ وهو يتولى بالرعاية الطفل المختار، وما إن يتعلم هذا شيئًا ما جيدًا للعلاج حتى يبدأ بتعلم الشيء الآخر المضاد والمدمِّر، بحيث يستطيع أن يُدَمِّر كل شيء إن رغب في ذلك تدميرًا كليّاً، لذلك ينبغي أن يكون عادلاً.

ما إن يرحل أناس العلاج الرؤساء حتى تغدو تلبية الحاجات كما كانت في الماضي في جميع مئات السنين هذه غير متاحة. هناك أشياء جديدة آتية كنقص المناعة المكتسب (الإيدز)، وليس هناك علاج له من وجهة النظر الهندية بعد الآن. ليس هناك تبصرات ولا نباتات، إن صانع العلاج الرئيس هو الوحيد الذي تدله بصيرته على علاجات جديدة.

ناقل العلاج

دُعي كذلك؛ لأنه ينقل كلمات الرئيس؛ إنه صانع علاج حصل على معرفته نتيجة لاهتمامه الخاص، وربما لتلمذته لصانع علاج. يمكنه أن يطور معرفته بالبحث عنها لدى صانعي العلاج، قد يتصف ناقل العلاج بصفات صوفية نتيجة لمواكبته لصانع العلاج الرئيس، وقد يكون هؤلاء النقلة مشاركين في أراضي الشعائر أو في الكنيسة المسيحية. ليس هناك تلقين في هذا الصنف، ولكن في جميع الأحوال كي يؤثر إيجابيًا في خير الناس عليه أن يعمل، وعليه أن يبحث عن أن يكون نقي العيش ما أمكن. إن هذا هو المعيار المثالي لجميع أناس العلاج.

إنه ينقل التعليمات عن الكيفية التي يُفترض بها أن تكون. إنه لن يرى رؤوس ليَتعلم أدوية جديدة. عليه أن يكون مهيّاً ونظيفًا ونقيّاً؛ لأنه يحمل الكلمات المقدسة.

تختص كل مدينة بصانع للعلاج (طبيب هندي) مكلف بصنع العلاج من أجل جميع الطقوس الريفية للمدينة يصنع العلاج للشفاء من العلل الجسدية أو الأمراض المزمنة، ولتحسين الصيد، ومن أجل المتطلبات الأخرى



كان المسكوك خلال السنين المبكرة من الاستعمار قوة ذات سلطان. تقدر مصادر شتى أوربية وجورجيانية (من ولاية جورجيا) عدد السكان في منتصف القرن الثامن عشر بما يراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألفًا، وعدد المدن بما يراوح بين خمسين وثمانين مدينة

المختص

إنه صانع علاج أيضًا، ويستوجبُ مزيدًا من الاحترام لمعرفته الشخصية وأسلوب حياته الجدي؛ مما يؤثر في الأرض الشعائرية وفي شعبه، وهو يحظى بالمنصب بالوراثة أو الانتخاب.

يقتصر شغل هذا المنصب على الذكور فقط، وعلى الشخص أن يكون ذا خبرة ومهارة في أساليب أرض شعائرية خاصة، ويمكن أن يكون ناقلاً أيضًا وأن ينجز، على نحو إضافي، واجباته نحو الأرض.

هناك من يصف العلاج ويخبرك بما هو خطأ، والجيد من هؤلاء من لا يقول لك شيئًا. إنه يصف لك ما تحتاج إليه، ينطق وكأنه ملهم من لدن الله. إنه كالعرّاف (قارئ البخت) يمكنه إخبارك بما سيحدث غدًا أو في المستقبل، ويستطيع إخبارك بأن هناك ما تحتاج إليه؛ لأن هذا سيحدث، كما أن بإمكانه إخبارك بما هو خطأ الآن. ويستطيع إخبارك عن الماضي والمستقبل.

التشخيص

ليس لدى الهنود الحمر مصطلحات طبية، كالمصطلحات الطبية الشائعة الآن. إنهم يجرون وراء الكيفية التي أصابت الشخص، ووراء أعراض المرض. ويعرفون ماذا يستخدمون، لذلك يصغون إلى المرضى.

إنهم يعالجون القرحات، ومصادر الألم والأوجاع، ونقص الوزن، والصداع. والغناء جزء رئيس في العلاج حتى عند صنع الصابون للاغتسال.

العلاج

عالج الهنود الحمر المرضى المصابين بالقُروح، والهزال، والصداع، والتهاب المفاصل، وصنعوا صوابين علاج.

النباتات

يستخدم صناع العلاج خمسًا وعشرين نبتة في العلاج وسنفصل في أولى هذه النباتات:

- الملك العابر مترجمة عن لغة المسكوك.

أو الجذر الأحمر مترجمة عن اللغة الإنجليزية.

أما الاسم العلمي فهو Salix Humilis.

وقد دُعيت بالجذر الأحمر؛ لأن جذورها المنقوعة في الماء تصبغ الماء باللون الأحمر.

تُجمع هذه الجذور وتغسل، ثم تنقل إلى المنزل حيث تُسحق وتُخزن.

يتطلب القيام ببعض هذا العمل الإمساك عن تناول الطعام، وتستخدم بعض هذه الجذور بعد أربعة أيام من استئصالها.

تستخدم هذه الجذور لعدد من الأمراض ويمكن استخدامها داخليًا أو خارجيًا، ساخنةً أو باردة وتختلف الأغاني المرافقة للتحضير باختلاف المرض.

- فهي تُستَخْدَمُ عند ترميم المنازل أو إصلاحها؛ لذلك يصنع منها ما يكفي لرش المنزل أربع مرات تمامًا.

- يضع الطبيب الهندي الجذور في جرة، ويُضيف إليها الماء، ويرفع عقيرته بالأغنية الموافقة متجهًا نحو الشرق، مستخدمًا عصا العلاج.



- يُستخدمُ العلاج باردًا لإزالة جميع الأشياء السلبية عن المنزل يمكن لصاحب المنزل أن يقوم بذلك أو يستدعي صانع العلاج ليقوم به .

- كما تُستخدمُ لتنظيف شخص ما إذا ما ظُنَّ بأن المريض تَعرَّضَ لعمل سحري. عندئذ يُعطى الدواء ليشربه وهو واقف في ماء جارٍ، ويُترَك ليتقيأ في الماء فيتطهر.

- يُستخدم الجذر الأحمر على شخص مصاب بكرب ذهني أو بقلق إلى درجة اختل معها تناغمه مع الطبيعة. عندئذ يَغْتَسلُ بالدواء (حارًا أو باردًا؛ وذلك وفق الأغنية المستخدمة) ماسحًا على رأسه ووجهه وظهر عنقه، ثم يتوقف ليجُفَّ على نحو طبيعي، ويكرّر ذلك في أربعة أيام متوالية.

الشعائر

يمارسُ الهنود الحمر الشعائر عند التبريك، وتحضير الأدوية، وتحضير الأرض المقدسة، وعمل المساعدين، والابتهال إلى الخالق، ومباركة البقاء، وإعلان الدفن.

صانع العلاج. رجلاً كان أو امرأة. هو الأعلى مرتبة بين أناس العلاج. وهو يستحق أعظم الإجلال. كان يتم اختيار هذا الشخص وهو في سن مبكرة. ما إن ينمو الطفل المختارحتى يُحاط بالعناية والحماية. وكان يُؤَدَّبُ علمًا. وإن دعت الحاجة يؤدب سلوكًا

وإليكم مثالاً على ذلك:

الابتهال إلى الخالق ودعوة صناع الدواء السابقين

للبدء بالشعيرة يُرَشُّ صانع الدواء ومساعدوه. إن تطهير الجسد نفسه هو شعيرة، ولكن في ذلك الوقت نفسه يَسْمَحُ صانعُ الدواء للمساعدين بتداول أي شيء كان قد حصل هو عليه، ويسمح للمساعد بالسير إلى الساحة، ويبدأ رجل النار بإشعالها، ثم يلقي بالتبغ وخشب الأرز في النار، وتصاحب ذلك كلمات:

أيها الخالق، نسألك الآن.

أيها الخالق، لقد أعطيتنا كلمات مقدسة لنستخدمها.

إنني استخدمها الآن.

أيها الخالق، لقد أمرتنا أن نستخدم جميع أناس الدواء السابقين.

أنا أدعوهم الآن.

أيها الخالق، لقد فتحتُ باب السموات للجميع للاشتراك معنا في المباركة المقدسة.

يقول صانع الدواء:

«ما إن يوضع خشب الأرز في النار، حتى يبدأ الدخان بالتصاعد وذلك لجعل خالقنا على علم بأننا جاهزون للقيام بعملنا. إننا نخبرُ خالقنا، نُعْلِمُهُ أن عملنا قد ابتدأ مما قد يجعله يبتسم لنا، وأن يكون معنا من أجل ذلك العمل الخاص. ويتراءى لك أن جميع صناع الدواء السابقين قد عادوا. إنك تفتح لهم الباب على مصراعيه فَتُحِسُّ بالطاقة. في ذلك اليوم وقف شَعْرُ ذراعيّ. وكأن والدي وجدتي وجَدّ أبي ينظرون إليّ قائلين: «ها هو ستبدأ المباركة». لن أنسى صناع الدواء السابقين وهم يقولون: «سنكون دائمًا هنا»

إعادة الدفن

يقول والد ديفيد لويس: إن جدّه حكى له القصة الآتية:

«عرفتُ أنه لن يحدثني عن قبورنا في مكان قريب من هنا. كنت أستطيع الإحساس بمشاعره عندما بدأ الحديث عن تجربته السيئة عندما كان شابًا. شَدَّدَ أبو جدك على أهمية تعديل أرض القبور، أي على تحييدها. وكان السبب الرئيس للحديث عن تعديل الأرض أنه عند النقل يفقد الكثيرون من أناسنا زوجاتهم وأبناءهم وأصدقاءهم وأحباءهم. وكان بين هؤلاء أناس طب ذوو سلطة، وكان ما يحدث لأناسنا يؤذيهم ويؤلمهم مسببًا لهم الأسى الشديد. كان رجل الدواء يُعدِّل ممتلكات الميت، وذلك لإلحاق الأذى بكل من فتح ذلك القبر مهما كان تاريخ حدوث ذلك، إذ جرت العادة أن يضع الهنود في قبر الميت كل ممتلكاته، وكل شيء كان قد استخدمه.

أَعَدَّ أُناس الدواء هذا النمط من الدواء الرديء لغير الهنود الذين حفروا قبور أناسنا: لم يكن الدواء مقتصرًا على إلحاق الأذى بهؤلاء الأشخاص الذين فتحوا القبر وحدهم بل بأسرهم أيضًا، عرف أناس الدواء أن هناك فرصة ضئيلة لإلحاق الأذى بالهندي؛ لأن الهنود يحترمون الميت. لا يفتح الهنود قبرًا على الإطلاق، ولكن يلحق بهم الأذى أيضًا إذا ما حفروا قبورًا كانت قد عُدِّلَتْ أو حُيِّدَت».



العالم العربي حنين بن إسحق في ميدان التقاء الثقافات

محمد فؤاد الذاكري

حلب – سورية

وقف الرجل وقد بدأ عليه التعب والإرهاق بحضرة الخليفة العباسي المتوكل. وبعد حوار طويل ومتشعب، أرهف الجميع أسماعهم بانتظار قرار المتوكل.

كانت كلمات قليلة صادرة كافية بأن تنفذ حكم الإعدام، وتزهق روح رجل وصفه المستشرق لوسيان لوكلرك بأنه: «أقوى شخصية أنجبها القرن التاسع، بل من أشد رجال التاريخ ذكاء، وأحسنهم خلقًا، فنطاق أبحاثه الشاسع الأطراف، واختلاف أنواعها وامتيازها وأهميتها، والمحن التي تحملها بشجاعة ونبل في بدء حياته العملية وفي أثنائها، مما يبعث الاهتمام، ويجذب القلوب إليه، وهو وإن لم يكن باعث النهضة في الشرق إلا أن أحدًا لم يشارك في تلك النهضة مشاركة فعالة وراسخة ومثمرة كما فعل».

ولكن الحكم المنتظر لم يصدر، وعاش الرجل ليروي لنا حكاية لا تتكرر ....

الحيرة .. مسقط الرأس

ولد حنين بن إسحق العبادي (١٩٤هـ /٨١٠م) في أسرة عربية نصرانية، وتجمع أغلبية المصادر على أنه ولد ونشأ في الحيرة التي تقع على الشاطئ الغربي لنهر الفرات؛ مما أهّلها أن تكون ميناءً مهمًا ترسو فيه السفن العابرة من الشرق في الخليج، ويقدر بعض المؤرخين أن إمارة الحيرة



نشأت ضمن التاج الفارسي فيما بين عامي ١٦٥ و٢١٢م؛ وذلك مع قيام الدولة الساسانية في إيران. وتتصف بأنها رقيقة الهواء، عذبة الماء، صافية الجوار، ارتفع مكانها عن عمق أرياف العراق، وانخفض عن ارتفاع ما جاورها من صحراء، واتصلت بالمزارع والجنان والمتاجر العظام، وكانت على حافة العراق، وحافة البادية، وكان فيها من مباني العرب الجاهليين قصور عظيمة، منها قصر الخَورنق.

اختلف العلماء في معنى اسم الحيرة: فقيل: إنها سميت الحيرة لان تُبّعاً الأكبر (من ملوك اليمن، وينسب إليه كثير من الفتوحات) لما أقبل بجيوشه، فبلغ موضع الحيرة ضلّ دليله، وتحير، فسميت (الحيرة)، ويرى بعضهم أنها من أصل آرامي بمعنى المعسكر والحصن، بينما ذهبت طائفة إلى أنها من (الحيرة) مأخوذة من كلمة (حيرانا) السريانية التي أطلقت في الأصل على معسكر عرب فارس المتنقل، والحيرة الآرامية، والحير العربي من أصل سامي واحد، إذ إن المضرب والمعسكر والحمى ألفاظ يدل اصلها على معنى واحد.

انقسم عرب الحيرة في أوائل القرن الثالث الميلادي إلى ثلاثة أصناف: تنوخ، وينزلون غرب الفرات بين الحيرة





كان للعرب باع طويل في مجال العلوم

والأنبـار، وهم أصحـاب المظال وبيـوت الشعـر والوبر، والأحلاف، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة، ونزلوا فيها، والعبّاد هم الذين سكنوا الحيرة، واتبعوا فيها المساكن والأديرة، وعرفوا بذلك؛ لأنهم كانوا يعبدون الله، أو لأنهم اتخذوا (يا آل عباد لله) شعارًا لهم عندما حاربهم سابور الأكبر، وقيل أيضًا في تعليل هذا الاسم: إنه وفد على كسرى خمسة منهم وكانت أسماؤهم تبتدئ بكلمة عبد، وهم:

نشأ (حنين) مولعًا بصناعة الطب كأبيه. كما أن مبادئ العلم الأولى تلقاها في مسقط رأسه. فأصبح متمكنًا من السريانية لغة كنيسته. حتى إنه لبس الزنار فكان شمّاسًا. رغب بعدها في دراسة الطب فانتسب إلى أكاديمية الطب المشهورة في (جنديسابور)

عبدالمسيح، وعبد ياليل، وعبديسوع، وعبدالله، وعبد عمرو، فقال كسرى: أنتم عباد كلكم. فسموا العباد، والمقصود بالعبّاد هم عرب الحيرة النصارى الذين كانوا يعبدون الله في كنائسهم، وقد سكن اليهود الحيرة، وبقوا بها حتى الفتح الإسلامي، بالإضافة إلى النبط والفرس، وأفل نجم الحيرة، بعد بناء الكوفة على بعد ٥ كم منها سنة ١٧هـ.

كان (إسحق) والد (حنين) صيدلانيًا، ومفهوم الصيدلية يومذاك صناعة العقاقير بتركيبها من الحشائش والنباتات، وبيعها بطريقة تستوجب الحنكة، والدراية بأمور الطب، وفيها شيء من المتاجرة بالنقد واستبداله.

النشأة وطلب العلم

نشأ (حنين) مولعًا بصناعة الطب كأبيه، كما أن مبادئ العلم الأولى تلقاها في مسقط رأسه، فأصبح متمكنًا من السريانية لغة كنيسته، حتى إنه لبس الزنار فكان شمّاسًا، رغب بعدها في دراسة الطب فانتسب إلى أكاديمية الطب المشهورة في (جنديسابور)، وهي (بيت لافاط) قاعدة إقليم الأهواز، ثم توجه بعد ذلك إلى بغداد، فلزم مجلس الطبيب (يوحنا بن ماسويه) (١٦١ - ٢٤٣هـ) الجنديسا بوري الأصل وكان من أطباء البلاط العباسي والمهيمن على التعليم الطبي في ذلك العهد، فبدأ يعامل تلميذه (حنين) بجفاء وغطرسة؛

عامل يوحنا بن ماسويه تلميذه (حنين) بجفاء وغطرسة: لأن أطباء (جنديسا بور) كانوا يتوارثون احتراف الطب. ويتسمون بعدم ميلهم إلى تعليم مهنة الطب إلى الغرباء، وينحرفون عن أهل الحيرة (المنصرفين إلى أعمال التجارة والصيرفة)

لأن أطباء (جنديسا بور) كانوا يتوارثون احتراف الطب، ويتسمون بعدم ميلهم إلى تعليم مهنة الطب إلى الغرباء، وينحرفون عن أهل الحيرة (المنصرفين إلى أعمال التجارة والصيرفة)، كما كان (حنين) يتصف بأنه صاحب سؤال، ودائم الاستفسار عما يقرأ بالكتب الطبية، لجوجًا في المعارضة، وحدث أن أوغر صدر أستاذه (يوحنا) بسؤال صعب حول كتاب طبي يوناني، فاندفع يطرده بنوبة غضب قائلاً: (ما لأهل الحيرة ولتعلم صناعة الطب).

بعد هذه الصدمة المبكرة هجر (حنين) مجلس (يوحنا) الطبي، واختار الرحيل إلى بلاد الروم لدراسة اليونانية، ومكث هناك مدة لا يمكن تحديدها، كما أن الأماكن التي قصدها، والمدارس التي درس فيها غير معروفة.

دامت هذه الرحلات في طلب العلم ست سنوات زار (حنين) خلالها بلدانًا متعددة، مثل الشام والإسكندرية وبلاد الروم وفارس فأتاحت له اكتساب ثقافة فكرية زاخرة، كما انكب على دراسة الطب، وجمع الكتب القديمة، وبذلك أصبح يجيد اللغة العربية واليونانية والفارسية والسريانية لغته الأصلية.

انتقل حنين إلى بغداد نحو سنة (٢١١هـ/ ٨٢٦م) على الأرجح، وكان عمره حينئذ سبعة عشر عامًا تقريبًا، فبدأ نشاطه العلمي بترجمة كتاب طبي لجالينوس في التشريح، لكبير الأطباء في بلاط الخليفة المأمون (جبرائيل بن بختيشوع) (٢١٤هـ/ ٨٢٩م) الذي أثنى عليه، ووضعه تحت رعايته.

كما أقر له بالفضل والمعرفة أستاذه القديم يوحنا بن ماسويه بعد ما اطلع على شيء من ترجمته، فأعجب بدقتها وفصاحتها، فتحول الأمر بينهما إلى صداقة واحترام متبادل، تابع بعدها حنين دراسته الطبية بإشرافه.

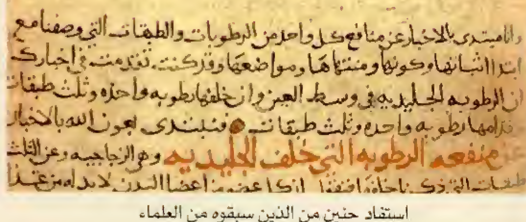
وكانت تلك المرحلة مرحلة الإعداد للمستقبل؛ إذ قرّبه جبرائيل بن بختيشوع من الخليفة المأمون الذي كان مهتمًا

وضع العرب المسلمون مبادىء الطب مستفيدين من تجارب الآخرين

بنقل الكتب من طب وفلسفة ومنطق لأرسطو، وغيره من الحكماء اليونانيين إلى العربية؛ وذلك في (بيت الحكمة)، وهو مؤسسة للترجمة، وأكاديمية للتعليم، ومركز لجمع الكتب.

وعلى أثر ما تبين من فصاحة حنين ومقدرته، وذيوع شهرته على صغر سنه، فقد انتدبه كثير من أهل العلم، وذوي اليسار والجاه في بغداد للترجمة ونقل الكتب، ومنهم بنو موسى بن شاكر وهم: محمد وأحمد والحسن. فهؤلاء العلماء الإخوة الثلاثة كانوا يرعون النشاط العلمي، ويهتمون بجلب المخطوطات اليونانية، والإشراف على ترجمتها.

وبالإضافة إلى ترجمة كتب أبقراط وجالينوس، وغيرها من الكتب الطبية والفلسفية عن اليونانية، كان (حنين) يقوم بتصحيح وتحقيق بعض النصوص التي يترجمها غيره، والتعليق على بعض الكتب باللغة اليونانية أحيانًا مع مقابلتها



استفاد حنين من الذين سبقوه من العلماء

بنصوص أخرى لتوثيقها، كما يروي (ابن أبي أصيبعة) أنه شاهد بعض هذه الكتب بخط (الأزرق) كاتب (حنين)، وعليها تعليقات كتبها حنين بخطه باليونانية، وعليها ختم المأمون.

في السجن

تولى الخليفة المتوكل الحكم سنة (٢٣٢هـ/٨٤٧م)، وكان أمر حنين في تلك المدة يقوى، و علمه يزداد، وعجائبه تظهر بالنقل والتفاسير، حتى صار ينبوعًا للعلم، ومعدنًا للفضائل، فلما انتشر ذكره بين الأطباء اتصل خبره بالخليفة المتوكل الذي أكرمه وجعله طبيبه الخاص، إلا أنه أراد امتحانه؛ لكثرة شكايات الحساد، ووشايتهم به، وحتى يتأكد من عدم وجود مؤامرة يدبرها له ملك الروم عن طريق (حنين) طلب منه أن يصف له سمًا لقتل أعدائه مقابل خمسين ألف درهم، فرفض

تمكن حنين من أسلوب نقدي صحيح بالترجمة. وأصبح خبيرًا بخفايا الحضارة الهلنستية التي هي عصارة جهد شعوب وأقوام متعددة بعباقرتها ولغاتها وتراثها. منها اليونانية واللاتينية والسريانية والحبشية والقبطية والفارسية

(حنين)، فسجنه الخليفة في إحدى القلاع، ووكل به من يرفع خبره إليه وقتًا بعد وقت، فمكث سنة في حبسه، دأبه النقل والتفسير والتصنيف، وهو غير مكترث بما هو فيه، حتى تبين للخليفة مدى إخلاصه لعمله ومهنته، فأمر بإحضاره، وطلب تفسيرًا لرفضه، فأجابه: «شيئان هما الدين والصناعة، فالدين يأمر بفعل الخير والجميل، والصناعة تمنع من الإضرار بالناس؛ لأنها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم ...» فاستحسن الخليفة جوابه، وأطلق سراحه، وبدأت شهرة حنين بوصفه طبيبًا للمتوكل، مترافقة مع شهرته كمترجم قدير، فقد انتدبه المتوكل للإشراف على الترجمات، وبلغ قمة مجده كطبيب مترجم، وكوّن مدرسة منتظمة في الترجمة والنقل إلى العربية، ولكن الشهرة التي حققها، والإكرام الذي لقيه أثارا نفوس حاسديه ومنافسيه، وأكثرهم من الأطباء، ويسرد (حنين) المحن التي لاقاها مع الاضطهاد والأهوال التي نالها من خصومه؛ وذلك في رسالة طويلة بعنوان (فيما أصابه من المحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من شرار أطباء زمانه المشهورين ..).

كشف فيها عن الأساليب الملتوية، والوشايات الكاذبة التي لفقها خصومه، ومن جملة ما شكاه منهم تعصبهم الذميم ضده وعداؤهم له؛ لأنه برع في الطب، وتفوق عليهم، ونقل إليها علومًا ومعارف لا يحسنونها، ولا يهتدون إليها، ولا يعرفون شيئًا منها في عبارة واضحة فصيحة، فأخذوا بالتشنيع ضده بأنه مجرد ناقل ومترجم إلى الكتب يأخذ أجرته (كما يأخذ الصناع الأجرة على صناعتهم)، وكان في طليعة أعدائه ومنتقديه الطبيبان ابن زكريا الطيفوري، وبختيشوع بن جبرائيل، حتى أصابته من جرائهما محن وشدائد كثيرة، وتعرض للسجن مرة ثانية في قصة حول أيقونة مسيحية، ثم أخرج بريئًا وأكرم، وهي تلقي بعض الضوء على تفكير حنين الديني، واتجاهه الرافض لتقديس الصور، ومن الراجح أن هناك شيئًا من العلاقة بين حنين وحركة تحريم الصورة الدينة Iconoclasm التي مرت بمرحلتين: الأولى من ٧٢٦م إلى ٧٨٠م، وانتهت رسميًا بانعقاد المجمع المسكوني السابع، أما الثانية فامتدت من ٨١٣-٨٤٣م. وحنين نفسه عاصر هذه المرحلة التى نشأت أول عمرها في الأقاليم الشرقية في الإمبراطورية البيزنطية. وفي مكيدة أخرى تعرض لمصادرة أملاكه وكتبه حتى ظهرت براءته، وأعيد إليه اعتباره.

مظاهر ثقافية

أدّى حنين بنشاطه العلمي الواسع دورًا في حركة التبادلات الثقافية التي حدثت في بغداد في القرن التاسع الميلادي، وهيّأت ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في القرن التالي.

إن المظاهر الثقافية في شخصية حنين تتجلى فيما يأتي:

- ميدان التقاء الثقافات، إذ التقت ثلاث ثقافات في شخصه.

أ- الثقافة العربية: بعد إتقانه اليونانية قفل راجعًا إلى البصرة، وكانت في ذلك الوقت أكبر معهد لعلوم اللغة العربية، وملتقى أقطابها، فأتقن لغة الضاد بالاعتماد على كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، واكتسب من علماء البصرة العلوم النحوية والأدبية، فمن الناحية اللغوية كان حنين وارث الثقافة العربية الإسلامية.

أكرمه المتوكل، وجعله طبيبه الخاص، إلا أنه أراد امتحانه؛ لكثرة شكايات الحساد، ووشايتهم به، وحتى يتأكد من عدم وجود مؤامرة يدبرها له ملك الروم عن طريق (حنين) طلب منه أن يصف له سمًّا لقتل أعدائه مقابل خمسين ألف درهم، فرفض (حنين)، فسجنه الخليفة

ب - الثقافة السريانية: كان للغة السريانية مقام واضح في الحضارة العربية، ذلك أن السريان الأوائل قد نقلوا الفكر الإغريقي إلى لغتهم السريانية، ثم إلى العربية ،فكانت لغتهم السريانية مصدرًا من مصادر المعرفة التي تزود بها المسلمون وعرفوا من خلال هذه اللغة فلاسفة الإغريق، ومن أوائل المترجمين السريان.

(ايباس الرهاوي) توفي/٤٥٧م، و(سرجيوس الرأس عيني)، وله الفضل في تعريف السريان بمؤلفات أرسطو بتراجمه وشروحه، واشتهر بعد ظهور الإسلام (يعقوب الرهاوي) توفي سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م، و(توفيل بن توما الرهاوي) (١٦٩هـ/ ٧٨٥م). ومن أسباب قيام حركة الترجمة والنقل لدى السريان الدافع الديني، فقد كان كثير من المؤلفات الدينية النصرانية مكتوبة أصلاً باليونانية، ومنها الأناجيل؛ لأنها كانت لغة المتعلمين والحكام أيام الدولة اليونانية، فدفع هذا نصارى الشرق وخاصة النساطرة إلى نقلها إلى لغتهم السريانية. لقد تلقى حنين المعارف الدينية في احد الأديرة الموجودة في الحيرة، فمن الناحية الدينية كان وارثًا للثقافة السريانية المسيحية.

ج - الثقافة اليونانية: إن إقامته في بلاد فيها مدارس ذات ثقافة عالية، وانصرافه للعلم واللغة يجتنيهما على يد أمهر الأساتذة في ذلك العصر، قيضا لحنين أن يتقن اللغة اليونانية، ويصيب من الفكر الهلنستي قسطًا وافرًا، ويتمرس بالترجمة، ويتقوى في الطب، فاكتسب ثروة فكرية زاخرة، ونهجًا علميًا محكمًا، ولغة كانت في غاية الأهمية يومذاك، هي مفتاح الثقافة، وقليلون كانوا يمتلكون زمامها، لا سيما من العرب.

لقد تمكن حنين من أسلوب نقدي صحيح بالترجمة، وأصبح خبيرًا بخفايا الحضارة الهلنستية التي هي عصارة جهد ونبوغ شعوب وأقوام متعددة بعباقرتها ولغاتها وتراثها، منها اليونانية واللاتينية والسريانية والحبشية والقبطية والفارسية، ومنها ما يعود إلى جذور أعمق كحضارات حوض البحر الأبيض المتوسط، والحضارات السامية القديمة، وغيرها، فمن الناحية العلمية كان حنين وارث الثقافة اليونانية الوثنية.

إن اختلاط الثقافات الثلاث في شخصيته أدى إلى تكوين ثقافة جديدة غنية جدًا لها صبغة خاصة تميزها من الثقافات السابقة.

- اهتم حنين بجميع فنون المعرفة البشرية في زمانه، فلم يكتف بجميع فروع طب وخصوصًا علم العيون، وعلم الأغذية، وعلم الأدوية، وطب الأسنان، بل اعتنى أيضًا بعلوم أخرى كثيرة، منها الطبيعيات والرياضيات، والتنجيم، وتعبير الرؤيا، والفلسفة والتاريخ، والنحو واللغة.

الشهرة التي حققها، والإكرام الذي لقيه أثارا نفوس حاسديه ومنافسيه، وأكثرهم من الأطباء، ويسرد (حنين) المحن التي لاقاها مع الاضطهاد والأهوال التي نالها من خصومه؛ وذلك في رسالة طويلة

بالإضافة إلى ترجمة كتب أبقراط وجالينوس، وغيرها من الكتب الطبية والفلسفية عن اليونانية، كان (حنين) يقوم بتصحيح بعض النصوص التي يترجمها غيره وتحقيقها، والتعليق على بعض الكتب باللغة اليونانية أحيانًا، مع مقابلتها بنصوص أخرى لتوثيقها

ففي جميع هذه العلوم ترجم حنين أو ألف كتبًا متعددة تدل على سعة معرفته، وتبرز براعته فيها، وتثير إعجابنا به حتى وقتنا الحاضر.

ـ قيامه بترجمة عدد كبير من الكتب العلمية من اليونانية إلى السريانية أو إلى العربية، فسمح بتراجمه انتقال جزء كبير من العلم اليوناني القديم، أولاً إلى الشرق العربي الإسلامي في القرن التاسع، ثم إلى الغرب اللاتيني المسيحي في القرن الثاني عشر الميلادي عندما ترجم بعض كتبه إلى اللاتينية.

قُدِّر لي أن أعيش (حنين بن إسحق) في تجربة حياته، وهو واقف على طول قامته تحت الشمس يتحدث بصوت مسموع على أرض بكر لم يسبقه أحد بالوصول إليها فكان أول الفاتحين، وبداية المغامرة العقلية العلمية في أهم تجارب العالم على الإطلاق .... في رحلته المتواصل في اكتشاف المعرفة بأنواعها، والبلوغ إلى غايتها، كان حنين ساعيًا إلى تحقيق الحلم في نفسه وفي الآخرين، ولكنني حاولت أن أكون رفيقًا وشاهدًا على اكتشاف الحلم ومواصلته في كل تجلياته وتقاطعاته وانتصاراته وانكساراته منذ أن حملته أقدامه الصغيرة من مدينته الحيرة إلى بغداد مدينة الحلم الذهبي.

في صبيحة صيف من سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، وجدته أم إسحق لا يزال على مقعده المفضل داخل غرفته بعد أن رفض الاستلقاء على حشية الفراش، كان ينام بشكل متقطع ساعة أو أكثر، يستيقظ بعدها ليناديها بصوت خافت، اقتربت منه لتعديل رأسه المتمايل، حدقت فيه وهو لا يزال في وضعيته التي رقد فيها، فأثار شفقتها.

كان مستسلمًا للنوم، كاستسلامه للواقع الذي أمضى حياته يحاوره ويداوره، يبحث عن ذاته في تحد بائس، وسألت: ألم يكن من الأفضل أن يضع رأسه على الوسادة ...؟! لم تعرف تمامًا نوع الألفة التي تربطها به، لم يكن زوجها فحسب، بل ممتلئًا بكل أشكال الحياة التي تتقاطع فيها انعكاسات النور وهي تعانقه بحرارة، حدثها البارحة ضاحكًا: ألم أخبرك عن الموت؟! إنها الطريقة الوحيدة للطبيعة لتخبرك أن عملك غير مناسب ....!! انشغلت بترتيب الأوراق المبعثرة على الأرض، ثم التفتت إليه، كان رأسه يتدلى على صدره ثم يميل على كتفه، شعرت بأصداء الانهيارات والإعياءات في دهاليز الروح المظلمة ... أحست بثقل الوقت، أشبه بجبل من الجليد، واللحظات تمر متماهلة حاملة الصدى الكئيب، ودون أن تنفرج شفتاه ليقول بصوته الواهن أين أنت؟ كعادته .... كان جسده ملتصقًا بمقعده، لكن روحه قد فارقته هذه المرة، وحلقت بعيدًا في الفضاءات البعيدة، لقد انهار الجسد الذي ظل يترنح كقصبة فارعة في كف الريح. شعرت بنداء خفي من أقاصي السماوات التي حلقت روحه باتجاهها، فهي ستبقى عالقة في الكون الفسيح، وسيدفن الجسد المتعب في جوف الثرى بعد أن يلقى نظرته الأخيرة على مياه دجلة والفرات، وسهول الحيرة، ليحدثنا عن بيت الحكمة، وتلال المخطوطات والمعارف المتنوعة المزروعة داخل تلافيف دماغه، يشكو كل الفظاظة واللامبالاة والبلادة، كل ما كان يكرهه، كل متاعبه سيدفنها معه في بقعة من التراب ليدون آخر سفر من أسفاره.

المراجع

١ـ مهرجان أفرام وحنين. مطبوعات مجمع اللغة السريانية. ١٩٧٤م.

٢ـ حنين بن إسحق: في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها. تحقيق ودراسة محمد فؤاد الذاكري، دار القلم العربي، حلب ١٩٩٦م.

٣ـ حنين بن إسحق: دراسة تاريخية ولغوية. أحمد الدبيان. مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.


موسوعة
أوائل الإصدارات
الإعلامية والثقافية العربية
تأليف
إبراهيم بن عبدالعزيز بن إبراهيم السويلم
المملكة العربية السعودية
الجزء الأول
الطبعة الأولى

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٤١) ذو القعدة ١٤٢٥هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٤م ـ يناير ٢٠٠٥م.

الفائز الأول: حسني سلام الرومي ـ أبو ظبي ـ الإمارات.
الفائز الثاني: لولوة عبدالرحمن إبراهيم ـ مكة المكرمة ـ السعودية.
الفائز الثالث: كمال العربي ـ خريبكة ـ المغرب.
الفائز الرابع: شريف سيد محمد ـ تعز ـ اليمن.
الفائز الخامس: عبدالله عبدالسميع علي ـ محافظة الغربية ـ مصر.
الفائز السادس: آمنة محمد المصري ـ درعا ـ سورية.
الفائز السابع: جنان راضي حمدي ـ المنامة ـ البحرين.
الفائز الثامن: سليمان محمود سليمان ـ عمان ـ الأردن.

حل مسابقة العدد (٣٤١)

١- إذا مالت الدنيا إلى المرء رَغَّبَت
إليه ومال الناسُ حيث يميلُ
قائل البيت هو: أبو العتاهية

٢- التقالوق: اللغة الفلبينية.

٣- هليُوس: إله الشمس في الميثولوجيا الإغريقية.

٤- لولب أرخميدس: أداة لولبية تستخدم لرفع المياه (لأغراض الري).

٥- عبد المجيد الثاني: آخر الخلفاء العثمانيين.

أسئلة مسابقة العدد (٣٤٤)
أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) روائية إنجليزية أصيبت باضطراب عقلي فانتحرت: ما اسمها؟

(٢) قائد عربي لقي مصرعه في معركة «بواتييه»: من هو؟

(٣) فيلسوف يوناني دعا إلى التقشف وعاش في برميل: اذكر اسم هذا الفيلسوف؟

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



لوحة للفنان [illegible] فورد مادوكس

- رحيل آرثر ميلر
- متحف جديد في المغرب
- أعمال فنية عراقية تعود
- نادين جورديمر تطالب بجلاء اليهود
- أطول ملحمة شعرية في العالم

●● خاتمة المطاف: انتقال المأثورات الشعبية



رحيل آرثر ميلر

توفي في التاسع من فبراير/ شباط الماضي آرثر ميلر الكاتب المسرحي والروائي الأمريكي المشهور عن عمر يناهز ٨٩ عامًا، في مزرعته في روكسبوري في ولاية كونيتيكيت الأمريكية، بعد صراع مرير مع مرض السرطان، والتهاب الرئة.

ولد ميلر في مانهاتن عام ١٩١٥م من عائلة يهودية، وغادرها عام ١٩٢٨م مع أسرته إلى بروكلين، وعايش الأوضاع القاسية خلال أزمة الكساد التي كانت سائدة في المجتمع الأمريكي، مما كوّن لديه وعي خاص بالأوضاع التي كانت تعيشها أمريكا في تلك الحقبة، فاستوحى منها بعض أعماله المسرحية، مثل بطله: البائع المتجول، إذ كان الكاتب نفسه يعمل بائعًا متجولاً لمصلحة تاجر سجاد حين كان يواصل دراسته الجامعية، كما عمل في بعض الفترات في المعمل، وقد وظفها أيضًا في بعض نصوص مسرحياته.

وقد أغنى ميلر المسرح الأمريكي طوال نصف قرن بعدد كبير من المسرحيات، طرحت قضايا المجتمع الأمريكي وقيمه بجوانبها الأخلاقية والعائلية، وكانت أعماله من أكثر الأعمال المقروءة والمقتبسة على خشبة المسرح في كل أنحاء العالم. وقال ميلر في مقابلة تلفازية أُجريت معه عام ١٩٨٨م: «الكثير من أعمالي يعود إلى قلب الانتماء إذا ما كان هناك للحياة جذور - فاليوم العائلة مفككة، ولا يعيش الناس في الأمكنة ذاتها لفترات طويلة»، وأضاف: «قد يكون عدم الاستقرار أحد أسباب توترنا، فهو يزرع فينا الشعور بأن ما من شيء يدوم فعلاً». وقد تأثر ميلر بالاشتراكية في شبابه، وأعجب بالمسرح الثوري في ذلك العصر، وقد جعلته أفكاره اليسارية هدفًا للجنة الأنشطة غير الأمريكية في مجلس النواب، وحرم من الكثير من الفرص التي كانت تتيح له



آرثر ميلر

المزيد من النجاح في حينه، وقد رفض أن يمثل أمام اللجنة، خلافًا لصديقه السينمائي إيليا كازان الذي أفشى كل ما يعرف عن رفاقه وزملائه الناشطين سياسيًا.

زواجه بمارلين مونرو:

تزوج عام ١٩٥٦م من الممثلة الشهيرة مارلين مونرو، وهجر زوجته ماري سلتري بعد ١٦ سنة من الزواج، كانت ثمرته ولدين، وعاش معها تجربة تأرجحت بين النجاح والفشل، ولم يدم هذا الزواج أكثر من خمس سنوات، وقد شهدت فترة زواجه هذه، على الرغم من قصرها، اضطرابًا شديدًا، وتعرض الكاتب في أثنائها لعدم الاستقرار العاطفي، وتوقف خلالها عن الكتابة للمسرح، ولم تشهد هذه الفترة من حياته سوى فيلم واحد «عدم الانسجام»، نالت دور البطولة فيه زوجته الممثلة مارلين مونرو، بالاشتراك مع مونتجمري كليفت، وكلارك غيبل. وقد تزوج

ميلر للمرة الثالثة، بعد طلاقه مونرو، بالمصورة السويدية أنجي موراث، وألّفا كتابين مشتركين عن الصين وروسيا.

ولعل أهم تغير طرأ على الكاتب الراحل - كما يشير في أحد كتبه - هو ما حدث في مرحلة لقائه الكاتب المسرحي الكبير تنيسي وليام، فقد استطاع من خلال تلك العلاقة القوية تثبيت نفسه كأحد أهم كتّاب المسرح الأمريكي في مرحلة ما بعد الحرب الثانية.

أهم أعماله:

بعد انتهاء دراسته الجامعية عام ١٩٣٨م، بدأ ميلر بكتابة النصوص المسرحية، وباع بعض الاسكتشات التمثيلية للإذاعة، وكانت أولى مسرحياته «الرجل الذي يملك كل حظوظه» عام ١٩٤٤م، ونشر عام ١٩٤٥م أول أعماله الروائية «البؤرة»، ثم كانت مسرحيته التراجيدية «كلهم أبنائي» مستوحاة من حياته الخاصة، وشخصية والده، ونماذج من أسرته وبيئته.

وقد نالت هذه المسرحية جائزة «حلقة نقاد المسرح»، وألّف مسرحيته الثالثة في المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ثم غاب عن المسرح مدة طويلة، بلغت ٩ أعوام ليعود إليه بمسرحيته السيرة الذاتية «بعد السقوط» التي أجمع النقاد أن بطلتها ماجي هي نفسها مارلين مونرو الشخصية الأنانية التي تهوى تدمير الذات على الرغم من نفي الكاتب ذلك.

وكانت أشهر أعماله «موت بائع متجول» الذي عالج فيها مسائل التضحية والوفاء، والنجاح والفشل، وقد فازت هذه المسرحية بجائزة «بوليترز» العريقة عام ١٩٤٩م، لتصبح من أهم كلاسيكيات الأدب العالمي، وتضع صاحبها في مكانة مرموقة، إلى جانب كبار أدباء العالم.

وكان كتابه الذي نشر في مطلع القرن الحالي بعنوان «نافذة على القرن» قد جمع فيه كتاباته السياسية والنقدية التي تغطي مرحلة زمنية ممتدة من المكارثية وحرب فيتنام إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والحرب الأنجلوأمريكية على العراق.

أما كتابه «منعطفات زمنية»، فقد قدّم فيه معلومات تفصيلية عن نشأته في نيويورك، التي كانت متزامنة مع مرحلة الكساد الاقتصادي التي شهدتها أمريكا، كما قدّم تفاصيل أخرى عن الحياة في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، ومحاولاته الأولى في مجال التأليف المسرحي، والنجاحات التي حققها في بداياته كأهم كتاب المسرح الأمريكي. ومن كتبه أيضًا: «العصر الذهبي»، و«منظر من فوق الجسر»، و«إليانكي الأخير»، و«الكأس المكسورة»، و«ضياع السيد بيترز»، و«سامرات سالم».

كلينتون وزوجته هيلاري يكرمان آرثر ميلر بالبيت الأبيض



THE SOCIAL PSYCHOLOGY OF GOOD AND EVIL

Edited by Arthur G. Miller

مواقفه:

وكان للكاتب الراحل عدة مواقف ضد إسرائيل، فحينما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى في عام ١٩٨٧م وواجهتها إسرائيل بقسوة لافتة، على الرغم من أنها انتفاضة سلمية أبطالها أطفال، وسلاحها الحجارة، وقد وجدت الانتفاضة تعاطفًا كبيرًا في كل أنحاء العالم، واستنكر العالم القسوة الإسرائيلية في قمعها ـ كان على رأس المنتقدين لإسرائيل في الولايات المتحدة الكاتب آرثر ميلر.

ولم يكن ذلك الموقف الوحيد لآرثر ميلر في انتقاد إسرائيل، ففي عام ٢٠٠٣م عندما فاز ميلر «بجائزة القدس الأدبية» وهي جائزة لا تمنح للتميز الأدبي والإبداعي فقط، بل للشخصيات الأدبية التي تسجل امتيازًا في الدفاع عن الحريات، وعن حقوق الأفراد بشجاعة، كما تقول لائحتها. وجاء في بيان أسباب منحه الجائزة بذله «جهودًا كبيرة للصالح العام، ووقوفه إلى جانب الأفراد العاديين الضعفاء، ووضعهم في صدارة المجتمع»، ورفض الكاتب الحضور لاستلام الجائزة على الرغم من قبولها، واكتفى بإرسال خطاب مسجل على الفيديو متضمن انتقادات قاسية لسياسة إسرائيل، ووصف في خطابه سياسة إسرائيل الاستيطانية بأنها تمثل «هزيمة ذاتية»، مشيرًا إلى أن إسرائيل «تريد بذلك إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، إلى أيام كان فيها من المقبول التوسع خلف الحدود الطبيعية للبلاد».

وقد وصفه أحد النقاد الأمريكيين بأنه محامي الحريات، ومناصر المستغلين، والمحارب الشرس ضد كل أشكال القمع والتمييز العنصري.

متحف جديد في المغرب

تستعد وزارة الثقافة المغربية لبناء متحف جديد، يضم جميع الآثار التي أمكن العثور عليها في البلاد، منذ عصور ما قبل التاريخ حتى فترة الحضارة الإسلامية، وأوضح محمد عبدالجليل الهجراوي ـ مدير التراث الثقافي بوزارة الثقافة ـ أن المتحف الجديد سيكون في قلب العاصمة الرباط، وسيضم جميع التحف الأثرية التي عثر عليها في المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ، مرورًا بحقب الحضارة الفينيقية والقرطاجية والرومانية حتى حقبة الحضارة الإسلامية والعربية الأندلسية. ويمتاز باستخدام أحدث ما توصلت إليه التقنية الحديثة من ناحية طريقة عرض التحف من السينوغرافيا والإنارة والواجهات.

ويوجد بالمغرب عدد كبير من المتاحف الأثرية وغير الأثرية تابعة لوزارة الثقافة المغربية، ويرى المختصون أن هذه المتاحف تحتاج إلى متحف حديث، يستوعب كل هذا الكم الهائل من الآثار، التي يضيق بها المتحف الأثري القديم الكائن في الرباط، الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى العشرينيات من القرن المنصرم.

يذكر أن الأبحاث الأثرية قد تكاثرت في المغرب في الآونة الأخيرة، وقد عثر مؤخرًا على آثار نادرة يعود تاريخ بعضها إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

نادين جورديمر تطالب بجلاء اليهود

طالبت نادين جورديمر الأديبة الجنوب إفريقية، الحائزة على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٩١م بجلاء اليهود عن فلسطين، وبحق الشعب الفلسطيني في أرضه. وقالت جورديمر: «إني أومن بحق الفلسطينيين في أرضهم، وأساعد القضية الفلسطينية بكل وسعي، وأدافع عنها بالفعل، وليس بالكتابة، ولا يوجد من يملي عليّ ما أفعله»، وأضافت: «أنا ممن ناضلوا ضد العنصرية والتمييز في بلادي - جنوب إفريقية - حتى إن بعض كتبي منعت من النشر».

وذكّرت نادين، التي كانت تتحدث في ندوة بمعرض القاهرة الدولي للكتاب عقد مؤخراً، بموقفها في أثناء مؤتمر للأدب العالمي عقد في الصين عام ١٩٨٨م، حينما أرادت الوفود العربية الاعتراف بحق تقرير المصير لدولة فلسطين، ورفضت الدول الأجنبية ذلك، وكانت نادين هي الوحيدة التي وقفت مع الوفود العربية، وطالبت بجلاء اليهود، وحق الفلسطينيين في أرضهم.

كما نفت الكاتبة أن تكون قد تعمدت الإساءة إلى العرب، ووصفهم بالإرهاب في سياق إحدى رواياتها، وأوضحت أن القصة المشار إليها تتلخص في أن شاباً شرق أوسطي أوهم فتاة إنجليزية بحبه لها، وطلب منها زيارة أهله بمفردها، وأعطاها تذكرة سفر واحدة، ووضع داخل حقائبها متفجرات أدت إلى تدمير الطائرة بالكامل، وقالت: إنها لم تحدد جنسية هذا الشاب، ولم تقل: إنه عربي. وأكدت في هذا السياق أنها لا تحب الإرهاب، ولا تتساهل معه، وأنها هدفت من هذه القصة أن تسأل عن غاية هؤلاء الناس من العمليات التفجيرية؟

الجدير بالذكر أن جورديمر هي أول كاتبة جنوب إفريقية بيضاء تفوز بجائزة نوبل للأدب، وبلغ عدد مؤلفاتها ١٢ رواية، كانت أولاها «أيام الكذب» عام ١٩٥٣م، وآخرتها «البندقية المنزلية» عام ١٩٩٨م، و ١٠ مجموعات قصصية، بالإضافة إلى بعض السيناريوهات لبعض الأعمال الدرامية بالتلفاز والسينما. وتدور معظم أعمالها الأدبية حول مشكلة التمييز العنصري التي عانت منه بلادها طويلاً.

نادين جورديمر



أطول ملحمة شعرية في العالم

أعلن في الصين عن اكتمال ملحمة «الملك القصار»، وذلك على أثر العثور على الأجزاء الناقصة من الملحمة، وهي ألف كلمة منقوشة على الأحجار والتماثيل الكائنة بمعبد جين لونغ «السمكة الذهبية»، الواقع بمقاطعة سيتشوان في جنوب غرب البلاد. وبذلك تكتمل هذه الملحمة التي تعدّ أطول وأقدم ملحمة شعرية شعبية ثقافية على مستوى العالم.

وتضم هذه الملحمة، التي تقع في ٣٦ مجلدًا، نحو مليوني بيت شعر، وتضاهي في قيمتها الأدبية أشهر الملاحم الغربية، حتى أطلق عليها اسم الإلياذة الشرقية، على غرار الملحمتين اليونانيتين الشهيرتين: الإلياذة، والأوديسا للشاعر اليوناني هوميروس. وتتناول هذه الملحمة سيرة الملك «قصار» الذي استطاع هزيمة القبائل الغازية، والمحافظة على هوية مقاطعة التبت من التشويه.

يذكر أن هذه الملحمة قد ترجمت من اللغة المنغولية، وهي لغتها الأصلية التي كتبت بها، إلى عدد كبير من اللغات العالمية، مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والروسية، والهندية، والصينية، واليابانية، كما أنها تدرّس في أقسام الأدب في معاهد وجامعات أكثر من أربعين دولة من دول العالم. كتب عنها أكثر من ثلاثة آلاف بحث ودراسة أكاديمية، أدرجتها منظمة اليونسكو في العام الماضي ضمن المناسبات العالمية، وشارك في الاحتفال بها جميع الأعضاء في المنظمة، بحسبها الأثر الثقافي الوحيد المتبقي حتى اليوم على الرغم من مرور أكثر من ألف عام على صدوره.



أعمال فنية تعود

أعاد المواطن العراقي كريم جبار حسين إلى وزارة الثقافة العراقية مؤخرًا ٧٩ عملاً فنيًا، كان يحتفظ بها في مطبعته، منذ الغزو الأنجلوأمريكي على العراق في أبريل / نيسان من العام الماضي، وكانت المتاحف والمراكز الفنية في العراق قد تعرضت للسلب والنهب في الأيام الأولى من الغزو تحت سمع قوات الغزو وبصرها التي لم تحرك ساكنًا في سبيل إنقاذ هذه الكنوز الأثرية من الضياع.

وشملت الأعمال التي سلمت إلى عباس جاور المدير العام للفنون التشكيلية في وزارة الثقافة


لوحة للفنان العراقي حافظ الدروبي


إحدى لوحات الفنان العراقي شاكر حسن آل سعيد

العراقية، لوحات ومنحوتات لفنانين عراقيين مشهورين أمثال خالد الرحال، وشاكر حسن آل سعيد، وغيرهم من فناني العراق المعروفين.

وذكر كريم جبار حسين أنه عندما سمع بتعرض المتاحف والمراكز الفنية للنهب توجه بصحبة شقيقه إلى مركز صدام للفنون الذي كان يضم عددًا كبيرًا من التحف الفنية، منها لوحات وخزفيات، وقاما بحمل ٧٩ عملاً من المراكز بغرض الحفاظ عليها من النهب.

وقال: «آثرت الاحتفاظ بهذه الأعمال طوال هذه الفترة، لأني كنت خائفًا من تسليمها إلى أي جهة لا تستطيع توفير الحماية لها؛ بسبب غياب الأمن في البلاد»، وأكد حسين أنه احتفظ بهذه اللوحات الفنية؛ «لا لأنها تمثل أعمالاً فنية قيمة فحسب، بل لأنها تمثل ذكرياتنا، وتحكي جزءًا مهمًا من تاريخ شعبنا ووطننا»، وأضاف: « سأكون في منتهى السعادة عندما أرى هذه الأعمال وقد احتلت مكانًا بارزًا في المتحف الوطني».

وأوضح حسين أنه يهدف من عمله هذا إلى «إيصال رسالة إلى كل الذين اتهموا العراقيين بأنهم يسرقون تاريخهم، وأن هناك الكثير من العراقيين الذين فعلوا ما بوسعهم من أجل المحافظة على الإرث الحضاري والثقافي لبلدهم».

من ناحية أخرى قال عباس جاور المدير العام للفنون التشكيلية في وزارة الثقافة عن هذه الأعمال الفنية: إنها «تعود لفنانين عراقيين وعرب مشهورين تمثل أعمالاً من الرسم والنحت والخزف، وتمثل حقبة مهمة من تاريخ الفن لوطننا، لا يمكن تكرارها أو إعادتها في تاريخ الفن العراقي؛ ذلك لأن بعض رموز هذه الفترة قد رحلوا عن عالمنا».

وأضاف جاور: «إن استعادة هذه الأعمال تعني استعادة لروح الفن العراقي المعروف بمكانته المتميزة بين الفنون الأخرى».

بناء قصر غمدان

وجه الرئيس اليمني علي عبدالله صالح مؤخرًا وزارة الثقافة والسياحة اليمنية بالبدء بإعداد الخطط والرسومات الخاصة بإعادة بناء قصر غمدان الذي يعدّ من أشهر المعالم التاريخية والأثرية في اليمن.

وقال خالد الرويشان وزير الثقافة والسياحة اليمني إنه تلقى توجيهات من الرئيس علي عبدالله صالح بخصوص إعادة بناء قصر غمدان، وأكّد أن العمل سوف يبدأ قريبًا. وأضاف أن المشروع سيكون في حالة اكتماله من أعظم المشروعات الثقافية والتاريخية على مستوى اليمن.

ويعدّ هذا القصر، الذي يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة صنعاء القديمة، من أشهر المعالم التاريخية في اليمن على الإطلاق، وقد وصفه مؤرخ اليمن الشهير الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه «الإكليل» بأنه: «أول قصور اليمن، وأعجبها ذكرًا، وأبعدها صيتًا».

ويرجع الإخباريون تأسيس هذا القصر، وبدء بنائه، وحفر بئر بصنعاء إلى سام بن نوح، عليه السلام، وقد ورد أقدم ذكر لقصر غمدان في المصادر القديمة منسوبًا إلى عهد الملك السبئي «شعرم أوتر» ملك سبأ وذي ريدان قبل عام ٢٢٠ الميلادي.

ويقول الدكتور يوسف محمد عبدالله - أستاذ النقوش والآثار بجامعة صنعاء: تهدم قصر غمدان بحكم تقادم العهد، كما تزامن انهياره مع انهيار معاقل الحضارة اليمنية القديمة، وزوال ممالكها العظيمة، ومن الأرجح أن هدمه قد مرّ بعدة بمراحل، منها ما أصابه من حريق أيام الغزو الحبشي لليمن في نحو عام ٥٢٥ م، في حين هدم جزء منه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تهاوى ما تبقى منه في أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه.



أحد قصور اليمن

وقد ورد وصف مجمل للقصر في المصادر التاريخية القديمة يقول: إن أسفله كان من «الجروب»، وهي عبارة عن أحجار كبيرة سوداء صلدة مهندمة، وأن أعلاه كان من الرخام المصقول، كما أن حجارته كانت متلاحمة ومترابطة بالمعدن المذاب، وقد شيِّد برأس القصر غرفة عليا أُطبق سقفها برخامة واحدة شفافة، حتى إن الجالس في الغرفة يستطيع أن يميز من خلالها الغراب من الحدأة، كما يوجد بالقصر، الذي يراوح طوله بين ٣٠ و٤٠ مترًا، أربعة تماثيل لأسود مصنوعة من النحاس ومجوفة، فكان إذا دخل الريح من خلال هذه التجاويف أحدثت صوتًا، مثل: زئير الأسود.

وقد تهدم القصر بفعل تقادم الزمن، وعوامل التعرية، حتى لم يبق منه سوى تلة عالية من الأحجار، أعيد ترميمها، واستغلت موقعًا عسكريًا يعرف اليوم بقصر السلاح.

عازفة البيانو

صدر مؤخراً في القاهرة الترجمة العربية لرواية «عازفة البيانو» للكاتبة النمساوية ألفريدة يلينيك الحائزة على جائزة نوبل للآداب لعام ٢٠٠٤م، وتعدّ هذه الترجمة هي الأولى لأحد أعمال ألفريدة يلينيك التي لا تحظى بشهرة كبيرة خارج بلادها، وقام بالترجمة المترجم المصري سمير جريس.

وعزا المترجم جريس عدم شهرة هذه الكاتبة خارج بلادهاإلى «خصوصية لغتها، واستعصائها على الترجمة في كثير من الأحيان، ولا سيما الروايات، إذ تستخدم التلاعب اللغوي القائم على المفارقة اللفظية، وتستشهد بعبارات رائجة، أو أمثلة شعبية تسخر من مضمونها». وهذا ما جعل المترجمين يحجمون عن ترجمة أعمالها الأدبية.

وأكد المترجم أن موضوع هذه الرواية من الموضوعات العصرية المطروحة في مجتمعات الشرق والغرب على حد سواء، على الرغم من صدور هذه الرواية في مطلع ثمانينيات القرن الماضي. وتعالج المؤلفة في هذه الرواية علاقة ابنة عازف بيانو ماهرة مع أمها، التي تريد الاستحواذ عليها من خلال هذه العلاقات المعقدة، وتتطرق إلى إشكالية علاقة غرامية تخوضها المرأة صراعًا وحشيًا مع رجل يحبها، ولكنها تخرج دائمًا خاسرة.

ولدت ألفريدة يلينيك في ٢٠ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٤٦م من أب يهودي تشيكي في مدينة مورزوشلاغ في جنوب النمسا، ودرست الموسيقا والتأليف في معهد فيينا للموسيقا، ونالت الإجازة عام ١٩٦٤م، ثم تابعت دراستها في المسرح وتاريخ الفنون في جامعة فيينا، مع متابعة دراساتها الموسيقية في الوقت نفسه، حتى نالت إجازة عازفة أرغن من المعهد الموسيقي عام ١٩٧١م.

وتقيم ألفريدة يلينيك بين فيينا وميونخ في ألمانيا، وقد اكتشفها الجمهور بعد أن قام أحد المخرجين باقتباس روايتها «عازفة البيانو» التي أصدرتها عام ١٩٨٣م، وأخرجها في فيلم نال ثلاث جوائز في



ألفريدة يلينيك

مهرجان «كان» عام ٢٠٠١م، بالإضافة إلى بعض المؤلفات الأخرى التي لا تقل شأنًا عن هذه الرواية مثل: «العاشقتان» ١٩٧٥م، و«الرغبة» ١٩٨٩م، و«المهمّشون» ١٩٨٠م، والمسرحيات: «نورا» ١٩٧٩م، و«كلاراش» ١٩٨٤م، و«مرض، أو نساء عصريات» ١٩٨٧م، و«رغبة وإذن بالتجول» ١٩٨٩م.

اصدارات



مجموعة باحثين/ مستقبل الإسلام.- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ٤٦٧ ص.

شارك في هذا الكتاب عدد من كبار المفكرين والباحثين الذين يرسمون صورة المشهد الراهن، وصورة المستقبل المأمول للإسلام، إذ بدأها الدكتور أبو يعرب المرزقي ببحث عن مستقبل الإسلام والمسلمين، والموقف الوجودي المناسب للظرف التاريخي، وكتب الدكتور أحميدة النيفر بحثًا بعنوان، «غداً يبدأ اليوم»، وتطرق الدكتور أحمد الريسوني إلى مستقبل الإسلام وإسلام المستقبل، وناقش الدكتور برهان غليون مستقبل الإسلام، وكتب الدكتور حسن حنفي عن مستقبل الإسلام في ضوء التحديات الراهنة، وقدم الدكتور حسن نافعة تأملات حول مستقبل «العالم الإسلامي»، وجاء بحث الدكتور طلال عتريسي بعنوان «صورة الإسلام مسؤولية الغرب والمسلمين» وقارن الدكتور عبدالوهاب المسيري بين الحداثة الداروينية والحداثة الإنسانية العربية الإسلامية، وكان بحث الدكتور عماد حسين خليل عن مستقبل الإسلام في ضوء التحديات الراهنة، وبحث الدكتور لؤي صافي عن مستقبل الإسلام في رؤيته الحضارية، وناقش الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي مستقبل الإسلام في ضوء التحديات المعاصرة، وأبرزت الدكتورة نادية محمود مصطفى تحديات العولمة والأبعاد الثقافية الحضارية والتعليمية من خلال رؤية إسلامية، وعدد الدكتور مازن موفق هاشم عناصر الائتلاف العربي الإسلامي.

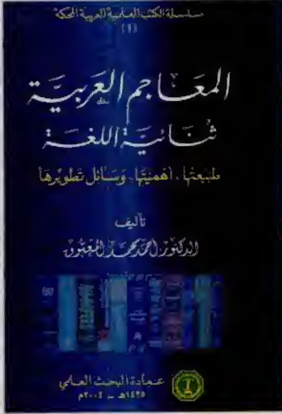


الراجحي، صالح بن عبدالله/ حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٢٨٧ص.

يمثل هذا الكتاب دراسة علمية مؤصلة موازنة لحقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، ويركز بشكل خاص في الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الإسلام، ويقارنها بالمواثيق والمعاهدات الدولية لحقوق الإنسان، والتي تتكون من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

يدحض هذا الكتاب الافتراءات والأكاذيب التي يروج لها أعداء الأمة، والتي تهاجم الإسلام، وتتهمه بأنه دين عنيف، ولا يقرّ حقوق الإنسان ولا يمنحه حرياته.

ويؤكد الكتاب أن الإسلام دين حق وسلام وتسامح ورحمة، سبق جميع المعاهدات والمواثيق الدولية والمعادلات الأخرى بأكثر من أربعة عشر قرنًا في كل ما يتعلق بحقوق الإنسان وحرياته التي وهبها إياه الخالق عز وجل.



المعتوق، أحمد محمد/ المعاجم العربية ثنائية اللغة: طبيعتها، أهميتها، وسائل تطويرها.ـ جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، عمادة البحث العلمي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٢٤٧ص. (سلسلة الكتب العلمية العربية المحكمة:١).

تعدّ المعجمات ثنائية اللغة على اختلاف أشكالها وتخصصاتها لدى الأمم المتحضرة من المرتكزات الرئيسة التي تقوم عليها الترجمة بجميع أشكالها ومجالاتها وأهدافها، كما تعدّ من الدعائم الأساسية لعمليات التعريب بمختلف توجهاته بالنسبة إلى الأمة العربية، وهذا ما يدعو إلى العمل بجد على تفعيل دور المعجمات، والتصدي لحل المشكلات التي تواجهها، إذ أصبح ذلك مطلبًا حضاريًا مهمًا، وطريقًا إلى تنمية اللغة، وتأكيد أصالتها، وسبيلاً إلى استقلالية فكر الأمة وتطوير ثقافتها.

يشتمل هذا الكتاب على محاولة جادة لتطوير معجماتنا العربية ثنائية اللغة، وتفعيل دورها، وزيادة فاعليتها، إذ يتضمن دراسة نظرية نقدية لأهم ما صدر في عصرنا الحديث من المعجمات العربية العامة ثنائية اللغة بمختلف مستوياتها وأحجامها. وفق منهج معمق. يستضيء بأهم ما توصلت إليه النظريات الحديثة في صناعة المعجمات ثنائية اللغة وصناعة المعجمات اللغوية عامة، ويعتمد على المعاينة والفحص المباشر، والتحليل النقدي، والاستنتاج والتقويم، وتشخيص الأخطاء وجوانب النقص أو القصور، وطرح الحلول التي تسهم في تفاديها أو معالجتها.



الحداد، ميهاي فضل الله/ رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب. ترجمة: ثائر صالح.ـ بيروت: كتب، ٢٠٠٤م، ١٣٣ص.

جاءت بعثة ميهاي (ميخائيل) فضل الله الحداد في العامين ١٩٠١و ١٩٠٢م، وكانت لجلب الخيول العربية من بلاد العرب، وفيه وصف المؤلف أحوال بلاد الشام والعراق آنذاك، فقد وصل إلى تخوم الصحراء عند مدينة النجف وجال في الريف بين دجلة والفرات، واشترى خيولاً من قبائل شمر، وأقام في بغداد فترة من الزمن.

ولد المؤلف في دمشق بسورية في ٢٩ أيلول عام ١٨٤١م بحسب معطيات سجل فضل الله في الجيش النمساوي المجري، وربما تكون ولادته في لبنان، جاء ميهاي إلى المجر مع بعثة رودلف برودمان عام ١٨٥٧م، ويقال: إنه تعلق بحصان باعه أبوه للبعثة، ولم يشأ مفارقته، وسرعان ما حظي بمحبة الجنود

والضباط في الجيش النمساوي المجري، وله قصة مع الإمبراطور فرانس يوزف بابولنا، إذ زار الملك المدينة ليطلع على نتائج بعثة برودمان لجلب الخيول العربية، ورأى الإمبراطور الفتى العربي فضلاً واقفًا إلى جانب فرس عربي، فتعجب منه واقترب منه ليسأله من هو، ومن أين أتى؟، ولمس السيف، فما كان من ميهاي إلا أن ضربه على كفه محتجًا، كيف يجرؤ ويمس سيفه، وهو شرفه؟ فشحبت وجوه حاشية إمبراطور أقوى دولة في وسط أوربا، إلا أن الإمبراطور ابتسم وأعجب بالفتى اللبناني، وأمر بتعليمه، ولا أحد يعرف مقدار الحقيقة في هذه الرواية غير أنها اشتهرت كثيرًا.

القحطاني، منصور بن عوض بن صالح/ تمويل البحث العلمي في الجامعات السعودية وسبل تنميته: دراسة ميدانية.ــ مكة المكرمة: جامعة أم القرى،١٤٢٥هــ/٢٠٠٤م، ٧٣٤ص.

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى واقع تمويل البحث العلمي في الجامعات السعودية وسبل تنميته من منظور فكري وميداني، فالجانب الفكري من الدراسة يهدف إلى مناقشة وظيفة البحث العلمي من خلال أهميته وسماته، وأنواعه ومقوماته، كما يهدف إلى معرفة دور الجامعات السعودية في مجال تمويل البحث العلمي، ومدى اهتمامها به، والتعرف إلى قضية الاستثمار في البحث العلمي من حيث مصادر تمويل البحث العلمي، ومجالات الاستثمار، والتعاون بين الجامعات وقطاع الأعمال.



وتوصلت الدراسة إلى ضعف مساهمة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي، وضعف الاعتمادات المالية المخصصة للبحث العلمي، وعدم قناعة قطاعات المجتمع بأهمية البحث العلمي، وضعف الإمكانات المتوافرة للبحوث العلمية، وقلة المعلومات المتبادلة بين مراكز البحوث الجامعية، وقطاعات المجتمع.

وأوصى الباحث، بالعمل على تفعيل دور الحكومة في تعزيز مصادر تمويل البحث العلمي الجامعي وتنميته، وتعزيز دور الجامعات في تنمية الموارد المالية للبحوث العلمية واستثمارها، وإنشاء صندوق للبحث العلمي تحت مظلة وزارة التعليم العالي؛ لتوسيع قاعدة البحث العلمي، وتمويله، وتفعيل تسويق منتجات البحوث العلمية، والخدمات الاستشارية، وتعزيز التعاون، وتنمية روح الشراكة بين الجامعات وقطاعات المجتمع في مجال تنمية الموارد المالية، وتعزيز الوعي الاجتماعي تجاه البحوث العلمية، وتبني أسلوب الجامعة المنتجة (الرائدة) وتفعيله على مستوى الجامعات

السعودية، والعمل على تعزيز قبول المنح والتبرعات والهبات والوصايا والإعانات كمصادر إضافية لتمويل البحث العلمي، وتفعيل الوقف الإسلامي لدعم البحث العلمي الجامعي، وتعزيز دور الأستاذ الجامعي في تقديم البحوث العلمية، والخدمات الاستشارية.



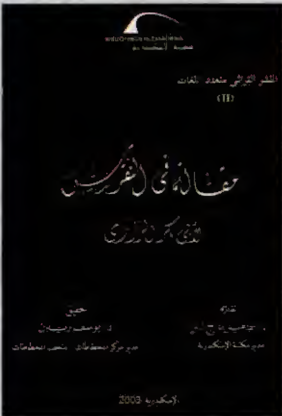
النجار، فهمي/ الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية (العقل).ـ الرياض: المؤلف، ٢٠٠٤م، ٢٢٨ص.

معظم الدراسات النفسية المعاصرة دراسات غربية في أصول فلسفتها وفي منهجها؛ أي: نابعة من التصور الغربي للإنسان والكون والحياة الذي تسيطر عليه الروح المادية، لذلك نادى المصلحون والمفكرون في العالم الإسلامي بضرورة التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية والاجتماعية، ويعدّ الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أبرز من تناول النفس البشرية، والفطرة الإنسانية، في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» وكان من الأوائل في شرح مفهوم العقل.

تعرض هذه الدراسة لحياة ابن تيمية وجهاده وأخلاقه، وتأثيره في الفكر الإسلامي المعاصر، مبينة منهج ابن تيمية في دراساته النفسية، وكيف أنه سلفي المنهج، باعتماده على الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح المشهود لهم بالفضل والعلم.

ويبحث الفصل الأول من الدراسة في ماهية العقل في اللغة، وعند الفلاسفة، وعند المسلمين، ويتناول الفصل الثاني الإدراك لدى الإنسان، وحواسه الظاهرة الخمس، والحواس الباطنية، ويتحدث عن الإدراك العقلي، وعن علاقة العقل والشرع، وعلاقة العقل والتأويل، والعقل والذكاء.

ويوضح الفصل الثالث العلاقة بين العقل والمعرفة من خلال نظرية المعرفة عند ابن تيمية. والاستعداد الفطري للمعرفة، وطرائق الاستدلال، والإلهام، ويناقش الفصل الرابع صلة العقل بالإرادة والأخلاق والعاطفة.



الرازي، أبو بكر/ مقالة في النقرس، تقديم: إسماعيل سراج الدين، تحقيق: يوسف زيدان.ـ الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ٥٠ص.

النقرس: هو مرض يعرض في مفاصل القدمين، يؤلم ألمًا شديدًا، ويسير بالإنسان إلى أن يعوقه عن المشي والتصرف بالحركات.

يقدم الرازي في هذا الكتاب المتضمن عشرين بابًا، تعريفًا بالنقرس، وما الفرق

بينه وبين وجع المفاصل، وممّ يتولد النقرس؟ وكم أصنافه؟، وإصابة النساء بالنقرس، والأشياء التي يحتاج إلى إحكامها في علاج النقرس، وفائدة الحمية للنقرس، وطريقة المطعم والمشرب للنقرس، وكيفية علاج النقرس بالإسهال، وعلاج النقرس بإخراج الدم، وعلاجه بصب الماء على القدمين، وبالأطلية والضمادات، وكيفية تدبير النقرس بالحمام، وكيفية علاج النقرس، وكيفية التحرز من معاودة النقرس.

يذكر أن الرازي هو من أرسى الطب على قاعدة البحث السريري الإكلينيكي، ولم يغرق في البحوث النظرية، والمعروف أن تطور الطب كان مرهونًا بتقدم البحوث الإكلينيكية لا النظرية، ويعدّ كتاب الرازي «الحاوي» أهم موسوعة طبية إكلينيكية في الإسلام، إذ سجل فيه آلاف الحالات المرضية والطرائق العلاجية.

وللرازي أعمال أخرى مثل رسائله الفلسفية، ومقالة فيما بعد الطبيعة، وكتاب العلم الإلهي، والقول في القدماء الخمسة، والقول الهيولي، والقول في المكان والزمان، والقول في النفس والعالم، والطب الروماني وله في الطب: المنصوري، والفاخر، والشكوك على جالينوس، وكتاب القولنج، ومنافع الأدوية.

اليحيى. عبدالله بن عبدالعزيز/ المتدينون اليهود في فلسطين: فرق ومواقف.ـ الرياض: كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. ٢٥٨ص.



يركز هذا الكتاب في المعالم المهمة للأصوليين اليهود، وصدامهم مع العلمانيين، وإلى تحالفهم مع اليمين، فالمتدينون اليهود في فلسطين ليسوا كل المجتمع اليهودي؛ إنهم في حدود ١٨٪ منه، لكنهم العقبة أمام السلام، والبنية الأساسية للإرهاب، ومصدر فتاوى الغلو والتطرف والحرب والقتل، وأصحاب الهيكل الثالث، ومنتظرو المخلص.

وتشكلت المجموعة اليهودية المعاصرة في فلسطين من نحو ٢١ دولة، ينتمون إلى ٨٠ قومية، ويتحدثون ٧٠ لغة، ويرى المؤلف أن «مشاهدة معالم الدين اليهودي، ثم المجموعات اليهودية المعاصرة في فلسطين المحتلة، ومواقفها الأصولية، وبعض تنوعاتها المثيرة خطوة مهمة يحتاج إليها المحارب والمحاور، والإصغاء إلى الأصوات المحايدة.

يتضمن الكتاب بابين رئيسين: الأول عن معالم الدين اليهودي، مثل إله اليهود ومصادر الدين، والحاخامات والهيكل، ويتناول الباب الثاني معالم المجتمع اليهودي في فلسطين، ومظاهر تدينه، وبيّن علاقة العلمانيين مع المتدينين، ويناقش الفصل الثالث معالم البيت الأصولي، من خلال الهوية، والمرأة وحقوقها،



والأحزاب الدينية السياسية.

ويحتوي الباب الثاني على بعض المواقف الأصولية من خلال حدود الكيان الصهيوني، وعملية السلام، واليهود، واستشراف المستقبل، ومعالم المجموعات العربية اليهودية، ومنابعها.

ويستعرض الفصل الاخير الفرق اليهودية المعاصرة مثل: أغودات إسرائيل، والحزب الديني القومي (المفدال)، وحزب شاس، وغوش أيمونيم (كتلة الإيمان، وكاخ، ناتوري كاراتا (حراس المدينة).

فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أو لحبيب الخاصة بجاية الجزائر. إعداد: جمال الدين مشهد. تحرير: أيمن فؤاد سيد.ـ لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ٤٧٤ص. (سلسلة الفهارس الإسلامية ٥٠).

يشتمل هذا الفهرس على مخطوطات عربية، وأخرى بلغات إفريقية. الهوسا، والبربرية، والفلانية، وبعضها لعلماء عرب مشارقة ومغاربة معروفين، وجزء من مخطوطات هذا الفهرس مجهول المؤلف أو العنوان، أو مجهولهما، وبعض هذه المخطوطات عبارة عن نصائح ورسائل ، ووثائق لمعاملات الناس ومكاتباتهم وممارساتهم لحياتهم العملية.

وتأسست مكتبة الشيخ الموهوب في حدود سنة ١٨٥٢م، بقرية «ثالة وزرار» بمنطقة أيث ورثيلان في منطقة القبائل في شمال الجزائر. وكانت المكتبة قبل إحراقها تحتوي على نحو ١٠٠٠ مخطوط، وتحوي سلسلة أو لحبيب على أكثر من ٥٨٠ مخطوطًا ووثيقة، وكثير من الوثائق لم تدخل في هذا الفهرس، وهي مجموعة من القصائد، والعقود والشهادات، وهناك مجموعة من الأوراق التي تحتاج إلى ترتيب، والتي قد تكون متممة للمخطوطات الناقصة في السلسلة، ومجموعة من الأغلفة الجلدية التي لم توجد مخطوطاتها الأصلية.

يذكر أن مؤسس المكتبة هو محمد الموهوب بن البشير بن الطيب بن أحمد زروق بن نجيب بن أحمد الطيب بن محمد بن لحبيب بن يوسف، ولد سنة١٢٣٧هـ/ ١٨٨٢م، بقرية ثالة وزرار شمال الجزائر من عائلة علمية عريقة، وعمل في التدريس والإمامة، وأوصى عام ١٨٥٢م باستعمال مكتبته في متناول كل من يريد المعرفة وطلب العلم.





مجلة العرب (س٤٠.ع ٥ـ ٦. ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٥هـ/يناير ـ فبراير ٢٠٠٥م)



مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري.

احتوى العدد الجديد من المجلة على الجزأين الخامس والسادس، كتب في بدايته الدكتور عبدالعزيز الهلابي عن «الجاسر مؤرخًا» تحدث في مقاله عن عناية الشيخ حمد الجاسر بتأريخ المكان، وتأريخ المجتمع، مستشهدًا ببعض تحقيقاته التأريخية حول المواضع والأنساب.

وعن «الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن» تحدث الدكتور قاصد الزيدي عن أصل الوحي في اللغة، وعن الإيحاء والرمز في الدلالة الصوتية ليصل إلى الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن، وضم العدد أيضًا مقالاً جديدًا للمؤرخ الراحل الدكتور صالح العلي، رحمه الله، عن «مكانة العلماء الاجتماعية في العهود الإسلامية المبكرة»، تطرق فيه إلى حرف العلماء، وسبل معيشتهم، وزمنهم وصلتهم بالمجتمع والحكام.

وحول «صورة الشعراء العرب قبل الإسلام من الوجهة النفسية» حلل الدكتور أحمد النعيمي إطار البناء الفني ممثلاً بالوقفة الطللية وإيحاءاتها النفسية، كما أبرز الدكتور جاسم محمد عيسى الجبوري دور «النسّابين وأثرهم في تدوين التأريخ العربي الإسلامي» في صدر الإسلام، معددًا أشهر النسابين العرب، وأهم آثارهم. وواصل الدكتور عبدالرزاق حويزي مقاله عن «البرهان عما في ديوان علي بن الجهم من وَهْم ونقصان» مركزًا في تصحيح الأوهام الإيقاعية.

وفي بريد العرب كتب الأستاذ سعد السيف عن «الشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة ١٣٤٨ ـ ١٤٢٥هـ» متحدثًا عن دواوينه الشعرية والمقومات الفنية فيها.

أما مكتبة العرب، فقد عرّفتنا بمعجم «كلمات قضت» للشيخ محمد العبودي، وبكتاب الدكتور عبدالرحمن الشبيلي عن «الأمير مساعد بن عبدالرحمن»، وختم العدد بسرد لإهداءات «مكتبة العرب» من كتب ومجلات.

العنوان:

ص.ب ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦ ـ المملكة العربية السعودية.

شارع التحلية، عمارة التوفيق.

هاتف: ٢١٩٢١٩٤

الرابطة (س٤٢، ع٤٦٥، شوال ١٤٢٥هـ ـ نوفمبر ٢٠٠٤م)

مجلة فصلية ثقافية تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

تضمن هذا العدد من الدورية عددًا من البحوث والدراسات التي اهتمت بالقضايا الإسلامية، بدأت بكلمة رئيس التحرير الدكتور عثمان أبوزيد عثمان بعنوان «المنظمات الإسلامية: مزيد من جهود التنسيق والتعاون»، وجاءت كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في جلسة افتتاح اجتماعات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة والثلاثين التي عقدت في الفترة من ٤ ـ ٦ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ١٨ ـ ٢٠/٩/٢٠٠٤م، ثم كلمة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتي العام رئيس المجلس، وكلمة معالي الأمين العام الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، واستعرضت الأمانة العامة للرابطة أبرز إنجازاتها، تلا ذلك البيان الختامي لاجتماعات هذه الدورة. كما أقيم حفل تكريم لثلاثة من الأمناء العامين السابقين للرابطة وهم: معالي الدكتور عبدالله بن عمر نصيف، ومعالي الدكتور أحمد محمد علي، ومعالي الدكتور عبدالله بن صالح العبيد. إذ سلم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة الدروع التذكارية للمكرمين.

كذلك احتوت الدورية على عدد من الموضوعات المتنوعة، إذ كتب محمد الأسعد عن «مبادرة الرابطة لإنشاء ملتقى عالمي للعلماء المسلمين»، وتساءل الدكتور عصام بن هاشم الجفري «هل استفدنا من موسم الحج؟»، و«المشاعر المقدسة» لهاني ماجد فيروزي، و«على مطالع قرن جديد» لعماد الدين خليل، و«النقد وأثره في إصلاح الحياة الاجتماعية» لزهير عثمان نور، و«نظرات في الإصلاح التربوي والتعليمي» لحسن المناعي، و«التوازن في شخصية المسلم» لعبدالكريم بكار، و«أزمة دارفور بين الواقع والخيال» لكمال الدين مصطفى، و«قادم من سيراليون والإسلام بخير» للدكتور غسان بن علي الرمال، و«أولويات الداعية في البلاد غير الإسلامية» لعبدالباسط عزالدين.

وفي مجال الثقافة جاء الحديث عن «الجذور الاعتقادية للإرهاب الصهيوني» للدكتور سعد بن علي الشهراني، و«من ملامح الأصالة في أدب عبدالله الطيب» لمحمد وقيع الله، و«دراسة حديثة عن الاقتصاد في حياة النبي» للدكتور عبدالحليم عويس عرض وتلخيص: أحمد مصطفى عبدالله، وغير ذلك من الموضوعات المتنوعة.



العنوان:

ص.ب: ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف وناسوخ: ٥٦٠١٠٧٧





انتقال المأثورات الشعبية

كمال نشأت
القاهرة - مصر

لقد أفاد (جاستون باري) من الدراسات التي تناولت الأساطير والخرافات الشعبية، تلك الدراسات التي فتحت الباب أمام دارسي الأدب المقارن بعد ذلك، وهو العلم الجديد الذي اهتمت به الجامعات الأوربية والأمريكية.

ويرى هذا العالم (جاستون باري) أن الأدب تغذية للحاجات العامة للمجتمع، وللميول الشعبية، وهو ينشأ فطريًا قوميًا، ولكنه ينمو اعتمادًا على ما يرد إليه من موارد خارجية بعيدة عن نطاق الأدب القومي.

وقد بيّن أن الأدب الفرنسي قد تأثر في القرون الوسطى بالآداب الشرقية، ويهمنا هنا حديثه عن هذا الأثر في الأقصوصات الشعبية التي كان يطلق عليها اسم (فابليو)، وهي جنس أدبي انتشر في فرنسا من حوالي منتصف القرن الثاني عشر، حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، والقصة منه تؤلف لتحكى، وهي شعرية تستهدف التسلية، وإن كان لها في بعض الأحيان طابع خلقي، أو اجتماعي.

ويلاحظ أنه إذا كان موضوعها النساء، فإنهن يظهرن فيها خادعات، ماكرات، يلعبن بألباب العقلاء، ومنزلة المرأة في هذا الجنس الأدبي دون مكانتها في أدب الفروسية المعاصر لذلك الأدب، وهذا اتجاه شعبي قد يكون متأثرًا بالمسيحية، أو ربما اقتبسه الشعراء من الأقصوصة الفارسية الأصل.

ويعتقد (جاستون باري)، أن هذا الجنس الأدبي قد قام على عناصر مستمدة من الآداب الشرقية، ويرجح أن هذه العناصر الشرقية قد قدمت من الهند عن طريق (بيزنطة)، والأدلة على صحة معتقده كثيرة، فقصة (اللص الذي اعتنق ضوء القمر)، نجدها في كتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع في باب (برزويه)، وهذه الأقصوصة الفارسية الأصل التي انتقلت إلى الأدب العربي، والتي يوجزها صاحب كتاب (المحاسن والمساوي) تحتل مكانًا في القصص الشعبي الفرنسي... وملخصها أن (الموبذان)، أو رئيس الكهنة الإيراني، كان كلما دخل على (خسرو أبر ويز)، حيّاه، ثم قال له: (أعطيت الخير، وجُنِّبت طاعة النساء)، فغاظ ذلك (شيرين) محظية كسرى، فأرادت أن تكيد له... فأهدت إليه جارية جميلة يقال لها (مُشْكدان) ومعناها (حبة المسك)، وهي حبة ذات رائحة طيبة تنظم في سلك، وأمرتها أن تغري الشيخ بمفاتنها، على ألا تستجيب إليه إذا دعاها إلا إذا أسرجته، وألجمته، وركبته.. وتحدد وقتًا لذلك تخبر به سيدتها كي تفاجئه على هذه الحال مع كسرى.. فعلت الجارية ما أمرتها به سيدتها.. وطلع (خسرو) و(شيرين) على الجارية وقد ألجمت (الموبذان)، وأسرجته وركبته، وهي تقول له (خَر.. خَر..)، ورفع الموبذان رأسه فرأى خسرو، فقال له: (هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء)، يريد أنه حذّر الملك بالقول.. وهذه الحكاية هي حكاية (أقصوصة أرسطو) نفسها التي ألّفها الشاعر الفرنسي (هنري دانديلي) في النصف الأول من القرن الثالث عشر، واستبدل بخسرو الإسكندر، وبالموبذان أرسطو، كما نرى قصة عربية ذكرها ابن عبد ربه في (العقد الفريد ج٢) طبع القاهرة ١٩٣٥م، وقد سُميت في صورتها الثانية الفرنسية Du Vilainet ,De Loiselet.

وموجزها أن رجلاً يهوديًا صاد (قُبّرةً) فقالت له: ما تريد أن تصنع بي؟

قال: أذبحك فآكلك.. قالت: والله أنا لا أشفى من بَرَم.. ولا

أغني من جوع،، ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي: أما الواحدة فاعلّمها لك وأنا في يدك، والثانية إذا صرت على هذه الشجرة، والثالثة إذا صرت على الجبل.. فقال:

هات.. قالت: لا تلهفنَّ على ما فاتك.. فخلّى عنها، فلما صارت فوق الشجرة قال: هات الثانية، قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت، فصارت على الجبل..

فقالت: يا شقي، لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درة فيها زنة عشرين مثقالاً.. فعض على شفتيه، وتلهف، ثم قال: هات الثالثة.. قالت: أنت قد نسيت الاثنتين فكيف أعلمك الثالثة؟

ألم أقل لك، لا تلهفن على ما فاتك، فقد تلهفت عليّ إذ فتك، وقلت لك: لا تصدّقن بما لا يكون أنه يكون، فصدقت.. أنا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالاً، فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها؟

وهذه حكاية عربية أخرى تحكى عن الشنفري الذي يُستعبد، وتصفعه ابنة سيده، فيقسم ليقتلن من القوم الذين استعبدوه مئة رجل، لكنه في حياته لا يستطيع أن يبر بقسمه، لأنه ما إن يتم قتل الرجل التاسع والتسعين حتى يمسك، ويقتل، ثم يصلب.

غير أنه بعد الموت يفي بما وعد به نفسه، وتوعد القوم.. إذ إن جمجمته تسقط عن صليبها فيركلها أحد رجال القبيلة برجله، فتدخل منها عظمة في هذه الرجل ويموت الرجُلُ متممًا المئة «من الأساطير العربية نقلاً عن (الأغاني)».

وجوهر هذه القصة هو جوهر القصة الهندية المذكورة في كتاب «عجائب الهند»، التي نقلها فوزي العنتيل في كتابه «الفولكلور ما هو؟» عن حديث «السندباد القديم» لحسين فوزي، تقول القصة:

(أراد أحد التجار من أهل (سيراف) الخروج إلى (سوباره) بطريق البر. فاصطحب معه دليلاً هنديًا، وفي الطريق جلسا بجانب بستان يأكلان شيئًا، وفي جملته أرز.. فنعق غراب، فقال الهندي للسيرافي: أتعرف ما يقول الغراب؟.. قال: لا.. قال: لا بد أن آكل من هذا الأرز الذي أكلتموه، قال: فعجبت من قوله؛ لأنا كنا قد أكلناه جميعه حتى لم يبق منه شيء.. ثم نهضنا، وأخذنا نمشي، فما سرنا فرسخين، حتى لقينا خمس أنفس أو ست من الهند، فلمّا رآهم الهندي اضطرب، وقال: عليّ أن أقاتل هؤلاء..

قلت: ولم؟.. قال: لأن بيني وبينهم عداوة، فلما كلمني بما أراد، جردوا خناجرهم، واجتمعوا عليه فقتلوه، وشقوا بطنه حتى خرج ما فيه، ووقع عليّ من الفزع ما لا يمكنني معه المشي، فسقطت كالباهت العقل، ومضوا وتركوني، فما تباعدوا حتى سقط الغراب - لا أشك في أنه ذلك الغراب - فجعل يلتقط الأرز الذي خرج من جوفه..)

(الفولكلور ما هو - دار المعارف ١٩٦٥م)

ويؤكد (جاستون) أن هذه التفاصيل الدقيقة التي تتلاقى في حكايات الشعوب المختلفة، لا تأتي مصادفة، وإنما تنتشر عن طريق الهجرة، أو التجارة، أو الحروب. إلا أن تلميذًا لجاستون باري هو جوزيف بيديه، أنكر تأثير الحكايات الفرنسية بالحكايات الشرقية، ونادى بأن الشعوب الفطرية تتلاقى في أقاصيصها الشعبية دون حاجة إلى تأثر أو تأثير وهي وجهة نظر المدرسة التي تعارض قانون التأثر والتأثير.

ويقف السير(جيمس فريزر) من هذه القضية موقفًا يمسك فيه العصا من الوسط، فهو يجمع بين المدرستين المتعارضتين.

إلا أننا نرى أنه إذا كان تشابه الظروف بمعناها العام قد يدفع إلى تفكير متشابه، فإن هذه الظاهرة التي قد تحدث في حياة شعبين مختلفين بعيدين مكانيًا بعضهما عن بعض قد تؤدي إلى تشابه في فكرة عامة لا في قصة متكاملة ذات تفاصيل خاصة، فالإيمان بحياة أخرى فيها ثواب وعقاب ذكرت في (كتاب الموتى) الفرعوني، وهي فكرة واحدة محددة، قد تكون كثرة من الشعوب قد وصلت إليها بفعل ظروفها الخاصة وباحتياج أمنها النفسي دون أن تنتقل هذه الفكرة إليها عن طريق الحروب، أو الاتصال التجاري، أو غيره من وسائل الاتصال بين الشعوب.